

مشكل الحديث وتطبيقاته عند المعاصرين

. دراسة تطبيقية في الصّحيحين .

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في العلوم الإسلامية.

تخصّص: الحديث وعلومه

إشراف أ.د: محامي مختار.

إعداد الطالب: بوزينة عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة:

رئيسا	جامعة وهران 01	أ. د : حوالم عكاشة
مشرفا مقورا	جامعة وهران 01	أ. د : محامي مختار
مناقشا	جامعة وهران 01	أ. د : حمزة عواد
مناقشا	جامعة بشار	أ. د : يحي مصطفى
مناقشا	جامعة الأغواط	أ. د: قبلي بن هني
مناقشا	جامعة معسكر	أ. د : بالطير تاج



قال ابن قتيبة: " وقد تدبّرت -رحمك الله- كلام العائين والزّارين فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون، ويعييون النّاس بما يأتون ويصرون القذى في عيون النّاس، وعيونهم تطرف على الأجداع ويتّهمون غيرهم في النّقل، ولا يتّهمون آراءهم في التّأويل...
ولو ردّوا المشكل منهما، إلى أهل العلم بهما، وضح لهم المنهج، واتّسع لهم المخرج.
ولكن يمنع من ذلك طلب الرّئاسة، وحبّ الأتباع، واعتقاد الإخوان بالمقالات. والنّاس أسراب طير يتبع بعضها بعضا ولو ظهر لهم من يدّعي النّبوة -مع معرفتهم بأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم خاتم الأنبياء، أو من يدّعي الرّبوبيّة- لوجد على ذلك أتباعا وأشياعا. (تأويل مختلف الحديث ص: 61 / 62)

شكر وعرفان

الحمد لله على فضله وإنعامه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، أحمدته سبحانه على توالي نعمه، وتواتر رحماته وأفضاله، فاللهم لك الحمد أولاً وآخرًا، ولك الحمد ظاهرًا وباطنًا، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضى.

ثم اعترافًا بالفضل لأصحابه فإنني أتوجه بأسمى عبارات التقدير والامتنان لشيخي وأستاذي الدكتور **حمادي مختار المشرف** على هذه الرسالة فإنني أشكره على إشرافه وتوجيهاته القيّمة، كما أشكره على صبره وحلمه معي أثناء الفتور والانقطاع بسبب مشاغل الحياة فأسأل الله العليّ القدير أن يجزيه خير الجزاء، وأن يضاعفَ الله له الأجر والثواب، وأن يبارك في علمه وعمله، وأن يعزّز وقته بالطاعة، وأن يحسن لنا وله الختام إله قريب مجيب الدعاء.

أما الأساتذة المناقشون فأنتقدم إليهم بخالص الشكر والعرفان على قبولهم الاطلاع على هذا البحث وتصويب ما فيه من الرّزل والخلل.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بخالص الشكر والعرفان إلى أساتذة الحديث بالكليّة والذين حبّبوا إلينا هذا الفن ولم يتخلوا علينا بالنصح والإرشاد وعلى رأسهم: **الدكتور سليمان عبد القادر، والدكتور مبروك محمد، والدكتور خليفة العربي.** ولا أنسى الدكتور **نذير أوسالم** الذي فتح لنا مكتبته ولم يتخل علينا بالنصح والتوجيه منذ مرحلة الليسانس إلى مرحلة الماجستير والدكتوراه فجزاه الله خيرا،

والشكر موصول لكلّ أساتذة الكليّة الذين تعلمنا على أيديهم طوال هذه السنوات، وجميع عمال المكتبة، وعمال الإقامة الجامعية، وجميع إخواني وأصدقائي الطلبة الذين تتلمذت معهم في مرحلتي الليسانس والماجستير.

إهداء

✓ إلى ربيع الحياة وحسنا، وزينة الدنيا وأنسها، من بدعواها تزول الصّعب، من لا تصوّر هذه الدنيا بدونها، من بي أحقّ الناس بحسن صحبتي أمي ثم أمي ثم أمي أبدي إليك هذه السطور اعترافا بالجميل ووفاء ببعض حقك علي.

✓ إلى من تعب وشقى وأجهد نفسه لنتاح ولنعيش في راحة وأمان والدي حفظه الله.

فاللهم أطل عمرهما في طاعتك، ووفقي لردّ جزء من معرفتهما، واجعل هذا العمل في ميزان حسانتها.

✓ إلى من رباني وأحاطني بحبّه ورعايته ودعواته خالد الذكر جدّي رحمه الله وغفر له.

✓ إلى رفيقة دربي التي أشعلت شموع التضحية وتحملت تقصيري وانشغالي خلال فترة إعداد هذه الرسالة، لك مني أسمي عبارات التقدير والوفاء.

✓ إلى الشموع المضيئة، والجواهر المصونة أبنائي: "يقين" و"سيرين" و"أحمد أسيد".

✓ إلى جميع الحواشي والأصول وكلّ من يحمل لقب بوزينة كلّ باسمه دون تفضيل ولا تخيير.

✓ إلى أعزّ الأصدقاء وأحبّ الأوفياء وكلّ من أعانني بكتاب أو نصيحة أو دعاء.

✓ إلى كلّ من سهّل لي طريق العلم، وكلّ من علمني حرفا في جميع المراحل الدراسية وأخصّ منهم أساتذتي في الثانوية: الأستاذة ربيطة، الأستاذة حمدوش، و الأستاذة قنذر رحمها الله.

إلى كلّ طالب علم، وكلّ محبّ لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، فاللهم اجز كلّ من أعانني خير الجزاء، واجعل هذا العمل خالصا لوجهك الكريم، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمدُ الذي هدى من أراد به خيراً إلى الفقه في الدين، وشرحَ بمعارفِ السنّة النبويّة صدور أوليائه الرّاسخين، وخصّ هذه الأمة التي هي خير الأمم بسلسلة الإسناد في الدين، وزادها فضلاً وإنعاماً بالعلماء الرّاسخين والفضلاء المحقّقين، الذين نزّهوا كلام سيد المرسلين، وميّزوا صحيحه من سقيمِهِ حتى صارَ محفوظاً بسلسلة الحفظ والإسناد غير منقطعٍ ولا واهٍ إلى يوم التّناد، أحمده سبحانه وأشكره أبلغ حمد وشكر على نعمه خصوصاً على نعمة الإسلام وأن جعلنا من خير أمة أخرجت للناس و أسأله المزيد من فضله وكرمه فإنّه القائل ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ط

وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ [إبراهيم: 7].

والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم، المرسل بالدين الصّحيح والحقّ الصّريح، النّاسخ لما قبله من الأديان، والرّاجح عليها بكثرة التّبيان، والمختلف عنها بضمان الحفظ من الرّحمن، صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام مؤيّدِي الدين ومظهِرِي الإسلام وعلى التّابعين لهم بالخير والإحسان، وعلى علماء الأمة في كل زمان... أما بعد:

فإنّه لا خلاف عند ذوي البصائر ولا ارتياب عند كلّ مسلم أنّ أفضل العلوم منزلةً وأجلّها قدراً ومكانة بعد كتاب الله . عزّ وجل . سنّة المصطفى . ﷺ . فهى المصدر الثّاني للأحكام الشرعيّة بعد كتاب الله، وقد جاءت السنّة في الجملة مؤافقة للقرآن الكريم تُفسّر مُبهمه، وتُفصّل مُجمله، وتزيل مشكله، وتخصّص عامه، وتقيّد مُطلقه، وتشرح أحكامه، كما جاءت بأحكام لم ينصّ عليها القرآن الكريم.

ولأجل هذه المكانة العظيمة والمنزلة الرّفيعة للسنّة فقد تمسّك بها الصّحابة والتّابعون ومن بعدهم من العلماء الرّاسخين، والتزموا بما وُردَ فيها من أوامر ونواهي، وضرّبوا أروع الأمثلة في حفظها والاحتياط في رواية الحديث والتشدد في ذلك خشية الوقوع في الخطأ أو التّحريف.

و قد قيّض الله للذود عن سنّة نبيّه جهابذةً نقّاداً من أهل العلم والحديث يدفعون عنها تحريف المبطلين، ووضع الكذابين، فسوّوا قوانين الرواية، وميّزوا صحيح السنّة من سقيمها، وتكلّموا في الرجال، وصنّفوا التصانيف والكتب في شتى فنون الحديث، وقد اتّبّعوا في ذلك قواعد عظيمة ومسالك دقيقة، مبنية على سعة الحفظ وقوة الاطلاع، والمعرفة الدّقيقة بأحوال الرواة والمرويات.

وكان من أحسن وأشهر ما صنّف في هذا الباب الجامع الصّحيح لمحمد بن إسماعيل البخاري، وصنّوه صحيح مسلم بن الحجاج حتّى استقرّ بين المسلمين وخصوصاً بين العلماء وطلبة العلم قديماً وحديثاً أنّهما أصحّ كتابين بعد كتاب الله . عزّ وجل . وقد تتابع العلماء جيلاً بعد جيلٍ على تأكيد هذه الحقيقة، وعظمت عنايتهم بهما حفظاً وشرحاً واختصاراً، ولم يدّخروا جهداً في استخراج ما تضمّناه من استنباطات فقهية ومعارف متنوّعة في الحديث واللّغة والفقه والنّكت وغيرها من المعارف التي يحتاجها كلّ طالب علم.

ومع هذا كلّه فإن العلماء لم يقرّروا هذه الحقيقة لتعظيمهم للصّحيحين، أو لتقديسهم للشيخين بل قرّروا هذا بعد دراسة وتمحيص ونقد من طرف الجهابذة النّقاد الذين أثبتوا دقّة الشّيخين في اختيار الأحاديث الصّحيحة في كتابيهما، حتّى أصبح من المتعارف عليه عند طلبة العلم أنّ الحديث إذا أخرج الشّيخان أو أحدهما فلا يبحث في سنده، ولا يُتكلّم عن رجاله سوى أحرف يسيرة انتقدها جهابذة النّقاد وبيّنوا نزولها عن شرط الشّيخين وهذه شهادة لا يستحقّها إلا العلماء الكبار.

ولكن في بداية العصر الحديث ظهرت اتّجاهات فكريّة تقلّل من قيمة الصّحيحين، وأنّ أحاديثهما كلّها قابلة للنّقد والتمحيص والأخذ والرّد، وقد تباينت مواقفهم بين منكرٍ لجلّ ما ورد فيهما، وبين من لا يقبل من نصوصهما إلا ما وافق مذهبه، و سَخِرُوا من أحاديث كتابيهما بحجّة أنّ فيها ما يخالف القرآن أو العقل أو العلم الحديث أو الحسنّ والواقع المشاهد أو التّاريخ، وادّعوا أنّ في الصّحيحين أحاديث تسيء إلى الله . عزّ وجل . أو إلى رسله عليهم الصّلاة والسّلام، وأنّ كثيراً من

أحاديثها تُهين المرأة، وتحطّ من قيمتها، وتجعلها دون الرجل في المرتبة، وغير ذلك من المتناقضات والمعارضات.

وهذه الفكرة في الحقيقة . رد النصوص بدعوى مخالفة القرآن، ومخالفة العقل، ومخالفة الحسن، ومخالفة العلم الحديث وهو ما يعرف بمشكل الحديث في عرف المحدثين . هي في الحقيقة فكرة قديمة أثارها بعض الفرق الضالة وردّها الجهابذة النقاد من أمثال ابن قتيبة والطبري والطحاوي وغيرهم قال ابن قتيبة : " وقد تدبّرت -رحمك الله- كلام العايين والزّارين فوجدتهم يقولون على الله ما لا يعلمون، ويعييون النّاس بما يأتون ويصرون القذى في عيون النّاس، وعيوتهم تطرف على الأجداع ويتهمون غيرهم في النّقل، ولا يتّهمون آراءهم في التّأويل،... ولو ردّوا المشكل منهما، إلى أهل العلم بهما، وضح لهم المنهج، واتّسع لهم المخرج".⁽¹⁾

والحقيقة أنّ معظم الأحاديث التي استشكلوها وطعنوا فيها بدعوى التعارض والتضاد هي شبه قديمة أجاب عنها العلماء، ولكن أعادوا إحياءها في شكل جديد، وحاولوا نشرها في الجرائد والمنتديات تليسياً على عوامّ المسلمين، ورغبة في هدم الدّين لأنّهم على علم تام أنّهم إن استطاعوا أن يسقطوا الصّحّاحين فقد مهّدوا الطّريق لما بعدهما من كتب السنّة.

ومن هنا عنّ لي ضرورة البحث في هذا الموضوع، وأن أقتصر في البحث على جملة من النّماذج؛ لأنّ دراسة جميع الأحاديث المطعون فيها أمر متعسّر في بحث أكاديمي، كما أنّ الغاية معرفة منهجهم في ردّ النّصوص وليس الهدف الإحاطة بجميع استسكالاتهم ، وقد اخترت لذلك عنواناً وهو:

مشكل الحديث وتطبيقاته عند المعاصرين . دراسة تطبيقية في الصّحّاحين .

¹ - ينظر: ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، (مط: مؤسسة الإشراف، ط: 2 سنة 1419هـ / 1999م) ص: 61.

إشكال البحث:

يهدف هذا البحث للإجابة عن سؤال جوهرى هو : هل يوجد في الصحيحين أحاديث مشكلة تتعارض مع كتاب الله، أو تتعارض مع العلم أو العقل أو الواقع؟

كما أنّ الإجابة عن هذا السؤال تتطلب الإجابة عن جملة من الأسئلة الفرعية أهمها:

. ما هي أهم اتجاهات المعاصرين المنتقدين لأحاديث الصحيحين في العصر الحديث؟

. ما أهم الأحاديث المستشكلة بدعوى الإساءة إلى الله . عزّ وجل . أو إلى أنبيائه عليهم السلام؟

وكيف نناقشها؟

. ما أهم الأحاديث المنتقدة بدعوى إخبارها عن الغيبات ؟ وكيف نناقشها؟

. ما أهم الأحاديث المستشكلة بدعوى امتهان المرأة والتقليل من شأنها؟ وكيف نناقشها؟

. هل هذه الاستشكالات التي ذكرها المعاصرون من معينهم أم أنّهم أخذوها عن بعض الفرق

الإسلامية التي انتقدت كتب السنة؟

. ما قيمة النقد الموجه لكلّ حديث على وجه التفصيل؟ وهل صحيح أنّ هناك أحاديث مشكلة أم

أنّه مجرد تعارض ظاهري؟

أسباب اختيار الموضوع:

لقد دفعتني للبحث في هذا الموضوع جملة من الأسباب لعلّ من أبرزها:

. تعلق البحث بالسنة النبوية والتي هي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

. قيمة ومكانة الصّحّيحين عند علماء الإسلام، فقد تلقّتهما الأمة بالقبول، وقدّمتهما على سائر التّصانيف.

. تعلقّ البحث بمشكل الحديث الذي يعتبر من أهمّ أنواع علوم الحديث، ويحتاج إليه كلّ المشتغلين بعلوم الشريعة لمعرفة أسباب التّعارض وطرق دفعه.

. ما ترسّخ في أذهاننا كطلبة علم أنّ أحاديث الصّحّيحين قد بلغت أعلى درجات الصّحّة، وأنّ الحديث إذا رواه الشّيخان أو أحدهما فيُكتفى بالعزو إليهما دون الحاجة للبحث في سنده، وقد تفاجأت ببعض الكتابات المعاصرة المطبوعة أو المنشورة على شبكة الأنترنت، والتي استغلّ أصحابها الانتشار الرّهيب لوسائل الإعلام المرئية والمكتوبة، ودعوا إلى تكذيب أحاديث الصّحّيحين والطّعن في الشّيخين مستعملين في ذلك عناوين برّاقة ومستغلّين بؤعد الشّباب وقلة معرفتهم بتراثهم، ومن أبرز تلكم الدراسات: "جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام الحدّثين" لزكريا أوزون، "الأضواء القرآنية لاكتساح الأحاديث الإسرائيليّة وتطهير البخاري منها" لصالح أبي بكر، "تحرير العقل من النقل: دراسة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم" لسامر إسلامبولي، وغيرها من الدّراسات التي تستخفّ بالصّحّيحين وتقلّل من شأنهما.

أهداف البحث:

تهدف هذه الدّراسة إلى تحقيق الغايات التّالية:

. الدّفاع عن السنّة النبويّة وردّ الشّبهات عنها، كما أنّ في دراسة مثل هذه المواضيع إعلاءً للسنّة النبويّة، وتجليّة للحقّ، وإحلالاً للتّبجيل والتّعظيم مكان الرّدّ والتّحقيق، ودفعاً في صدور الذين يتناولون سنّة المصطفى -عليه الصّلاة والسّلام- بنفْسٍ مشوّبٍ بمرض التّجهيل والتّعطيل لدلالات تلك النّصوص.

. بيان أنّ السنة النبويّة الثّابتة بالسّند الصّحيح لا تتعارض البتّة مع القرآن أو مع الضّرورات العقليّة أو مع المكتشفات العلميّة، بل هم متوافقون تمام الموافقة، وإنّ ظهر التّعارض فهو تعارض ظاهري موهوم ناتج عن قلة العلم بدلالة الألفاظ، أو قصور الفهم عن إدراك المراد، ولكنّهم يسارعون إلى اتّهام النّصوص بالتّناقض ولا يتّهمون عقولهم بالتّقصير.

. إبراز مكانة وقيمة الصّحّاحين عند علماء الإسلام، وأنّ وقوع الطّعن فيما ورد فيهما من أخبار مؤذّنٌ بخطر عظيم على ما سواهما من كتب السنّة بل على دين الإسلام كلّه.

. التّعريف على مناهج المستشكّكين والمنتقدين للصّحّاحين في العصر الحديث، وبيان اتّجاهاتهم الفكريّة، وأنّ معظمهم من غير المتخصّصين في الشّريعة بله يعلم مشكل الحديث الذي هو من أدقّ أنواع علوم الحديث.

بيان عدم مبالاة هؤلاء بما هو في منأى عن الطّعون عند علماء الإسلام، فهم يردّون كلّ ما خالف عقولهم ولو كان الحديث ممّا وصف بالتّواتر واتّفق على صحّته علماء الإسلام قاطبة، بل ولو كان ممّا يشهد له كتاب الله صراحة، وهذا دليل واضح أنّ أكثر هؤلاء مرادهم هدم الدّين كلّه وليس الصّحّاحين فقط.

الدّراسات السابقة:

يمكن تقسيم الدّراسات المتّصلة بهذا الموضوع إلى قسمين:

- 1• كتابات وأبحاث أكاديميّة تناولت الردّ على انتقادات بعض الفرق المعاصرة لأحاديث الصّحّاحين، وقد اصطلح عليها مؤلّفوها طعون المعاصرين ومن أبرز هذه الدّراسات:

. طعون المعاصرين في أحاديث الصّحّيحين الخاصّة بأسباب النّزول والتّفسير بدعوى مخالفة القرآن: وهي عبارة عن رسالة دكتوراه من إعداد علي صالح علي مصطفى، وإشراف الدكتور محمد عيد الصاحب، ونوقشت سنة 2010م بالجامعة الأردنيّة.

. الأحاديث المنتقاة في الصّحّيحين الخاصّة بالمرأة: وهي رسالة دكتوراه قدّمها الباحث محمد بلوج، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور محمود شرف القضاة، ونوقشت بالجامعة الأردنيّة سنة 2012م.

. طعون المعاصرين في أحاديث الصّحّيحين بدعوى التّعارض مع العلوم الطبيعيّة، من إعداد باسم حسن أحمد وردة، وتحت إشراف الدكتور محمود شرف القضاة، وقد نُقشت بالجامعة الأردنيّة سنة 2012م.

. الأحاديث المنتقاة في الصّحّيحين بدعوى إساءتها للنبيّ ﷺ. من إنجاز الباحث رائد أحمد عطا المعايطة، وتحت إشراف الدكتور باسم فيصل الجوابرة، وهي رسالة دكتوراه نُقشت بالجامعة الأردنيّة سنة 2016.

وتعدّ أطروحة علي صالح علي مصطفى "طعون المعاصرين في أحاديث الصّحّيحين الخاصّة بأسباب النّزول والتّفسير" أحسنها، وقد تناول فيها الباحث الردّ على انتقادات بعض المعاصرين لأحاديث الصّحّيحين الخاصّة بأسباب النّزول، وكذا تفسير النبيّ ﷺ. لبعض الآيات، ومنها ردّ بعض النّصوص بدعوى الإساءة للأنبياء عليهم السّلام، أو ردّ النّصوص بدعوى مخالفة القرآن، وهو بحثٌ قيّم ردّ فيه الباحث بردود علميّة وعقليّة مستندا إلى أقوال أهل العلم كشرّاح الحديث والمفسّرين.

وأما بقيّة الرّسائل فرغم تخصّصها في باب معيّن، ودراستها لعدد لا بأس به من الأحاديث إلا أنّ مناقشة الانتقادات الموجهة لكلّ حديث على وجه التّفصيل لا تشف الغليل، كما أنّها لم ترق إلى المستوى المطلوب من حيث المناقشة العلميّة، والصّيّغة اللغويّة، والتّرابط المنهجي، ومع هذا فهي بحوث لا بأس بها، ويكفي أصحابها شرفا ومحاولتهم للذبّ عن سنة المصطفى ﷺ ..

وقد اطلعت وأنا على مشارف إنهاء البحث على بحثين قيّمين في هذا المجال

. الأول رسالة ماجستير لعيسى النُعيمي، نُفِشت بأمر القرى سنة 2009م، بعنوان **دعوى المعارض العقلي عن الأحاديث المتعلقة بمسائل الاعتقاد دراسة لما في الصحيحين** فهذا البحث وإن خصّه صاحبه للمعارضات العقلية المتعلقة بمسائل الإيمان وأركانه إلا أنه بحث مميّز بجودة العبارة، وحسن العرض، وقوة اللغة، وكثرة اطلاع الباحث على مصادر مختلفة.

. وأما الثاني فهو رسالة دكتوراه للدكتور محمد بن فريد زريوخ بعنوان **المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصحيحين** نوقشت سنة 2020 م بالمغرب، ويعتبر هذا البحث أوسع ما كُتب في هذا الباب، وقد تناول فيه المؤلف جلّ المعارضات المعاصرة لأحاديث الصحيحين، منها الأحاديث المتعلقة بالإلهيات، والأحاديث المتعلقة بالتفسير، والأحاديث المتعلقة بالغيبيات، الأحاديث المتعلقة بالطبيعات، و رد الحديث بدعوى الإساءة للنبي ﷺ. وكذا رد الحديث بدعوى الإساءة للمرأة.

وهذا الكتاب يعتبر بحق موسوعة بذل فيه صاحبه جهدا كبيرا، وقد تميّز بجودة السبب، وحسن العرض، وقوة اللغة، وتنوع المصادر وكثرتها، ومن سوء حظّي أنّ البحث لم ينشر إلا عندما كنت على مشارف الإنهاء، ومع ذلك فقد استفدت منه في بعض المراجعات والتّحسينات.

2• كتابات وأبحاث خصّها أصحابها للردّ على بعض المؤلفات التي استشكلت بعض أحاديث الصحيحين من أبرزها:

. الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتّضليل والمجازفة لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني.

. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين لمحمد أبي شهبه.

. ظلمات أبي ريّة أمام أضواء السنة المحمدية لعبد الرزاق حمزة.

وهذه المؤلفات الثلاثة خصّها أصحابها للردّ على كتاب أبي رية أضواء على السنّة المحمديّة والذي حاول التشكيك في السنّة وثبوتها، كما طعن فيه في مجموعة من أحاديث الصّحّاحين بدعوى مختلفة.

. الجناية على البخاري . قراءة نقدية لكتاب جناية البخاري . تأليف مروان الكردي .

. جناية أوزون . عندما يتحدّث الجنون . تأليف حاكم المطيري .

وهذان الكتابان خصّهما مؤلّفهما للردّ على كتاب جناية البخاري إنقاذ الدّين من إمام المحدثين .

وقد ناقشا فيه جميع الاعتراضات التي اعترض بها المؤلّف على البخاري .

صعوبات البحث:

للبحث العلمي صعوبات جمّة لا يعرفها إلا من خاض غمار البحث، وقد يسرّها الله عزّ وجلّ ومنّ عليّ بتجاوزها فله الحمد والشكر ومن أبرز هذه الصّعوبات:

. صعوبة الحصول على بعض المؤلفات المعاصرة المنتقدة للصّحّاحين سواء الورقيّة أو حتّى المصوّرة وذلك بسبب منع تداولها من طرف جهات رسميّة، ككتاب الأضواء القرآنيّة لاكتساح الأحاديث الإسرائيليّة وتطهير البخاري منها الذي تمت مصادرتة من طرف لجنة البحوث الأزهرية، وكذا كتاب إسماعيل الكردي . نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث . الذي استعرتة بعد بذل جهد كبير في البحث عنه من عندي شيخي وأستاذاي الدكتور خليفة العربي رزّيق، الذي أقدم له خالص الشكر والعرفان على كلّ ما قدّمه لي .

. صعوبة الوقوف على تراجم بعض المعاصرين، وقد جهدت في البحث عنها في المصادر المطبوعة وشبكة المعلومات الدوليّة، وقد ترجمت لهم من خلال المعلومات القليلة التي توفّرت عنهم في مؤلفاتهم وفي منتديات الحوار على شبكة الإنترنت .

. هناك جملة من المعارضات والاستشكالات العقلية والعلمية التي لا سلف للطاعنين فيها، ولم أجد ردودا لها عند سراح الحديث، مما اضطرني إلى مضاعفة الجهد الذاتي لتفكيك الشبهة ومناقشتها، مع شدة الخوف من أن أتقول في دين الله بلا علم.

المنهج المعتمد عليه في البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على ثلاثة مناهج اقتضتها طبيعة الدراسة وهي:

- 1 . **المنهج الاستقرائي:** الذي يقوم على استقراء الدراسات المعاصرة التي استشكل مؤلفوها أحاديث الصحيحين بدعوى مخالفة القرآن، أو معارضة العقل، أو العلم الحديث، أو مخالفة الواقع وعرض طعونهم وما استدلوا به بشكل موضوعي.
- 2 . **المنهج التحليلي:** وذلك من خلال تحليل أقوالهم لاستخلاص أهمّ الأصول التي توسلوا بها إلى الطعن في صحيح الأخبار، فحصرتها قدر الإمكان، وعززتها بنماذج تطبيقية، واستدللت لكل أصل بأقوالهم.
- 3 . **المنهج النقدي:** وذلك من خلال تقويم هذه الطعون بمحاكمتها إلى قواعد العلم لبيان ضعفها، مع تحري الدقة في كشف الشبهة، وإزالة اللبس، ومراعاة قواعد البحث العلمي، وبيان عدم تخصص هؤلاء وبعدهم عن معرفة مناهج المحدثين في التصحيح والتضعيف، وكذا جهلهم بطرائقهم في التصنيف والتأليف.

أما منهجية البحث فكانت على النحو التالي:

. عزوتُ الآياتِ القرآنيةَ إلى مظاهرها في المصحف برواية حفص عن عاصم، مع ذكر اسم السّورة ورقم الآية في المتن.

. حرّجت الأحاديث النبوية من مصادرها الأصليّة تخريجاً علمياً بذكر رقم الحديث، والكتاب، والباب فإذا كان الحديث في الصّحيحين أو في أحدهما فأكتفي بالعزو إليهما لصحّتهما، مع الاعتماد على لفظ البخاري إلا إذا كان في لفظ مسلم زيادة فائدة أو كانت اللفظة محلّ البحث عند مسلم فأشير إلى ذلك بقولي واللفظ لمسلم.

وإذا لم يوجد الحديث في الصّحيحين فأعتمد على بقيّة كتب السنّة المشهورة كالسنن والمسانيد، مع الاجتهاد قدر الإمكان في نقل كلام أهل العلم عليه صحّة وضعفاً.

. عزو الأقوال إلى أصحابها وذلك بذكر المؤلّف، عنوان الكتاب، المحقّق إن وُجد، بلد النشر، دار النّشر، الطبعة، وسنة الطّبع، ثم الجزء والصّفحة، هذا عند الاعتماد على الكتاب لأول مرّة، أما عند إعادة الاعتماد عليه فأكتفي بذكر المؤلّف، وعنوان الكتاب والجزء والصّفحة.

. إذا اعتمدت على مصدر عدّة مرّات متتاليّة في نفس الصّفحة فإنّني أشير إليه بالقول المصدر أو المرجع السّابق دون الحاجة إلى ذكر المؤلّف وعنوان الكتاب، أما إذا فصلّ بين الموضوعين فاصل، أو اعتمدت عليه بعد صفحة أو أكثر فإنّني أعيد ذكر الكاتب وعنوان الكتاب للمشقة التي قد تلحق القارئ في البحث عنه.

. ترجمت في الهامش للأعلام الوارد ذكرهم في المتن بتراجم مختصرة أكتفي فيها بذكر الاسم والكنية، وتاريخ الوفاة وأهم المصنّفات مع الإحالة على المصنّفات التي ترجمت لهم، عدا الصّحابة الوارد ذكرهم

فلم أترجم لهم إلا إذا كان لهم تعلق بصحة الحديث أو ضعفه كما في ترجمة ذي الشمالين، وذي اليمين . رضي الله عنهما .

. شرحت بعض الألفاظ الغريبة أو غير المفهومة معتمدا على كتب اللغة وغريب الحديث .

. إذا اعتمدت على عدة مصادر في مسألة معينة، فإنني أذكر المصدر الذي اعتمدت عليه بصفة مباشرة، ثم أرتب بقية المصادر ترتيبا زمنيا بحسب تاريخ الوفاة .

. إذا اقتبست نصا حرفيا فإنني أضعه بين مزدوجتين، أما إذا تصرفت فيه، أو نقلت فكرة وعبرت عنها فأشير إلى ذلك في الهامش دون وضعه بين مزدوجتين .

. أما طريقة العمل فكانت على النحو التالي :

● عرض الحديث الوارد في المسألة مع الاكتفاء بأحاديث الصحيحين فقط .

● ذكر أهم الانتقادات والشبهات الموجهة للحديث مع نقل أقوال المستشكلين من كتبهم .

● مناقشة الانتقادات والرد عليها بذكر أقوال العلماء وشرح الحديث، مع الاجتهاد بقدر الوسع في رد بعض الشبهات العقلية .

● رفع الإشكال وبيان صحة الحديث المدعى معارضته للضرورة العقلية أو الحسية، أو بيان وجه الجمع بينه وبين النصوص الشرعية التي عارضوه بها .

. ذيلت الرسالة بفهارس علمية تسهيلا للوصول إلى ما حوته من مسائل وهي كالتالي :

. فهرس للآيات القرآنية .

. فهرس للأحاديث النبوية .

. فهرس للأعلام المترجم لهم .

. فهرس للألفاظ الغريبة.

. فهرس للمصادر والمراجع.

. فهرس للموضوعات.

أهم المصادر والمراجع المعتمد عليهما في البحث:

اعتمدت في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع المتنوعة بحسب مباحث الرسالة ومن أهمها:

. الكتب المعاصرة المنتقدة للصّحّاحين، وقد استقرت معظم مراجع الشيعة والقرايين والعقليين المؤلفة في هذا الباب ومن أبرزها أضواء على الصّحّاحين لمحمد صادق النّجّمي، دين السّلطان لنيّازي عز الدين، جناية البخاري لذكريا أوزون، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث لإسماعيل الكردي، صحيح البخاري محرّج الأحاديث محقق المعاني لجواد عفّانة وغيرها من المراجع.

. وفي ردّ الطعون ومناقشتها اعتمدت على كتب تفسير القرآن والتي من أبرزها: تفسير الطّبري والقرطبي وابن كثير، وابن عاشور، وكذا الشّروحات الحديثية والتي من أهمها: شرح صحيح البخاري لابن بطّال، إكمال المعلم للقاضي عيّاض، شرح النووي على صحيح مسلم، فتح الباري للحافظ ابن حجر، وكذا مؤلّفات شيخ الإسلام ابن تيميّة خصوصا في مناقشة الانتقادات والمعارضات العقلية.

. كما اعتمدت على جملة من كتب التاريخ والتّراجم في التعريف بالشيخين والترجمة للأعلام المذكورين في المتن ومن أهمها: سير أعلام النبلاء وتاريخ الإسلام للذهبي، طبقات الشافعية للسبكي، وتهذيب الأسماء واللغات للنوّوي، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي، والأعلام للزّركلي.

. وفي تخرّج الحديث اعتمدت على الصّحّاحين وبعض كتب السنّة المشهورة كالسنن ومسنند أحمد وغيرها، كما اعتمدت على كتب اللّغة وغريب الحديث وكتب أصول الفقه، وسيأتي ذكر جميع الكتب المعتمد عليها في فهرس المصادر والمراجع في نهاية الرّسالة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة الدّراسة تقسيمها إلى مقدّمة وفصل تمهيدي وأربعة فصول تطبيقية، وخاتمة على النّحو التّالي:

المقدّمة: التعريف بالموضوع وأسباب اختياره، والمنهج المعتمد عليه البحث، وأهم مصادر ومراجع البحث.

● الفصل التّمهيدي: ضبط مصطلحات الدّراسة: وفيه ثلاثة مباحث:

● المبحث الأول: مشكل الحديث.

● المبحث الثاني: الصّحّاحان.

● المبحث الثالث: اتّجاهات ومناهج المعاصرين المنتقدين للصّحّاحين في العصر الحديث.

● الفصل الأوّل: الأحاديث المتعلّقة بتوحيد الله وصفاته وفيه خمسة مباحث:

● المبحث الأوّل: رؤية المؤمنين لرّبهم يوم القيامة.

● المبحث الثاني: الموجب لدخول الجنّة . هل هو العمل أو رحمة الله؟

● المبحث الثالث: نزول الله . عزّ وجل . إلى السّماء الدّنيا.

● المبحث الرابع: مخاطبة الله للجنة والنار وإثبات الرجل لله عز وجل.

● المبحث الخامس: مراجعة الرسول ﷺ. لربه على فريضة الصلاة ليلة الإسراء.

□ الفصل الثاني: الأحاديث المتعلقة بالغيب وأشراط الساعة وفيه خمسة

مباحث:

● المبحث الأول: سجود الشمس عند العرش.

● المبحث الثاني: طلوع الشمس من مغربها.

● المبحث الثالث: السؤال عن وقت الساعة.

● المبحث الرابع: عذاب القبر ونعيمه.

● المبحث الخامس: مفاتيح الغيب.

□ الفصل الثالث: الأحاديث المتعلقة بالأنبياء عليهم السلام، وفيه خمسة

مباحث:

● المبحث الأول: حديث سحر النبي ﷺ..

● المبحث الثاني: شفاعة النبي ﷺ..

● المبحث الثالث: سهو النبي ﷺ. في الصلاة.

● المبحث الرابع: طواف سليمان. عليه السلام. على نسائه في ليلة واحدة.

● المبحث الخامس: قصة موسى. عليه السلام. وملك الموت.

❑ الفصل الرابع: الأحاديث المتعلقة بالمرأة، وفيه خمسة مباحث:

● المبحث الأول: حديث ناقصات عقل ودين.

● المبحث الثاني: حديث لولا حواء لم تكن أنثى زوجها.

● المبحث الثالث: حديث أنّ النساء أكثر أهل النار.

● المبحث الرابع: حديث خلقت المرأة من ضلع.

● المبحث الخامس: أحاديث متعلقة بالحياة الزوجية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج المتوصل إليها، وبعض التوصيات التي عنّ لي أنّها تحتاج إلى مزيد من البحث والتحقيق.

وفي الختام أضع هذا البحث بين يدي أساتذتنا الكرام الذين ساهروا على تعليمنا وتأديبنا طوال هذه السنوات في هذه الكلية المباركة، وأقول لهم هذا جهد المقلّ أضعه بين أيديكم طالبا منكم تسديدي وإرشادي فيما ندّى عني، أو لم تصله يدي، فالأذان صاغية، والقلوب متقبلة، ولست أدعي أنّه مبراً من الزلل والنقص والخلل فذلك من طبيعة عمل البشر، فالله أسأل أن يوفّقني في بحثي هذا فهو الموفّق والهادي إلى سواء السبيل، وأسأله أن يجعله خالصاً لوجهه، فإنّه خير مأمول وأكرم مسؤول، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.



كتبه ابن الكلية : الطالب بوزينة عبد القادر

الفصل التمهيدي: ضبط مصطلحات البحث

● المبحث الأول: مشكل الحديث

● المبحث الثاني: الصححان

● المبحث الثالث: اتجاهات ومناهج المعاصرين المنتقدين
للصحيحين

لقد اتفق المتقدمون والمتأخرون من أهل العلم على أنّ البخاريّ ومسلما من أعلام السنّة المشهود لهما بالعلم والتقدّم، ومن علماء الحديث وروّاده، وأنّ لهما قدم السبق في التّأليف في الصحيح المجرد؛ ولذلك تلقت الأمة كتابيهما بالقبول، وقدمتهما على سائر كتب الحديث، وأقبل العلماء عليهما بالحفظ والشرح والاختصار والاستدراك، وحقّ لهما ذلك فهما أول ما صنّف في الصحيح، كما قال صاحب الألفية:

أول من صنّف في الصحيح محمدٌ وخُصّ بالترجيح

ومسلمٌ بعدُ وبعضُ الغربِ معَ أبي عليٍّ فضّلوا ذا لو نفع⁽¹⁾.

كما أنّهما أصحّ كتابين بعد كتاب الله - عزّو جل - ولا يوجد في الدنيا كتاب - بعد كتاب الله - وجدت له هذه الرتبة والمزية غيرهما، بل إن الصدور تنشرح، والنّفوس تطمئنّ عند سماع اسميهما، ولعلّ الله كتب لهما القبول في الأرض لما قدماه من خدمة لسنة المصطفى - ﷺ - وما زالت الأجيال تتابع على خدمتهما، والعناية بحفظهما واستخراج كنوزهما وما تضمّناه من نكت وفوائد ودرر حيّرت العقول، واضطربت فيها أفهام النظّار، حتّى جاء في هذا العصر المتأخّر من ينادي بضرورة إعادة النّظر في أحاديثهما، وأنها ليست كلّها صحيحة خصوصا من جهة متونها، وأنّ المحدثين لم يهتموا بنقد المتن وإنما كان جلّ اهتمامهم بنقد الأسانيد، كما أنّ العصمة ليست إلا لكتاب الله - عزّ وجل - طارقين باب مشكل الحديث للولوج إلى التشكيك في أحاديث سيّد المرسلين - ﷺ - وقد وضعت هذا الفصل التمهيدي للكلام على مشكل الحديث وعناية العلماء به، وكذا الصّحّاحين ومكائنتهما عند علماء الأمة، ثم الكلام على اتجاهات ومناهج المنتقدين للصّحّاحين في العصر الحديث.

¹ - السّخاوي، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث تحق: عبد الكريم الخضير، ومحمد بن عبد الله بن فهيد (الرياض، مط: مكتبة دار المنهاج، ط: 1، سنة: 1426هـ) مج: 1، ص: 2. والبيتان للحافظ العراقي في ألفيته والتي تشتهر بين العلماء بألفية الحديث، وألفية العراقي، والتبصرة والتذكرة.

المبحث الثاني: مُشكِـل الحديث

المطلب الأول: تعريف

● المشكِـل

__ لغة: يطلق المشكِـل في اللّغة على عدّة معان منها:

المختلط والمشتبه: تقول أشكل علي الأمر إذا اختلط بغيره، ويقال للأمر المشتبه: مشكل والأشكل عند العرب اللّونان المختلطان.

فما زالت القتلى تمور دماؤها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل⁽¹⁾

وتقول العرب للإبل والغنم الذي يختلط سواده حمرة أو غيره أشكل أي: أشكل عليك لونه لما اختلط⁽²⁾.

الملتبس: نحو أشكل الأمر إذا التبس، وأمور أشكال ملتبسة، وبينهم أشكلّة أي: لبس⁽³⁾

ومنه: أعجمت الكتاب إذا نقطته ويقال للحرف مشكِـل إذا اشبهه والتبس⁽⁴⁾.

¹ - الخليل ابن أحمد، العين، تحق: عبد الحميد هندراوي (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1424هـ/ 2003م) ج:2، ص:350. الأنباري، الزاهر في معاني كلمات النَّاس، تحق: حاتم صالح الضّامن (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1412هـ/ 1992م) ، ج:2، ص: 151، / الأزهرى، تهذيب اللّغة ، تحق: علي حسن هلايلى ومحمد علي النجار (القاهرة، مط: الدار المصرية للتأليف والترجمة) ج: 10، ص: 22.

² - ابن منظور، لسان العرب، تحق: عبد الله علي الكبير (مط: دار المعارف، د ط، د ت) مع: 4، ص: 2310.

³ - المصدر السابق، مع: 4، ص: 2310.

⁴ - الأزهرى، تهذيب اللغة، ج: 10، ص: 25، / ابن منظور، لسان العرب، مع: 4، ص: 2311.

قال ابن فارس⁽¹⁾: "الثَّين والكاف واللام معظم بابه المماثلة تقول: هذا شكل هذا أي مثله، ومن ذلك يقال أمر مشكل كما يقال مشتبه."⁽²⁾

وعليه فالمعنى اللغوي للمشكّل يدور حول هذه المعاني: الاختلاط، والاشتباه، والالتباس.

اصطلاحاً:

لقد تناول الأصوليون المشكل وبيّنوا معناه وليس مرادهم به مشكل الحديث فقط بل مرادهم ما أشكل معناه من النصوص بصفة عامة قال السرخسي⁽³⁾: "هو اسم لما يشتهب المراد منه بدخوله في أشكاله على وجه لا يعرف المراد إلا بدليل يميّز به من بين سائر الأشكال."⁽⁴⁾

و قال الشاشي⁽⁵⁾: "هو ما ازداد خفاء على الخفيّ كأنّه بعدما خفيّ على السامع حقيقة دخل في أشكاله وأمثاله حتى لا ينال المراد إلا بالطلب ثم بالتأمّل حتى يميّز عن أمثاله."⁽⁶⁾

1 - هو: أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسن الزّازي المالكي اللغوي، كان كاملاً في الأدب فقيهاً مناظراً، له تصانيف بديعة، ورسائل مفيدة، منها الجمل في اللغة، ومقاييس اللغة توفي في صفر، سنة خمس وتسعين وثلاثمائة (395هـ). ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت، مط: دار الكتاب العربي، ط: 1، سنة: 1412هـ. 1992م)، ج: 27، ص: 309، / عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، (بيروت، مط: دار إحياء التراث، العربي، د ط، د ت) ج: 1، ص: 40.

2 - ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام محمد هارون (مط: دار الفكر، د ط، سنة: 1399هـ / 1979م)، ج: 3، ص: 204.

3 - هو: محمد بن أحمد بن سهل أبو بكر شمس الأئمة قاض من كبار الأحناف، مجتهد من أهل سرخس (في خراسان) من أشهر مصنّفاته: المبسوط في الفقه، وشرح السّير الكبير للإمام محمد، كانت وفاته سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة (483هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام (بيروت، مط: در العلم للملايين، ط: 1، سنة: 2002) ج: 3، ص: 315.

4 - السرخسي، أصول السرخسي، تحق: أبو الوفاء الأفغاني (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1414هـ / 1993م) ج: 1، ص: 168.

5 - هو: أحمد بن محمد بن إسحاق أبو علي الفقيه الشاشي، شيخ الحنفيّة بعد شيخه الكرخي، كان كبير القدر عارفاً بالمذهب، توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة (344هـ) ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد تحق: بشار عوّاد معروف (بيروت، مط: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2002م) ج: 6، ص: 60 / الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 25، ص: 291.

6 - أبو علي أحمد بن إسحاق الشاشي، أصول الشاشي، تحق: محمد الخليلي (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1424هـ / 2003م) ص: 56.

قال الجرجاني⁽¹⁾: "مالا ينال المراد منه إلا بتأمل بعد الطلب، وهو الدّاخل في أشكاله أي: أمثاله⁽²⁾. ويظهر من مجموع التعريفات عند الأصوليين أنّ المشكل ما خفي معناه، فلم يظهر المراد منه إلا بعد التأمل، أو من دليل منفصل، ويعبر عنه بعض الأصوليين بالمشابه، قال أبو الوليد الباجي⁽³⁾: المشابه هو المشكل الذي يحتاج في فهم المراد إلى به تفكّر وتأمل⁽⁴⁾.

وقد استعمل المشكل بمعناه عند الأصوليين، وكذا بمعناه اللغوي بعض من صنّف في مشكل الحديث وهو صنيع ابن الجوزي في كتابه كشف المشكل من حديث الصحّاحين حيث شرح الألفاظ الغريبة والمبهمّة وذكر دلالتها وسيأتي الكلام على كتابه عند الكلام على أهمّ المصنّفات في هذا الفنّ.

• الحديث

__ لغة: الجديد، وهو ضد القديم ويطلق على القليل والكثير، ويجمع على أحاديث كقطع وأقاطع وهو شاذ على غير قياس⁽⁵⁾.

__ اصطلاحاً: هو ما أضيف إلى النبيّ. صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. من قول أو فعل أو تقرير، أو وصف خَلْقِي، أو خَلْقِي⁽⁶⁾.

- 1 - هو: علي بن محمد بن علي، المعروف بالشّريف الجرجاني: فيلسوف. من كبار العلماء بالعربية، وقد اشتهر بكتابه التعريفات، كانت وفاته سنة ست عشرة وثمانمائة (816هـ) ينظر: الزركلي، الأعلام ج: 5، ص: 7.
- 2 - الجرجاني، التعريفات (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1403هـ / 1983م) ص: 215.
- 3 - أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي اشتهر بكتابه المنتقى شرح الموطأ، توفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة (474هـ) ينظر: القاضي عيّاض، ترتيب المدارك، تحقق: محمد سالم هاشم، (بيروت، مط: دار لكتب العلمية، ط: 1، سنة 1418هـ / 1998م) ج: 2، ص: 347. / ابن بشكوال، الصلّة، تحقق: إبراهيم الأبياري (القاهرة، مط: دار الكتاب المصري، ط: 1، سنة: 1410هـ / 1989م) ج: 1، ص: 319.
- 4 - الباجي، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقق: عبد المجيد زكي (ط: 1، سنة، 1407هـ) ج: 1، ص: 176.
- 5 - ابن منظور، لسان العرب، مج: 3، ص: 797 / ابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث، تحقق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي (بيروت، مط: المكتبة العلميّة، سنة: 1399هـ / 1979م) ج: 1، ص: 150.
- 6 - نور الدين عتر، منهج النّقْد في علوم الحديث (دمشق، مط: دار الفكر، ط: 3، سنة: 1401هـ / 1989م) ص: 27، / محمد أبو شهبّة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، (جدة، مط: دار عالم المعرفة، د ط، د ت) ص: 15.

على خلاف بين العلماء في حدّه بين من قصره على أقوال النبي ﷺ . وأفعاله، ومنهم من جعله شاملاً للقول والفعل والتقرير، ومنهم من أدرج فيه الموقوف، والمقطوع⁽¹⁾.

وأما تعريفه باعتباره علماً ولقباً على ذلك النوع من أنواع علوم الحديث، فلم يعرفه المتقدمون بحدّ وإنما يفهم من بعض إشاراتهم وكذا من طريقة تعاملهم معه من الناحية التطبيقية، وكان من بين أبرز من تكلم في هذا الفنّ ابن قتيبة الدينوري⁽²⁾ في كتابه تأويل مختلف الحديث وقد بين أنّ سبب تأليفه " هو طعن أهل الكلام في المحدثين ورميهم برواية المتناقض حتى وقع الاختلاف وكثرت النحل"⁽³⁾ فهذا الكلام مع عنوان الكتاب والذي هو مختلف الحديث يشير إلى أنه قصد التأليف في المختلف، لكن الكتاب من الناحية التطبيقية جله في مشكل الحديث، وابن قتيبة وإن لم يشر إلى حدّ المشكل، فإنّه أكثر من تناول هذا الفنّ وطبّق قواعده، حيث تكلم فيه عن الأحاديث التي ادعيّ عليها التناقض، والأحاديث التي قيل إنّها تعارض القرآن، والأحاديث التي قيل إنّها تخالف النظر وحجّة العقل، ويمكن القول - جمعا بين عنوان الكتاب وما تناوله الكتاب من قواعد - أنّ ابن قتيبة لا يفرّق بين المشكل والمختلف وأنّ مختلف الحديث هو نفسه مشكل الحديث، كما يمكن استخلاص تعريف

¹ - للمزيد ينظر: ابن تيمية، علم الحديث، تحق: موسى محمد علي، (بيروت، مط: دار عالم الكتاب، ط: 2، سنة: 1405هـ/ 1985م) ص: 55/ السيوطي، تدريب الراوي شرح تقريب النووي، تحق: أبو قتيبة نظر محمد الفريابي (بيروت، مط: مكتبة الكوثر، ط: 2، سنة: 1415هـ) ج: 1، ص: 29/ طاهر الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحق: عبد الفتاح أبو غدة (بيروت، مط: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط: 1، سنة: 1416هـ/ 1995م) ج: 1، ص: 37، محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث (الجزائر، مط: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، سنة: 1989م) ص: 26.

² - هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الكاتب الدينوري كان فاضلاً ثقة ، صاحب التصانيف المشهورة منها: مشكل القرآن، عيون الأخبار، تأويل مختلف الحديث، توفي سنة ست وسبعين ومائتين (276هـ). ينظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج: 11، ص: 411/ ابن العماد شذرات الذهب، ج: 3، ص: 318. و" الدينوري" بكسر الدال، وسكون الياء، وفتح النون والواو وفي آخرها راء نسبة إلى الدينور وهي بلدة من بلاد الجبل . ينظر: عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، الأنساب، تحق: عبد الله عمر البارودي (بيروت، مط: دار الجنان، ط: 1، سنة: 1408هـ/ 1988م) ج: 2، ص: 531.

³ - ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث ، تحق: محي الدين الأصفري (بيروت، مط: المكتب الإسلامي ط: 2، سنة: 1419هـ/ 1999)، ص: 47.

مشكل الحديث عند ابن قتيبة مما سبق بأنه " الحديث الذي يوهم ظاهره التعارض مع نص شرعي أو مع الإجماع أو القياس، أو النظر وحجة العقل.

__ أما الطحاوي⁽¹⁾ فأشار إلى معناه في كتابه مشكل الآثار فقال - رحمه الله -:

"فإني نظرت في الآثار المروية عنه . ﷺ . بالأسانيد المقبولة التي نقلها ذوو التثبيت فيها والأمانة عليها، وحسن الأداء لها، فوجدت فيها أشياء مما سقطت معرفته والعلم بما فيه من أكثر الناس، فمال قلبي إلى تأملها، وتبين ما قدرت عليه من مشكلها ومن استخراج الأحكام التي فيها ومن نفي الإحالات عنها"⁽²⁾.

فقد أشار الإمام الطحاوي في هذا إلى عدة أمور منها:

1- كونها آثراً أو أخباراً مروية عن رسول الله . ﷺ . لأنّ المشكل علم خاص بما روي عن رسول الله . ﷺ . .

2- أن يكون رواية هذه الآثار عدولاً ضابطين، وهو يومئ بكلامه هذا إلى أنّ الكلام في المشكل خاص بالأحاديث الصالحة للاحتجاج، أمّا إذا فقد الرواية هذه الشروط فينزل الحديث إلى مرتبة الضعيف، ولا يعارض غيره من النصوص الشرعية، والقواعد العامة؛ لأنّه مردود ابتداءً.

3- وجود ما يشعر بالإحالات في هذه الأحاديث، أي ظاهر النص يوحي أو يدل على معان مستحيلة، وذلك لمعارضته للأدلة الشرعية، أو معارضته للعقل والحس.

1 - هو : أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الأزدي الفقيه الحنفي، صاحب التصانيف المشهورة منها: شرح معاني الآثار، شرح مشكل الآثار، توفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة (321هـ) ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحق: إحسان عباس(بيروت، مط: دار صادر، د ط، د ت) ، ج: 1، ص: 27/ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحق: عبد القادر ، ومحمود الأرنؤوط (بيروت ، مط: دار ابن كثير ، ط: 1، سنة 1403هـ / 1983م) ، ج: 4، ص: 105.

2 - الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحق: شعيب الأرنؤوط(بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1415هـ / 1994م)، ج: 1، ص: 6.

- كما ذكره الحاكم أبو عبد الله⁽¹⁾ في النوع التاسع والعشرين من علوم الحديث فقال - رحمه الله :-
"هذا النوع من هذه العلوم: معرفة سننٍ لرسول الله - ﷺ - يعارض مثلها، فيحتج أصحاب المذاهب
بأحدهما وهما في الصحة والسقم سيان"⁽²⁾.

وهذا الذي ذكره الحاكم هو تعريف لمختلف الحديث، والحاكم لم يصحح أنه قصد مختلف الحديث
أو مشكل الحديث، فنقله بعض المتأخرين أنه تعريف لمختلف الحديث، ونقله البعض على أنه تعريف
للمشكل وهذا على أساس عدم التفريق بين الفنين، وإن كانت هناك فروق ظاهرة بين مشكل
ومختلف الحديث ستأتي الإشارة إليها.

- كما أشار أبو بكر بن فورك⁽³⁾ إلى معناه في كتابه مشكل الحديث حيث قال: " نذكر فيه ما
اشتهر من الأحاديث المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يوهم ظاهره التشبيه مما يتسلك به
الملحدون على الطعن في الدين"⁽⁴⁾.

وقد أشار ابن فورك في كتابه إلى نوع من أنواع المشكل فقط، ولكنّ كلامه فيه إشارة واضحة إلى
بعض قيود مشكل الحديث فقوله: ما اشتهر من الأحاديث يشير به إلى ضرورة صحة الأحاديث لأنّ
الضعيف مردود ابتداءً ولا يهم أن يكون لفظه مشكلاً أو لا.

1 - هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه المشهور بابن البيع، صاحب المستدرک علی الصحیحین، توفي سنة خمس وأربعمائة . ينظر الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج: 2، ص: 1039.

2 - الحاكم أبو عبد الله، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، تحقق: أحمد بن فارس السلوم (بيروت، مط: دار ابن حزم، ط: 1، سنة: 1424هـ / 2003م) ص: 379.

3 - هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك ، المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الأصبهاني، صاحب المصنّف المشهور مشكل الحديث وبيانه ، كانت وفاته سنة ست وأربعمائة . ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ، ج: 4، ص: 272 / الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقق: شعيب الأرنؤوط (بيروت مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1 سنة: 1403هـ / 1983م) ج: 17، ص: 214. و"فورك": بضم الفاء وسكون الواو وفتح الراء هو: اسم علم.) ينظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج: 4، ص:

273

4 - أبو بكر بن فورك، مشكل الحديث ، تحقق: موسى محمد علي (مط: حسان، د ط، دس) ص: 32.

وقوله: ممّا يوهّم ظاهره مراده أنّ: التعارض الموجود بين الحديث وما يناقضه هو تعارض ظاهري في ذهن المجتهد وليس تعارضاً حقيقياً، لأنّ التناقض بين نصوص الشريعة لا وجود له في الواقع. هذا وقد استفاد المعاصرون الذين تكلموا في مشكل الحديث من إشارات الطحاوي وابن فورك، ومن عمل ابن قتيبة في كتابه وعرفوه بعدة تعاريف منها :

1- تعريف د. نور الدين عتر: " هو ما تعارض مع القواعد فأوهم معنى باطلاً، أو تعارض مع نص شرعي آخر" (1).

2 - تعريف د. أسامة خياط: " مشكل الحديث هو: أحاديث مروية عن رسول الله ﷺ . بأسانيد مقبولة يوهّم ظاهرها معاني مستحيلة، أو معارضة لقواعد شرعية ثابتة" (2).

3 - تعريف د. محمد طاهر الجواي: " الحديث المشكل هو: حديث صحيح بدا معارضاً بدليل مقبول وقبل التأويل، أو كان مما لا يعلم تأويله" (3).

4- تعريف د. أبو الفتح بيانوني: " الأحاديث المقبولة التي توهم التعارض مع غيرها من الأدلة والقواعد الشرعية والعقلية أو الحقائق العلمية والتاريخية" (4).

5- تعريف د. شرف القضاة: " هو الحديث الذي يخالف دليلاً شرعياً أو حسيّاً أو عقليّاً" (5).

1 - نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث، ص: 337.

2 - أسامة خياط، مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء، (الرياض، مط: دار الفضيلة، ط 1، سنة: 1421هـ/ 2001م)، ص: 32.

3 - محمد طاهر الجواي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف (تونس، مط: عبد الكريم بن عبد الله، د ط) ص: 414.

4 - أبو الفتح بيانوني، أسباب استشكال متن الحديث الشريف (الرياض، مجلة العلوم الشرعية، العدد: 17، شوال: 1431هـ) ص: 18.

5 - شرف القضاة، علم مختلف الحديث أصوله وقواعده (مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، مجلد: 28، العدد: 2، سنة: 2001)، ص: 7.

ويمكن القول من مجموع هذه التعريفات أنّها لم تأت بتعريف جامع لأنواع مشكل الحديث، وإن كان بعضها أقرب إلى معنى المشكل من بعض، ولعلّ سبب اختلافهم في تحديد تعريف له هو اختلافهم في هل المشكل هو نفسه مختلف الحديث، أو هو مباين له؟ وعليه يمكن القول أنّ تعريف نور الدّين عتر وشرف القضاة لم يشترط كون الحديث مقبولا، بل انتقد القضاة من اشترط هذا الشرط ورأى أنه غير لازم ولا علاقة له بالتعريف.

وهذا الذي ذكره مردود لأنّ عدم اشترط المقبول يعني إدراج الضّعيف في هذا الفنّ، ومعلوم أنّ الضّعيف مردود ابتداء فكيف يعارض به نص صحيح أو آية من كتاب الله . عزّ وجلّ ..

كما لم يقيّد الدكتور شرف القضاة التعارض بكونه تعارضا ظاهريا ومن المعلوم أنّ التعارض هو فيما يظهر لنا، ويتبيّن من اجتهادنا أما في حقيقة الأمر فلا يوجد تعارض لأنّ المنقول وحي من عند الله فلا يمكن أن يتعارض، كما أنّ صحيح المنقول لا يمكن أن يعارض صريح المعقول، وإن لم يتمكّن المجتهد من التوفيق بين الأدلّة المتعارضة فعليه أن يتّهم عقله بالقصور، لا أن يتناول على الصّادر من المعصوم . ﷺ ..

أما تعريف الجوابي فيؤخذ عليه اشتراطه كون الحديث صحيحا وهذا غير لازم بل الأولى التعبير بالمقبول ليشمل الصّحيح والحسن؛ لأنّ الصّحيح مثل الحسن من حيث الحجية⁽¹⁾، وإن كان لا يلحقه في الرتبة.

وأما تعريف أسامة خياط، و بيانوني فيؤخذ عليهما تعبيرهما بالجمع (أحاديث مروية)، ومعلوم في مشكل الحديث أنّ الإشكال قد يكون في حديث بعينه، كما أنّ أسامة خياط لم يذكر معارضة الحديث للنصوص الشرعية من آية أو حديث.

ويمكن من خلال إشارات المتقدّمين وتعاملهم مع هذا الفنّ، وكذا بالنظر إلى تعريفات المتأخّرين أنّ

¹ - قال الحافظ العراقي في ألفيته : وهو بأقسام الصّحيح ملحق *****حجية وإن يكن لا يلحق . ينظر: الحافظ العراقي، ألفية الحديث، (بيروت، مط: الرسالة، ط: 1، سنة: 1423هـ/2002م)ص: 12.

نعرف مشكل الحديث: " هو الحديث المقبول الذي يوهم ظاهره التعارض مع دليل شرعي، أو أمر عقلي أو حقيقة علمية أو حسية ".
شرح التعريف:

. الحديث المقبول: التعبير بالمقبول ليشمل الصحيح والحسن؛ لأن كليهما صالحان للاحتجاج، وهذا القيد يخرج المردود بمختلف أنواعه كالضعيف والموضوع، فلا يستشكل الضعيف فما دونه؛ لأنه مردود ابتداء فلا يشتغل به في مشكل الحديث. قال الإمام الشافعي " وجماع هذا أن لا يقبل إلا حديث ثابت ...، فإذا كان الحديث مجهولاً أو مرغوباً عمّن حمله كان كما لم يأت؛ لأنه ليس بثابت" (1).

. يوهم ظاهره التعارض: هذا القيد يخرج به التعارض الحقيقي؛ لأنّ التعارض الموجود هو بالنسبة إلى المجتهد أو الناظر في الأدلة وذلك لاختلاف وتفاوت أفهام ومدارك المجتهدين ولهذا قال الشاطبي " ولذلك لا تجد البتة دليلين أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف؛ لكن لما كان أفراد المجتهدين غير معصومين من الخطأ؛ أمكن التعارض بين الأدلة عندهم" (2).
 . دليل شرعي: من قرآن أو سنة أو إجماع أو قياس.

. أمر عقلي: والمراد بالعقل هنا العقل السليم المتقيد بقواعد الشرع لا العقل المتبع للهوى والجاهل لقواعد الشرع، لذلك لا يمكن أن يوجد تعارض حقيقي بين صحيح المنقول و صريح المعقول، فإن عجزنا عن التوفيق بين المعقول والمنقول فهذا يعني أنّ العقل غير صريح أو أنّ النقل غير صحيح (3).
 . حقيقة علمية: والمراد به العلم القطعي، أو الحقائق العلمية القطعية الثابتة، وليست النظريات المتحوّلة والمتغيرة والتي تحتمل الخطأ والصواب كما يمكن أن تنقض بفرضيات ونظريات جديدة (4).

1 - الشافعي، اختلاف الحديث، (بيروت، مط: مؤسسة الكتب الثقافية، ط: 1، سنة: 1405هـ / 1985م) ص: 65.

2 - الشاطبي، الموافقات، تحق: عبد الله دراز، (مط: دار الفكر، دط، دت) ج: 4، ص: 294.

3 - ينظر: أبو الفتح بيانوني، أسباب استشكل الحديث، ص: 49.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص: 55.

. حقيقة حسية: والمراد بها الواقع المشاهد، والنصوص الصحيحة الثابتة لا يمكن أن تكون متصادمة مع الواقع، لأنّ شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان، فإذا وُجد في الحديث ما يوهم التعارض مع الواقع المشاهد فلا بدّ من النظر والتأمّل للتوفيق بينهما، ولكن مما يحسن التنبيه عليه هنا أنّ أمور الغيب لا علاقة لها بهذا القيد فهيّ خارجة عن قدرة الإنسان وعلمه، لأنّ بعض الكتاب قد استغلّوا هذا القيد للطعن في كثير من النصوص المتعلقة بالغيب كعذاب القبر مثلاً وحثّهم أنّه مخالف للواقع، فهذه من أمور الغيب التي لا يعلمها إلا الله . عزّ وجلّ ..

المطلب الثاني: الفرق بين مشكل الحديث ومختلف الحديث

قبل بيان الفرق بين مشكل الحديث ومختلف الحديث وذكر من ميّز بينهما ومن جعلهما فناً واحداً، لا بدّ من بيان حدّ المختلف في اللغة والاصطلاح، وبيان مسالك العلماء في التعامل معه حتى تتبيّن لنا أهم وجوه الاختلاف بينهما .

تعريف مختلف الحديث

لغة: مأخوذ من الاختلاف وهو ضد الاتفاق" يقال تخالفا الأمران واختلفا أي: لم يتّفقا، وكل ما لم يتساوى فقد تخالفا واختلف⁽¹⁾.

والمختلف بكسر اللام أولى من فتحها فهو اسم فاعل من اختلف والإضافة بمعنى المختلف من الحديث⁽²⁾.

اصطلاحاً: قال الشافعي: "المختلف ما لم يمض إلاّ بسقوط غيره، مثل أن يكون الحديثان في الشيء الواحد هذا يحلّه وهذا يحرمه"⁽³⁾.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، مادة (خلف)مج: 2، ص: 1240./ الفيروز أبادي، القاموس المحيط، (القاهرة، مط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، سنة: 1399هـ/ 1979م)، ج: 3، ص: 133.

² - أبو شهبه، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص: 441.

³ - الإمام الشافعي، الرسالة، تحق: أحمد شاكر (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، د ط، د ت) ص: 342.

قال الحاكم أبو عبد الله في النوع التاسع والعشرين من علوم الحديث: "هذا النوع من هذه العلوم: معرفة سنن رسول الله ﷺ - يعارض مثلها، فيحتج أصحاب المذاهب بأحدهما وهما في الصحة والسقم سيان⁽¹⁾

قال النووي: "هو أن يأتي حديثان متضادان في المعنى ظاهراً فيؤق بينهما أو يرجح أحدهما"⁽²⁾.

ومن خلال هذه التعاريف يمكن القول أن مختلف الحديث هو حديث مقبول عارضه مثله في الظاهر فيؤق بينهما، إن أمكن، وإن لم يمكن بوجه فإن علمنا أحدهما ناسخاً قدمناه، وإلا عملنا بالراجح كالترجيح بصفات الرواة وكثرتهم.⁽³⁾ وهذا على خلاف بين الجمهور و الحنفية في ترتيب مسالك دفع التعارض بين الحديثين⁽⁴⁾.

الفرق بين مشكل الحديث ومختلف الحديث

لا بد من الإشارة إلى أن جل من صنّف أو تكلم في هذا الفن تكلم عليه أثناء كلامه على مختلف الحديث، الذي جعله علماء المصطلح نوعاً من أنواع علوم الحديث وذلك لأنهم جعلوا المختلف والمشكل نوعاً واحداً.

وأما المصنّفات والكتب التي أفردت هذا الفن بالتصنيف فهي على قسمين:

— كتب فيها عدم تمييز بين مختلف الحديث ومشكل الحديث، منها مصنّف ابن قتيبة في "تأويل مختلف الحديث" ومثله الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" حيث ضمنا كتابيهما الكلام في المشكل

1 - الحاكم، معرفة علوم الحديث، ص: 379.

2 - السيوطي، تدريب الراوي شرح تقريب النووي، ج: 2، ص: 651.

3 - ينظر: المصدر السابق، ج: 2، ص: 657.

4 - ذهب الجمهور إلى تقديم الجمع، فإن تعدد الجمع يسار إلى النسخ وذلك بالنظر في التاريخ فإن علم المتقدم من المتأخر فيعمل بالمتأخر ويطرح المتقدم وإن لم يقد دليل على أن أحدهما ناسخ للأخر فيرجح أحدهما بأوجه الترجيح المعروفة، وإن لم يستطع الاجتهاد الترجيح بينهما لتكافؤهما في القوة أو لانتفاء علمه عند حد لم يستطع معه المزيد فإنه يتوقف فيهما حتى يتبين له وجه الحق فيهما. وذهب الحنفية إلى تقديم النسخ بجميع صورته، وإلا فالترجيح فإن تعدد فيحاول الاجتهاد الجمع بينهما، فإن تعدد النسخ و الترجيح والجمع فالتساقط. للمزيد ينظر: أبو عمر ابن الصلاح، علوم الحديث، تحقق: نور الدين عتر =

والمختلف، ومن المتأخرين الكتّابي⁽¹⁾ في الرسالة المستطرفة حيث قال: "ومنها كتب في اختلاف الحديث أو تقول في تأويل مختلف الحديث أو تقول في مشكل الحديث أو تقول في مناقضة الأحاديث"⁽²⁾، وممن لم يفرّق بينهما أيضا نور الدين عتر، قال: "مختلف الحديث وربما سماه المحدثون مشكل الحديث"⁽³⁾. ومحمد أبو زهو في كتابه "الحديث والمحدثون"⁽⁴⁾، وصبحي إبراهيم الصّالح في كتابه "علوم الحديث ومصطلحه"⁽⁵⁾.

— أما الإمام الشافعي وهو أول من صنّف في علم مختلف الحديث، فقد اقتصر في كتابه على الأحاديث التي بينها تعارض في الظاهر فجاء مضمون الكتاب مطابقا لعنوانه في الغالب⁽⁶⁾، ومن

= (دمشق، مط: دار الفكر، د ط، سنة 1406هـ/1986م)، ص: 286/ السيوطي، تدريب الراوي، ج: 2، ص: 652/ السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تحق: عبد الكريم الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهد (الرياض، مط: دار المنهاج، ط: 1، سنة: 1426هـ) ج: 3، ص: 475/ أبو الحسن البصري، المعتمد في أصول الفقه، تحق: أحمد بكير، حسن حنفي (بيروت، مط: المطبعة الكاثوليكية، د ط، سنة: 1385هـ/1965م) ج: 2، ص: 672/ ابن أمير الحاج، التقرير والتّحجير (بيروت، مط: دار الكتب العلميّة، ط: 1، سنة: 1419هـ/1999م) ج: 3، ص: 3.

¹ - محمد بن جعفر بن ادريس بن محمد الرّمزمي بن الفضيل بن العربي بن محمد فتحا بن علي الكتّابي محدث، راوية، مؤرخ، فقيه، ولد بفاس، ورحل إلى بيروت ودمشق، من مصنّفته: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، نظم المتناثر من حديث المتواتر، وتوفي بفاس في 16 رمضان، سنة ألف وثلاثمائة وخمس وأربعين (1345هـ). ينظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلّفين، ج: 3، ص: 192.

² - الكتّابي، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، (بيروت، مط: دار البشائر، ط: 6، سنة: 1421هـ/2001م) ص: 158.

³ - منهج النقد في علوم الحديث، ص: 337.

⁴ - محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون (الرياض، ط: 2، سنة: 1404هـ/1984م) ص: 471.

⁵ - إبراهيم الصّالح، علوم الحديث ومصطلحه، (بيروت، مط: دار الملايين، ط: 15، سنة: 1984) ص: 111.

⁶ - ينظر: أسامة خياط، مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء، ص: 35/ سعد فحان الدوسري، قواعد رفع الاختلاف في الحديث النبوي (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1432هـ / 2011)، ص: 42.

المتأخرين الذين ميّزوا بينهما أبو شهبه قال: "والحق أنّ بين المشكل والمختلف فرقاً"⁽¹⁾ ، ومنهم عبد المجيد محمود عبد المجيد، وأسامة خياط⁽²⁾

ومن خلال النّظر في تعريف المشكل والمختلف، وكذا من خلال ما كُتب في هذين الفئتين من مصنّفات عنّي لي أنّ هناك فروقا ظاهرة جليّة يميّز بها كل واحد عن الآخر، وهذه الفروق هي:

— **من حيث اللّغة:** فالمشكل هو المختلط والمشتبه والمتبس، بينما المختلف مأخوذ من الاختلاف وهو التّعارض والتّمانع بين الأمرين، وقد يطلق على المشكل المختلف **قال الخليل بن أحمد:**"⁽³⁾ يقال أشكل الأمر إذا اختلف"⁽⁴⁾ ، فالاختلاف نوع من أنواع المشكل.

— **من حيث سبب الاختلاف:** فالمختلف سببه التّعارض الظّاهري بين حديثين مقبولين كما عرفه العلماء، بينما المشكل له صور كثيرة منها: مخالفة الحديث لظاهر القرآن، مخالفة الحديث لحديث مثله، معارضة الحديث للإجماع، و معارضة الحديث للعقل ، وكذا معارضة الحديث للحقائق العلميّة والحسيّة وغيرها .

— **من حيث الحكم:** أمّا من حيث حكم التّعامل معه فإنّ مختلف الحديث له مسالك معيّنة عند العلماء وهي الجمع، والنّسخ والتّرجيح، وهذا على خلاف بين الجمهور والحنفيّة في أيّ المسالك أولى بالتّقديم⁽⁵⁾ **قال ابن الصّلاح:** " اعلم أن ما يذكر في هذا الباب ينقسم إلى قسمين:

1 - الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، ص: 442.

2 - ينظر: عبد المجيد محمود ، نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث (بيروت، مط: دار البشائر الإسلامية، ط: 2، سنة: 1413هـ / 1992 م) ص: 68/ ومختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء، ص: 39.

3 - هو إمام اللّغة العروض والنّحو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي، صاحب كتاب العين، كان خيرا ثقة متواضعا قال ابن الأهدل " الإجماع منعقد أنه لم يكن أحد أعلم بالنّحو من الخليل، توفيّ سنة سبعين، وقيل خمس وسبعين ومائة (175هـ). ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 7، ص: 429/ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: 2، ص: 321.

4 - الخليل بن أحمد، العين، ج: 2، ص: 350.

5 - سبق الإشارة إلى الخلاف في الهامش من الصفحة: 12.

أحدهما: أن يمكن الجمع بين الحديثين، ولا يتعدّر إبداء وجه ينفي تنافيهما، فيتعيّن حينئذ المصير إلى ذلك والقول بهما معا... والثاني: أن لا تقوم دلالة على أنّ النّاسخ أيّهما والمنسوخ أيّهما، فيفزع حينئذ إلى التّرجيح، ويعمل بالأرجح منهما والأثبت..⁽¹⁾.

قال التّووي: " والمختلف قسمان: أحدهما: يمكن الجمع بينهما فيتعيّن ويجب العمل بهما، والثاني: لا يمكن بوجه فإن علمنا أحدهما ناسخا قدمناه، وإلا عملنا بالزّاجح كالترّجيح بصفات الرواة وكثرتهم في خمسين وجهها"⁽²⁾.

. أمّا مشكل الحديث فإنّ التّوفيق فيه بين الحديث وما عارضه لا يدرك غالبا إلا بالعقل والتّأمّل⁽³⁾ . كما أنّ النّظر فيه أعسر من مختلف الحديث.

وعليه يمكن القول أنّ مشكل الحديث أعمّ من مختلف الحديث من حيث اللّغة، ومن حيث أنواعه أو أسبابه، وكذا من حيث طرق دفع التعارض بين الحديث وما عارضه، فكلّ مشكل مختلف وليس كل مختلف مشكلا، فالمختلف جزء من المشكل ونوع من أنواعه والله أعلم.

المطلب الثالث: أهميّة وأهم المصطلحات فيه

لقد اهتمّ كثير من محدّثين والفقهاء بهذا الفنّ، وأولوه عناية بالغة سواء بإفراده بالتأليف أو من حيث التعامل معه في كتب الفقه والشّروحات الحديثيّة، وهذا يقينا منهم أنّ شريعة الله لا يمكن أن تتناقض، وأمره ونهيّه لا يمكن أن يتعارض، فإذا ظهر للمجتهد ما يوحى بالتناقض فعليه أن يقلّب النّظر، ويعيده حتّى يتبيّن له وجه التّأليف بين هذه النّصوص، قال ابن قتيبة: " ولو ردّوا المشكل منهما لأهل العلم بهما صحّ لهم المنهج واتّسع لهم المخرج"⁽⁴⁾ وقد بينّ العلماء ضرورة الاعتناء بهذا الفنّ،

1 - ابن الصّلاح، علوم الحديث، ص: 284.

2 - السيوطي، تدريب الراوي، ج: 2، ص: 652.

3 - ينظر: أسامة خياط، مختلف الحديث بين محدّثين والأصوليين والفقهاء، ص: 37.

4 - ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص: 62.

وأنه لا يكمل للقيّام به إلاّ من كان جامعاً للفقّه والحديث ، بصيراً بمعاني اللّغة، قال ابن خزيمة⁽¹⁾: " لا أعرف أنه رويّ عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حديثان بإسنادين صحيحين متضادّان، فمن كان عنده فليأت به حتّى أوّلف بينهما"⁽²⁾.

قال ابن الصّلاح⁽³⁾: "وإنّما يكمل للقيّام به الأئمّة الجامعون بين صنّاعي الحديث والفقّه، الغوّاصون على المعاني الدّقيقة"⁽⁴⁾.

قال التّووي: " هذا فن من أهمّ الأنواع، ويضطرّ إلى معرفته جميع العلماء من الطّوائف ... وإنّما يكمل له الأئمّة الجامعون بين الحديث والفقّه، والأصوليّون الغوّاصون على المعاني"⁽⁵⁾.

قال السّخاوي: " وهو من أهمّ الأنواع، تضطرّ إليه جميع الطّوائف من العلماء، وإنّما يكمل للقيّام به من كان إماماً جامعاً لصنّاعي الحديث والفقّه، غائصاً على المعاني الدّقيقة"⁽⁶⁾.

وهذه التّقول التي تدلّ على أهميّة هذا الفنّ وإن كان جلّها في مختلف الحديث فلا شك أنّها تدلّ على أهميّة مشكل الحديث؛ لأنّ المشكل كما تقدّم جزء من المختلف ونوع من أنواعه، كما أنّ التّظر فيه أعسر على المجتهد من مختلف الحديث لذلك فهو أولى بالعناية في هذا العصر خصوصاً مع كثرة الحملات على كتب السنّة ومصادرّها.

¹ - هو الحافظ الحجّة الفقيه إمام الأئمّة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السّلمي النّيسابوري شيخ الإسلام ، صاحب المصنّفات المفيدة منها: كتاب التّوحيد، والصّحيح توفي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة (311هـ) . ينظر: ابن العماد، شذرات الدّهب، ج: 57.

² - الخطيب البغدادي، الكفاية في معرفة أصول علم الرّواية (القاهرة ، مط: دار الهدى، ط: 1، سنة : 1433هـ / 2003م) ج: 2، ص: 588.

³ - هو شيخ الإسلام، تقيّ الدّين، أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمان بن عثمان بن موسى الكردي، الشهرزوري، الموصلّي، الشافعي، صاحب (علوم الحديث)، كانت وفاته سنة اثنين وأربعين وستمائة.(642) ينظر: السّبكي، طبقات الشافعية، ج: 8، ص: 326..

⁴ - ابن الصّلاح، علوم الحديث، ص: 284.

⁵ - السّيوطي، تدريب الرّاوي ، ج: 2، ص: 651

⁶ - السّخاوي، فتح المغيث، ج: 3، ص: 470.

وقد اهتم به العلماء قديما وحديثا وصنّفوا فيه مصنّفات مفيدة، ورسوموا القواعد والأسس التي يجب اتباعها في دفع التعارض، وسأتكلّم في هذا المطلب على بعض هذه المصنّفات وبيان شيء من مناهجهم، وما يميّز كل مصنّف عن غيره.

1_ اختلاف الحديث للإمام الشافعي

هو أول ما صنّف في هذا الفن، قال السخاوي⁽¹⁾: "وأول من تكلم فيه إمامنا الشافعي وله فيه مجلّد جليل"⁽²⁾.

. وهذا الكتاب خاص بمختلف الحديث دون المشكل وقد جمع فيه الإمام الشافعي . رحمه الله . جملة من الأحاديث التي قيل إنّها متعارضة، فأجاب عنها وبيّن مسلك دفع التعارض عنها. . التزم الإمام الشافعي في كتابه بطريقة الجمهور في دفع التعارض حيث قدّم الجمع ثمّ النسخ ثمّ الترجيح، وقد صرح بذلك في مقدّمته فقال: "وكلّما احتل حديثان أن يستعملا معا استعمالا معا ولم يعطلّ واحد منهما الآخر ... فإذا لم يحتل الحديثان إلا الاختلاف كما اختلفت القبلة نحو بيت المقدس والبيت الحرام كان أحدهما ناسخا، والآخر منسوخا... ومنها ما لا يخلو أن يكون أحد الحديثين أشبه بمعنى كتاب الله، أو أشبه بمعنى سنن النبي ﷺ . ممّا سوى الحديثين المختلفين، أو أشبه بالقياس، فأبيّ الأحاديث المختلفة كان هذا فهو أولاهما عندنا أن يصار إليه."⁽³⁾

. أما طريقته في دفع التعارض فكان الإمام الشافعي يذكر عنوان الباب ثمّ يذكر الحديث بسنده، وبعدها يعقّب بذكر ما يعارضه من النصوص، وبعد ذلك يشرع في بيان معاني هذه الأحاديث

¹ - هو شمس الدّين أبو الخير محمد بن عبد الرّحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد، السخاوي الأصل، القاهري المولد، الشافعي المذهب، صاحب فتح المغيثة بشرح ألفيّة الحديث، توفي سنة اثنتين وتسعمائة (902هـ). ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج: 10، ص: 23.

² - السخاوي، فتح المغيثة، ج: 3، ص: 470.

³ - الإمام الشافعي، اختلاف الحديث، ص: 64 بتصرف.

المتعارضة وبيّن وجه الجمع بينها⁽¹⁾، أو أنّ أحدها ناسخ والآخر منسوخ⁽²⁾، وإلا بيّن الرّاجح من المرجوح⁽³⁾ بأوجه وصور كثيرة ذكرها في كتابه.

. لم يقصد الإمام الشّافعي استيعاب الأحاديث المختلفة، وإنما قصد بيان طرق ومسالك التّعامل مع ما ظهر تعارضه قال النّووي: " ولم يقصد . رحمه الله . استيفاءه، بل ذكر جملة ينبّه بها على طريقه"⁽⁴⁾.

2_ تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدّينوري

كتاب ابن قتيبة تناول فيه جلّ أنواع مشكل الحديث وإن كان عنوانه تأويل مختلف الحديث، وقد بيّن غرضه من تصنيفه في مقدمته وأنّه قصد الرّد على الفرق التي ظهرت في عصره تدّعي التّناقض والتّعارض بين النّصوص الصّحيحة الصّادرة عن النبي . ﷺ . وقد تناول كتابه عدّة أنواع منها:

- الأحاديث التي ادّعي عليها التّناقض.⁽⁵⁾
- الأحاديث التي قيل إنّها تعارض كتاب الله . عزّ وجلّ.⁽⁶⁾
- الأحاديث التي قيل إنّها تعارض النّظر وحجّة العقل.⁽⁷⁾
- الأحاديث التي قيل إنّها تخالف الإجماع.⁽⁸⁾
- _ أحاديث خاصّة بصفات الله . عزّ وجلّ . وما ادّعيّ فيها من التّشبيه⁽⁹⁾.
- ذكر حديثا واحدا تكذّبه العيان⁽¹⁰⁾.

1 - ينظر: ابن قتيبة ، تأويل مختلف الحديث، مثلا: ص: 67، 68، 70، 227.

2 - ينظر: المصدر السابق: مثلا: ص: 92، 140، 149، 171، 200.

3 - ينظر: المصدر السابق: مثلا: ص: 103، 198.

4 - السّيوطي، تدريب الرّاوي، ج: 2، ص: 652.

5 - ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، مثلا: ص: 302، 347، 352، 358، 411، 413، 416، 423.

6 - المصدر السابق: مثلا: ص: 330، 350، 351، 453، 468.

7 - المصدر السابق مثلا: ص: 370، 372، 390، 400، 486.

8 - المصدر السابق: مثلا: ص: 328، 379، 456.

9 - المصدر السابق: مثلا: ص: 313، 314، 317، 323، 327.

10 - المصدر السابق، ص: 290.

. ذكر ابن قتيبة جملة من الأحاديث وأجاب عنها وأزال ما استشكل منها بتوجيهات سديدة، وأجوبة مهمة، وأكثر من الاستشهاد باللغة والشعر، كما جاءت عباراته في حلة بيانية تختلب الأبواب وتمتع العقول، والكتاب متنوع المسائل ففيه مسائل الفقه والعقيدة وغيرها وإن كانت مسائل العقيدة هي الأغلب. (1)

. ورغم ما بثه ابن قتيبة في هذا الكتاب أخذ عليه العلماء قلة بضاعته في الحديث، وأنه قد يطيل الكلام في الحديث وتوجيهه وهو في الحقيقة حديث ضعيف، قال ابن الصلاح: "وكتاب مختلف الحديث لابن قتيبة في هذا المعنى إن يكن قد أحسن فيه من وجه فقد أساء في أشياء منه قصر باعه فيها، وأتى بما غيره أولى وأقوى. (2) وقال ابن كثير: "...وكذلك ابن قتيبة، له فيه مجلد مفيد. وفيه ما هو غث، وذلك بحسب ما عنده من العلم" (3).

3 _ شرح مشكل الآثار للطحاوي

وهذا الكتاب أغلبه في مختلف الحديث، وهو من أوسع ما صنّف في هذا الفن وقد صرح الطحاوي بغرضه منه فقال: "وإني نظرت في الآثار المروية عنه صلى الله عليه وسلم بالأسانيد المقبولة التي نقلها ذوو الثبوت فيها والأمانة عليها، وحسن الأداء لها، فوجدت فيها أشياء مما يسقط معرفتها، والعلم بما فيها عن أكثر الناس فمال قلبي إلى تأملها وتبيان ما قدرت عليه من مشكلها ومن استخراج الأحكام التي فيها ومن نفي الإحالات عنها..." (4)

1 - ينظر: أسامة خياط، مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء، ص: 357، / محمد ماهر الجابي، أحاديث مشكولة في السنة، (مكة المكرمة، د ط، سنة: 1433 هـ / 2012 م) ص: 9.

2 - ابن الصلاح، علوم الحديث، ص: 285.

3 - أحمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، (بيروت، مط: دار الكتب العلميّة، د ط) ص: 169.

4 - الطحاوي، شرح مشكل الآثار، ج: 1، ص: 6.

. وقد جاء كتابه - كما وعد - مستوفياً لهذه الشروط، كما جاء متميزاً بالشمول والتنوع، فلم تقتصر مسأله على موضوع أو فنٍ معيّن، بل شملت مواضيع وفنوناً متعددة: كالعقائد والآداب، والفقه والفرائض، وفي أسباب النزول والقراءات، ومشكل القرآن وغيرها...⁽¹⁾

. قسّم كتابه إلى أبواب، وجعل لكلّ باب عنواناً فيبدأ الباب بقوله باب بيان مشكل ما روي عن النبي ﷺ. ثم يسرد الحديث، بأسانيدته المختلفة، كما يسوق الكثير من أقوال الصحابة والتابعين بالأسانيد أيضاً، ثم يورد ما يعارضه بأسانيدته مستوعبا شواهد ومتابعاته إن كانت له شواهد، ثم يتكلم على الأسانيد وعلى الرواة جرحاً وتعديلاً، فإذا فرغ من ذلك شرع في الجواب على الاعتراض، وبين المسلك الذي يحمل عليه الحديث، كما أنه يورد أحيانا بعض الاعتراضات التي قد ترد على جوابه، ويجيب عنها⁽²⁾.

4 _ مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر بن فورك

كتاب مشكل الحديث وبيانه لابن فورك يختلف عن المصنفات السابقة، فعنوانه مشكل الحديث يوحى بالكلام على جميع أنواعه، لكنّه في الحقيقة خصّه فقط للأحاديث الواردة في صفات الله . عز وجل . والتي ظاهرها التشبيه أو التجسيم فيقوم بصرفها عن ظاهرها على حسب مذهبه، وقد صرح بمقصده في نهاية كتابه فقال: " كمل بيان ما أشكل ظاهره من صحيح الحديث ممّا أوهم التشبيه ولبس بذلك المحسّمون وازدراه الملحدون وطعن في روايته المبتدعون وإيضاح ما خفيّ باطنه مما أغفله الجاهلون وأنكره المعطلّون وشرح ذلك وتنزيله ما يليق بوصف الله تعالى بالدلائل التي لا شكّ فيها وموافقة السنّة المعمول بها واللغة المجتمع عليها"⁽³⁾.

. قسّم ابن فورك كتابه إلى ثلاثة أقسام:

¹ - ينظر: أسامة خياط، مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين والفقهاء، ص: 346.

² - ينظر: المصدر السابق: ص: 342، / الدوسري، قواعد رفع الاختلاف في الحديث النبوي، ص: 97.

³ - ابن فورك، مشكل الحديث وبيانه، ص: 525.

- . القسم الأول: وأورد فيه أكثر من خمسة وسبعين حديثاً، خصّه للأحاديث التي ظاهرها التشبيه.
- . القسم الثاني: خصّه للردّ على ابن خزيمة في كتاب التوحيد، وخطاً ابن خزيمة في إجرائه للأحاديث على ظاهرها، وقد صدره بقوله: "فصل فيما ذكره ابن خزيمة في كتاب التوحيد (1).
- . القسم الثالث خصّه للردّ على صاحب ابن خزيمة أحمد بن إسحاق الصّبغي (2) في كتابه الأسماء والصفات، و استهله بقوله: "فصل آخر فيما ذكره الصّبغي في كتاب الأسماء والصفات (3).
- 5- كشف المشكل من حديث الصّحيحين " لابن الجوزي (4) و كتاب ابن الجوزي لم يتناول المشكل بمعناه الاصطلاحي عند المحدثين بل بمعناه اللغوي.

وقد خصه ابن الجوزي للكلام في مشكل أحاديث الصّحيحين كما هو واضح من عنوانه، وأشار في مقدّمته إلى سبب تصنيفه فقال: " وكان قد سألتني من أثر سؤاله أمانة همّي شرح مشكله، فأنعمت له وظننت الأمر سهلاً، فإذا نيل سهيل أسهل، لما قد حوت أحاديث من فنون المشكلات ودقائق العضلات. . . ومعلوم أن شرح المعنى أمسّ، وكشف الإشكال المعنوي أجدر بالبيان وأحقّ، فلما رأيت طرق شرحه شاسعة، ثمّرت عن ساق الجّد، مستعينا بالله . عزّ وجل . رجاء الثواب في

1 - ينظر: ابن فورك، مشكل الحديث وبيانه، ص: 408.

2 - الإمام العلامة المفتي المحدث شيخ الإسلام، أبو بكر أحمد بن إسحاق بن أيوب بن يزيد النيسابوري الشافعي، المعروف بالصّبغي. مولده في سنة ثمان وخمسين ومائتين، جمع وصنّف، وبرع في الفقه، وتميز في علم الحديث، كان يخلف ابن خزيمة في الفتوى، توفّي في شعبان سنة اثنتين وأربعين وثلاث مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 15، ص: 483.

"والصّبغي" بكسر الصّاد المهملة وسكون الباء المنقوطة بواحدة وفي آخرها الغين المعجمة، هذه النّسبة إلى الصّبغ والصّباغ المشهور. ينظر: السّمعاني، الأنساب، ج: 3، ص: 521.

3 - ابن فورك، مشكل الحديث وبيانه، ص: 445.

4 - هو الحافظ جمال الدّين أبو الفرج ابن الجوزي القرشي التيمي البكري البغدادي الحافظ صاحب التّصانيف المشهورة في الوعظ والحديث والفقه والزهد والتاريخ والطّب، قيل كان يحضر مجلسه مئات الألاف توفي ليلة الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة (597هـ). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ج: 3، ص: 140/ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 42، ص: 287.

إسعاف الطالب⁽¹⁾.

. رتب ابن الجوزي مصنّفه ترتيباً مغايراً لترتيب الصّحّاحين، حيث رتبته على مسانيد الصّحابة ولم يرتبه على الأبواب الفقهيّة وذلك لأنه اعتمد على كتاب الحميدي⁽²⁾ الجمع بين الصّحّاحين والذي هو مرتّب على المسانيد.

. امتاز الكتاب في تناوله فنونا متنوّعة، كما كان ابن الجوزي شديد العناية بشرح المفردات الغريبة شرحاً وافياً، وبيان معانيها واشتقاقها.⁽³⁾

. كتاب تنبيه الأفهام في مشكل حديثه عليه السّلام عبد الجليل القصري⁽⁴⁾ والكتاب شبيه بكتاب ابن فورك وهو خاص بأحاديث العقيدة المبيّنة لصفات الله . عزّ وجل . كما صنّف فيه الكثير من الباحثين المعاصرين دراسات تطبيقية، ولكن جلّها في مختلف الحديث وأوجه رفع الخلاف بين النّصوص.

وفي الأخير يمكن القول إنّ مختلف الحديث وإن كان نوعاً من المشكل إلا أنّه خُصّ بالتّصنيف، بل قد عُرف واشتهر بين العلماء والمصنّفين أكثر من مشكل الحديث ولعلّ السّبب في ذلك _ والله

1 - ينظر: ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصّحّاحين، ج: 1، ص: 6.

2 - هو محمد بن فتوح أبو عبد الله الحميدي، فقيه عالم محدّث لازم ابن حزم وأخذ عن ابن عبد البر، ورحل إلى بغداد فسمع من الخطيب البغدادي له عدة تصانيف منها: الجمع بين الصّحّاحين، وجذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، توفيّ سنة ثمان وثمانين وأربعمائة (488هـ) ينظر: ابن بشكوال، الصلّة، ج: 3، ص: 818/ الصّبي، بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحق: إبراهيم الأبياري (بيروت، مط: دار الكتاب اللبناني، ط: 1، سنة: 1408هـ/ 1989م) ج: 1، ص: 106.

3 - ينظر: ابن الجوزي، كشف المشكل مثلاً: ج: 1، ص: 16، 31، 222، ج: 2، ص: 6، 59، 88....

4 - هو عبد الجليل بن موسى بن عبد الجليل الأنصاري الأوسي القرطبي أبو محمد القصري: باحث متصوّف، من المفسرين، كان رأساً في العلم والعمل منقطع القرين، فرغاً عن الدنيا، أصله من قرطبة، ونسبته إلى قصر كتامة ويسمى الآن القصر: مدينة في المغرب، له كتب، منها: شعب الإيمان وشرح الأسماء الحسنی، و تنبيه الأفهام في مشكل أحاديثه عليه السّلام - . توفيّ بسببته سنة ثمان وستمائة (608هـ) ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 43، ص: 295/ الزركلي، الأعلام، ج: 3، ص: 276.

أعلمُ هو كثرة ما ادّعى عليه التناقض والتعارض بين النصوص النبوية فتصدى العلماء لهذه الطعون في النصوص النبوية الصادرة عن المعصوم بتخصيص الكلام عن المختلف دون المشكل، وبينوا أنّ هذا التعارض إنما هو تعارض ظاهري ناتج عن قلة الفهم والتأمل؛ لأنّ شريعة الله لا يمكن أن تتعارض، خصوصاً وأنّ الكلام في هذا الفنّ هو كلام على الأحاديث الثابتة الصحيحة من حيث الصناعة الحديثية.

وبعد أن سدّ العلماء هذا الباب على الطاعنين في الشريعة ظهرت في هذا العصر موجة أخرى ألا وهي باب مشكل الحديث، والطعن في النصوص بحجة معارضتها لصريح القرآن، أو الحديث، أو مخالفتها للعقل أو العقل، وهذا الفنّ هو بحاجة إلى كثير من الأقلام اليوم؛ لأنّ الواقع يؤكّد أنّ دراسات الطعن في السنّة في هذا الباب أكثر من دراسات الذبّ عنها، خصوصاً كتب السنّة المشهورة كالبخاري ومسلم.

المبحث الثاني: الصحیحان

المطلب الأول: ترجمة موجزة للإمام البخاري و صحبه

الإمام البخاري

1. نسبه ونشأته وطلبه للعلم:

هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه⁽¹⁾ البخاري، الإمام العلم أبو عبد الله الجعفي، إمام المسلمين وقُدوة الموحّدين، وشيخ المؤمنين، والمعول عليه في كلام سيّد المرسلين صاحب الصحیح والتّصانيف.

كانت ولادته يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة في شهر شوال من سنة أربع وتسعين ومائة، نشأ يتيما حيث توفي والده وهو صغير فنشأ في حجر أمّه⁽²⁾.

وكان أول سماعه سنة خمس ومائتين فحفظ تصانيف ابن المبارك، وحبّب إليه العلم منذ الصّغر فاشتغل بالحديث حتّى كان يقول أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، وقد وقعت له حوادث كثيرة تدلّ على حفظه وسعة اطلاعه، ولعلّ أشهرها ما وقع له عند ما قدم إلى بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مائة حديث، فقبلوا متونها وأسانيدها، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس،

¹ - " بردزبه" بفتح الباء الموحدة بعدها راء ساكنة ثم دال مكسورة مهملة ثم زاي ساكنة ثم باء موحدة مفتوحة ثم هاء ينظر: تاج الدّين السبكي ، طبقات الشّافعية تحق: عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي (مط: دار إحياء المتأب العربي) ج:2، ص: 212.

² - ينظر: النّووي، تهذيب الأسماء واللّغات ، (بيروت، مط: دار الكتب العلمية) ج: 1، ص: 67، الذّهبي ، تاريخ الإسلام =

وانتدب أحدهم، فسأل البخاري عن حديث من عشرته، فقال: لا أعرفه وسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، وكذلك حتى فرغ من عشرته.

فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فهم، ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز، ثم انتدب آخر، ففعل كما فعل الأول، وهكذا مع بقية العشرة والبخاري لا يزيد على قوله لا أعرفه، فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا إلى العشرة، فردّ كل متن إلى إسناده، وفعل بالآخرين مثل ذلك، فأقرّ له الناس بالحفظ⁽¹⁾ وقد أكثر. رحمه الله. من الرحلة إلى سائر بلاد الإسلام لطلب العلم والحديث حتى قال رحمه الله: "لقيت أكثر من ألف رجل أهل الحجاز والعراق والشام ومصر، لقيتهم كرات، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، وأهل البصرة أربع مرّات، وبالبحر ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي خراسان"⁽²⁾

2. شيوخه وتلاميذه:

أما شيوخ البخاري فأكثر من أن يحصروا فما من بلد من بلاد المسلمين المشهورة بالعلم إلا رحل إليها، طالبا للعلم، فهجر إلى بغداد والكوفة والبصرة والمدينة وواسط وغيرها من المدن فممن سمع منه بمكة: أبو الوليد أحمد بن محمد الأزرقى، وإسماعيل بن سالم الصائغ، وأبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، وبالمدينة: إبراهيم بن المنذر الخزامى، ومطرف بن عبد الله، وإبراهيم بن حمزة، وبالشام: محمد بن يوسف الفريابي، وأبو نصر إسحاق بن إبراهيم، وبيخارى: محمد بن سلام البيكندي، وعبد الله بن محمد المسندي، وبلخ: مكّي بن إبراهيم، ويحيى بن بشر، ومحمد بن أبان، وقد أكثر بها، وبنيسابور: يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، ومحمد بن رافع، ومحمد بن يحيى الذهلي، وقد سمع

= ج: 19، ص: 238، تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ج: 2، ص: 212.

¹ - ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ج: 12، ص: 408 السبكي، طبقات الشافعية الكبرى ج: 2، ص: 218.

² - ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 12، ص: 408.

كذلك بالجزيرة والكوفة ومصر وواسط والبصرة وبغداد⁽¹⁾ مما يضيق المقام لذكرهم كلهم، فما من ناحية من بلاد الإسلام المشهورة بالعلم إلا ورحل إليها ، ويكفي أن نقرأ قول البخاري عن نفسه لنعرف مدى جلالة هذا الإمام، وتعبه حتى وصل إلى هذه المرتبة قال: " كتبت عن ألف شيخ من العلماء وزيادة، وليس عندي حديث إلا أذكر إسناده"⁽²⁾ .

. وأما الآخذون عن البخاري، فأكثر من أن يحصروا، وأشهر من أن يذكروا، قال الفريزي⁽³⁾: " سمع الصحيح من البخاري سبعون ألف رجل، فما بقي أحد يرويه غيري، وقد روى عنه خلائق غير ذلك، وقد قدمنا أنه كان يحضر مجلسه أكثر من عشرين ألفاً يأخذون عنه، ومن روى عنه من الأئمة الأعلام: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج صاحب الصحيح، وأبو عيسى الترمذي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو حاتم وأبو زرعة الرازيان، وأبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي الإمام، وصالح

1 - ينظر: النووي: تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 72، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 19، ص: 240..

2 - ينظر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 73..

3 - " الفريزي" أبو عبد الله محمد بن يوسف بن صالح بن بشر الفريزي، كان ثقة ورعا، رحل إليه الناس وسمعوا منه صحيح البخاري ، توفي سنة ثلاثمائة وعشرين . ينظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 15، ص: 11، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج: 4 ، ص: 101. و" فريز" مدينة من مدن خراسان قال القاضي عياض " سمعناها من شيوخنا بكسر الفاء وفتح الراء بعدها باء ساكنة بواحدة وآخره راء" ، قال الذهبي أما ابن ماكولا فما ذكر غير الفتح " فريزي" وكذا قال القاضي عياض " وقيدته الأمير ابن ماكولا بفتح الفاء" (وقد رجعت إلى الإكمال لابن ماكولا فوجدته مضبوطا بالكسر، ولم أجده في كتابه الأنساب والله أعلم) ينظر: القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (تونس، القاهرة مط: المكتبة العتيقة و دار التراث) ج: 1، ص: 167، الذهبي ، المصدر السابق ، ج: 15، ص: 12، ابن ماكولا ، الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحق: نايف العباسي(القاهرة، مط: دار الكتاب الإسلامي، ط: 2 سنة : 1993م) ج: 7، ص: 84.

بن محمد جزرة الحافظ، وأبو بكر بن خزيمة، ويحيى بن محمد بن صاعد، ومحمد بن عبد الله مطين، وكل هؤلاء أئمة حفاظ، وآخرون من الحفاظ وغيرهم. (1)

3. مصنّفاته:

لقد صنّف الإمام البخاري مصنّفات كثيرة من أهمها:

_ الجامع الصحيح

_ التاريخ الكبير

. التاريخ الأوسط

_ التاريخ الصغير

_ الأدب المفرد

_ خلق أفعال العباد وغيرها من المؤلفات (2)

4. ثناء العلماء عليه:

لقد أثنى على الإمام البخاري وقوة حفظه، وبراعته في علم الحديث عدد كبير من أهل العلم والفضل، في سائر الأمصار، ولم يثن على هذا العلم تلامذته فقط، بل أثنى عليه شيوخه، وأقرانه، وتلامذته ومازال العلماء إلى هذا العصر يثنون عليه وعلى كتابه الصحيح قال ابن المديني (3) "مارأى مثل نفسه" (4) وقال أحمد بن حنبل " ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل" (5)

1 - ينظر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 83.

2 - ينظر: ابن السبكي، طبقات الشافعية، ج: 2، ص: 232، وابن حجر، هدي الساري، تحقق: عبد القادر شيبه الحمد) مط: الرباط، ط: 1، سنة 1421هـ / 2001م) ص: 516.

3 - ابن المديني هو: الإمام أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولا هم البصري الحافظ، أحد الأعلام المتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين (234). ينظر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 350، ابن السبكي، طبقات الشافعية، ج: 2، ص: 145

4 - ينظر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 69.

5 - المصدر السابق، ج: 1، ص: 69، والمزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقق: بشار عواد معروف =

وقال الترمذي⁽¹⁾: "لم أر بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل"⁽²⁾

قال إسحاق بن خزيمة⁽³⁾: "ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من محمد بن إسماعيل"⁽⁴⁾.

ولعل أحسن ما يختم به باب الثناء عليه قول الحافظ ابن حجر⁽⁵⁾ بعد أن ذكر ثناء العلماء عليه قال: "ولو فتحت باب ثناء الأئمة عليه ممن تأخر عن عصره لفنى القرطاس ونفدت الأنفاس فذاك بحر لا ساحل له... وبعد ما تقدم من ثناء كبار مشايخه عليه لا يحتاج إلى حكاية من تأخر لأن أولئك إنما أثنوا بما شاهدوا ووصفوا ما علموا بخلاف من بعدهم فإن ثناءهم ووصفهم مبني على الاعتماد على ما نقل إليهم وبين المقامين فرق ظاهر وليس العيان كالخبر"⁽⁶⁾

5. وفاته: توفّي الإمام البخاري ليلة عيد الفطر ليلة السبت عند صلاة العشاء، ودفن يوم الفطر من

سنة ست وخمسين ومائتين، وقد عاش اثنتين وستين سنة إلا ثلاثة عشر يوماً .⁽⁷⁾

= معروف (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة 1413هـ/ 1992م) ج: 24، ص: 456.

¹ - هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمى البوغى الترمذى، أبو عيسى العالم الحافظ البارع من أئمة علماء الحديث وحفاظه، توفى سنة تسع وسبعين ومائتين. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 2، ص: 270.

² - النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 70.

³ - هو إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة السلمى النيسابورى، شيخ الإسلام صاحب التصانيف توفى سنة إحدى عشرة وثلاث مائة . (311). ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: 4، ص: 57.

⁴ - النووي، تهذيب الأسماء واللغات ج: 1، ص: 70.

⁵ - هو شيخ الإسلام، أمير المؤمنين في الحديث حافظ العصر، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد الشهير بـ ابن حجر العسقلاني الشافعي المذهب، المتوفى سنة اثنين وخمسين وثمانمائة. (852) ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: 9، ص: 395.

⁶ - ابن حجر، هدي الساري، ص: 510.

⁷ - ينظر: المزي، تهذيب الكمال، ج: 24، ص: 438، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 12، ص: 468، وابن حجر، هدي الساري، ص: 518.

◀ صحيفه:

1. اسمه: "الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه"⁽¹⁾ ، وذكره ابن حجر في هدي الساري بهذا الاسم ، دون ذكر المختصر⁽²⁾

2. سبب تأليفه:

ذكر العلماء أنّ البخاريّ لما رأى تصانيف ابن أبي شيبة والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه ورواها، ووجدها جامعة بين ما يدخل تحت التصحيح والتحسين، والكثير منها يشمله التّضعيف، فحرك همته لجمع الصحيح الذي لا يرتاب فيه، وقويّ عزمه على ذلك ما سمعه من أستاذه أمير المؤمنين في الحديث والفقّه إسحاق بن إبراهيم الحنظلي المعروف بابن راهويه⁽³⁾ قال البخاري: "كنا عند إسحاق بن راهويه فقال " لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوق ذلك في قلبي فأخذت في جمع الجامع الصحيح"⁽⁴⁾.

3. شرط البخاري وطريقته فيه:

لقد سلك الإمام البخاري في تصنيفه منهجا فريدا، وبلغ فيه من الدقة والتثبت والتحري ما لم يبلغه أحد قبله ولا بعده ويتضح ذلك في عدة أمور لعلّ أبرزها:

— أنه اختار هذه الأحاديث بدقّة متناهية من بين عدد كبير جدا من الأحاديث، حيث كان يقول " أحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح"⁽⁵⁾ وقال " ...خرجته من ستمائة

1 - أبو عمر ابن الصّلاح، علوم الحديث ، ص: 26

2 - ينظر: ابن حجر، هدي الساري، ص: 10.

3 - إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أحد الأئمة الأعلام، أبو يعقوب التميمي الحنظلي المروزي الإمام ، نزيل نيسابور، توفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين. (238) ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 17، ص: 80.

4 - ابن حجر، هدي الساري، ص: 9.

5 - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 19، ص: 245.

ألف حديث وجعلته حجة بيني وبين الله"⁽¹⁾

. التزم فيه الصحّة، وأنه لا يورد فيه إلا حديثا صحيحا وهو مستفاد من تسميته إياه الجامع الصحیح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه⁽²⁾.

قال ابن طاهر⁽³⁾: "فاعلم أنّ شرط البخاري ومسلم أن يخرجوا الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف بين الثقات، ويكون إسناده متصلا غير مقطوع"⁽⁴⁾.

. اشترط البخاري أن يكون الراوي عاصر شيخه، وثبت سماعه منه، ولم يشترط مسلم الثاني بل اكتفى بمجرد المعاصرة، ورأى أن الإسناد المعنعن له حكم الاتصال إذا تعاصرا المعنعن ومن عنعن عنه وإن لم يثبت اجتماعهما⁽⁵⁾ قال ابن حجر: "وإن سلّمنا ما ذكره مسلم من الحكم بالاتصال فلا يخفى أن شرط البخاري أوضح في الاتصال"⁽⁶⁾

4. ترتيبه:

افتتح البخاري كتابه بكتاب بدء الوحي، وختمه بكتاب التوحيد، وقد جعل تحت كلّ كتاب عدّة أبواب، وتحت كلّ باب مجموعة من الأحاديث تحت ترجمة تجمعها، اشتمل الكتاب على (97) كتابا، وعدد أبوابه (3450) بابا، مرتبة على الأبواب الفقهيّة، وكان . رحمه الله . يقطع الأحاديث ويختصرها، كما ضمّنه الكثير من آيات الأحكام التي لها صلة بموضوع الباب، ولم يكن قصده سرد

1 - ينظر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 74.

2 - ينظر: ابن حجر، هدي السّاري، ص: 10.

3 - هو أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد الشيباني المقدسي، كان من أسرع الناس كتابة، وأذكاهم وأحفظهم للحديث مات سنة سبع وخمس مائة. (507) ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: ، ص: 30.

4 - ابن طاهر، شروط الأئمة الستّة، تحق: محمد زاهد الكوثري (القاهرة، مط: المكتبة الأزهرية د ط، سنة 1434هـ / 2013م) ص: 13.

5 - ينظر: ابن حجر، هدي السّاري، ص: 10، / أحمد شاكر، الباعث الحثيث، ص: 23.

6 - ابن حجر، هدي السّاري، ص: 54.

الأحاديث فقط، بل أراد الاستنباط والاستدلال؛ لذلك اهتم العلماء بالجانب الفقهي في هذا الكتاب وصنّفوا فيه مصنّفات كثيرة. (1)

5. عدد أحاديثه:

قال ابن الصّلاح: "وجملة ما في كتابه الصّحيح سبعة آلاف ومئتان وخمسة وسبعون حديثاً بالأحاديث المكرّرة، وقد قيل: إنّها بإسقاط المكرّرة أربعة آلاف حديث، إلّا أنّ هذه العبارة قد يندرج تحتها عندهم آثار الصحابة والتّابعين، وربما عدّ الحديث الواحد المروي بإسنادين حديثين" (2)

أما الحافظ ابن حجر فقد خالف في هذا العدد، وعدّ أحاديث كل باب، وميّز بين الموصولات والمتون المعلّقة، والموقوفات على الصحابة، والمقطوعات فبيّن أنّ عدد أحاديثه تسعة آلاف واثنان وثمانون حديثاً (9082) وهذه العدة خارج عن الموقوفات على الصحابة والمقطوعات عن التّابعين فمن بعدهم (3).

أما الأحاديث الموصولة بلا تكرير فهي على التّحرير ألفا حديث وستمائة حديث وحديثان (2602)، ومن المتون المعلّقة المرفوعة التي لم يوصلها في موضع آخر من الجامع المذكور مائة وتسعة وخمسون حديثاً (159) (4).

ولا شك أنّ الفرق واسع جدا بين ما ذكره ابن الصّلاح، وما ذكر الحافظ ابن حجر، وقد أجاب الحافظ على هذا فقال "يحتمل أن يكون العادّ الأوّل الذي قلّده في ذلك كان إذا رأى الحديث

1 - ينظر: أبو بكر كافي، منهج البخاري في تصحيح الأحاديث تعليقها (بيروت، مط: دار ابن حزم، ط: 1، سنة: 1421هـ / 2001 م) ص: 58.

2 - ابن الصّلاح، علوم الحديث، ص: 20، وتبع ابن الصّلاح في هذا العدد النووي، وابن كثير، وبدر الدين الزركشي لكن قيده هذا الأخير برواية الفريري، أما رواية غيره فهي دونه. ينظر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 75، وأحمد شاكر، الباعث الحثيث، ص: 23، وبدر الدين الزركشي، النكت على مقدّمة ابن الصّلاح، تحق: زين العابدين بن محمد الرياض، مط: أضواء السلف، ط: 1، سنة 1419هـ / 1998م) ج: 1، ص: 189.

3 - ينظر: ابن حجر، هدي السّاري، ص: 493.

4 - ينظر: نفس المصدر، ص: 501.

مطوّلاً في موضع ومختصراً في موضع آخر يظن أنّ المختصر غير المطوّل إما لبعده العهد به أو لقلّة المعرفة بالصنّاعة ففي الكتاب من هذا النمط شيء كثير وحينئذ يتبيّن السبب في تفاوت ما بين العديدين والله الموفق".⁽¹⁾

المطلب الثاني: ترجمة موجزة للإمام مسلم وصحبه

◀ الإمام مسلم

1. نسبه ونشأته وطلبه للعلم:

أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن وردٍ القشيري النيسابوري الإمام الحافظ حجّة الإسلام صاحب التّصانيف، يقال ولد سنة أربع ومائتين⁽²⁾، وقيل سنة ستّ ومائتين واختاره ابن الصّلاح والنّووي وغيرهما⁽³⁾.

قال ابن الصّلاح: " لكن تاريخ مولده ومقدار عمره كثيرا ما تطلب الطلاب علمه فلا يجدونه وقد وجدناه والله الحمد فذكر الحاكم⁽⁴⁾ أبو عبد الله ابن البيّع الحافظ في كتاب المرّكين لرواة الأخبار أنّه سمع أبا عبد الله ابن الأخرم⁽⁵⁾ الحافظ يقول توفّي مسلم بن الحجاج رحمه الله عشية يوم الأحد ودفن يوم

1 - ابن حجر، هدي السّاري، ص: 501.

2 - ينظر: ابن أبي حاتم، المرحّج التّعديل (الهند، مط: دار المعارف، ط: 1)، مج: 8، ص: 182، والنووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 2، ص: 89، ابن الصّلاح، صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط حمايته من الاسقاط والسقط، تحق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر (مط: دار الغرب الإسلامي، د ط سنة: 1404هـ / 1984م) ص: 56، والذهبي، تذكرة الحفاظ، ج: 2، ص: 588.

3 - ينظر: ابن الصّلاح، صيانة صحيح مسلم، ص: 64، النّووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 2، ص: 92.

4 - هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه المشهور بابن البيّع، صاحب المستدرک على الصّحّاحين، توفّي سنة خمس وأربعمائة. ينظر الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج: 2، ص: 1039.

5 - الإمام الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف الشّيباني النيسابوري بن الأخرم ويعرف أبوه بابن الكرماني: ولد سنة خمسین ومائتين، روى عنه محمد إسحاق بن منده، والحاكم النيسابوري، وخلق كثير، كانت ووفاته في جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج: 3، ص: 56.

الاثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة وهذا يتضمن أن مولده كان في سنة ست ومائتين والله أعلم⁽¹⁾ وقد أقبل الإمام مسلم على طلب العلم والحديث منذ الصغر، وكان أول سماعه سنة ثمان وعشرين ومائتين، فأقبل على مشايخ عصره، ينهل من مشاربهم وقد ساعده على النبوغ في هذا الفن، الوسط الذي كان يعيش فيه، حيث كان أبوه متصدرا لتربية الناس وتوجيههم وكان أبوه الحجاج من المشايخ في عصره.⁽²⁾

وقد رحل - رحمه الله - مثل شيخه البخاري، إلى عدة بلدان من بلاد الإسلام المشهورة بالعلم فهجر إلى خراسان، والعراق، والحجاز ومصر وغيرها من بلاد الإسلام.⁽³⁾

2. شيوخه وتلامذته:

لقد بدأ الإمام مسلم في طلب العلم منذ الصغر، وعمره لم يتجاوز اثني عشرة سنة، وكان مسلم أكثر من الشيو حتى أوصاهم صاحب تهذيب الكمال إلى (220) شيخا ممن روى عنهم في الصحيح قال النووي " فسمع بخراسان يحيى بن يحيى، وإسحاق بن راهويه، وبالري محمد بن مهران، وأبا غسان، وآخرين، وبالعراق ابن حنبل، وعبد الله بن مسلمة، وآخرين، وبالحجاز سعيد بن منصور، وأبا مصعب، وآخرين، وبمصر عمرو بن سواد، وحرملة بن يحيى، وآخرين، وخلائق كثيرين. "⁽⁴⁾.

ورغم مشاركة الإمام مسلم للبخاري في كثير من شيوخه، فقد كان من المستفيدين منه والمقرين له بالأستاذية⁽⁵⁾ وقد كان لنبوغ الإمام مسلم واشتغاره أن أقبل عليه طلاب العلم استفادوا منه قال

1 - ينظر: ابن الصلاح، صيانة صحيح مسلم، ص: 64.

2 - ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، تحقق: إبراهيم الزبيق، عادل مرشد (مط: مؤسسة الرسالة) ج: 4، ص: 67، والإمام مسلم ومنهجه في صحيحه، عبد الرحمن محمد طوالب (عمان، مط: دار عمار، ط: 1، سنة 1421هـ/2000م) ص: 17.

3 - ينظر: ابن الصلاح، صيانة صحيح مسلم، ص: 57، والنووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 2، ص: 90.

4 - النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 2، ص: 91.

5 - ينظر: ابن الصلاح، صيانة صحيح مسلم، ص: 67.

النّووي: " روى عنه جماعة من كبار أئمة عصره وحفظه كما قدمنا، وفيهم جماعات في درجته، منهم أبو حاتم الرازي، وموسى بن هارون، وأحمد بن سلمة، والترمذي، وغيرهم".⁽¹⁾

3. مصنّفاته:

للإمام مسلم مصنّفات كثيرة في شتى أنواع علوم الحديث، وقد ذكر المترجمون له مصنّفات كثيرة أغلبها في الحديث وما يتعلّق به من مباحث، كأسماء الرّواة، طبقاتهم، وتمييز الأسماء، والمبهمات، وغيرها من مباحث مصطلح الحديث وسأكتفي بذكر ما هو مطبوع منها:

— الجامع الصحيح، أو صحيح مسلم، وسيأتي الكلام عليه.

— الأسماء والكنى.

— التّمييز.

— المنفردات والوحدان⁽²⁾

4. ثناء العلماء عليه:

لقد حظي الإمام مسلم بالكثير من الثناء، والاعتراف بمكانته ومنزلته العلميّة، فهو قرين البخاري في هذا الباب وما من عالم أثنى على البخاري، إلا وأتبعه بالثناء على مسلم وكتابه، بل إنّ هناك من قدمه وفضّله حتّى البخاري، وإن لم يرض هذا القول جماهير محدّثين فإنّه دالّ أشدّ الدلالة على مكانة هذا العالم، نظر اسحاق بن منصور⁽³⁾ إلى مسلم فقال " لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين " ⁽⁴⁾

1 - النّووي، تهذيب الأسماء واللّغات، ج: 2، ص: 92.

2 - ينظر: الدّهبي، تذكرة الحفاظ، ج: 2، ص: 588.

3 - هو أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بھرام الكوسج التّميمي المروزي، نزيل نيسابور روى عن الإمام أحمد وابن راهويه وغيرهما، وروى له الجماعة غير أبي داود، وهو من أئمة الحديث، توفّي سنة واحد وخمسين ومائتين (251). ينظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج: 1، ص: 127.

4 - ابن الصّلاح، صيانة صحيح مسلم، ص: 64.

وسئل ابن عقدة⁽¹⁾ "أيهما أحفظ البخاري أو مسلم؟ فقال: كان محمد عالما ومسلم عالم⁽²⁾، فأعدت عليه مرارا فقال: يقع لمحمد الغلط في أهل الشام وذلك لأنه أخذ كتبهم ونظر فيها فرمما ذكر الرجل بكنيته ويذكر في موضع آخر باسمه يظنهما اثنين، وأما مسلم فقلما يوجد له غلط في العلل لأنه كتب المسانيد ولم يكتب المقاطيع ولا المراسيل"⁽³⁾.

وقال ابن الصلاح: "... فرفعه الله تبارك وتعالى بكتابه الصحيح هذا إلى مناط النجوم وصار إماما حجة يبدأ ذكره ويعاد في علم الحديث وغيره من العلوم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء"⁽⁴⁾.

وقال النووي: "وأجمعوا على جلالته، وإمامته، وعلو مرتبته، وحذقه في هذه الصنعة، وتقدمه فيها، وتصلعه منها"⁽⁵⁾ وقال أيضا " ... وهو أحد أعلام أئمة هذا الشأن، وكبار المبرزين فيه، وأهل الحفظ والإتقان والرحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان "⁽⁶⁾.

5. وفاته:

توفي الإمام مسلم - رحمه الله - بنيسابور عشية يوم الأحد، ودفن يوم الإثنين لخمس بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وهو ابن خمس وخمسين سنة⁽⁷⁾، وقد ذكروا لسبب وفاته قصة غريبة⁽⁸⁾.

1 - هو أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن مولى بني هاشم، أبو العباس الكوفي الحافظ المعروف بابن عقدة، كان يقول أحفظ مائة ألف حديث بالإسناد والمتن وأذاكر بثلاث مائة ألف حديث ، توفي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة. (332) ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ج: 25، ص: 67.

2 - هكذا بالرفع " عالم" والأصل أن يكون منصوبا " عالما" لأنه معطوف على منصوب فيكون منصوبا والله أعلم.

3 - الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج: 2، ص: 589.

4 - المصدر السابق، ص: 60.

5 - النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 2، ص: 90.

6 - النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط: 2، سنة: 1392هـ) ج: 1، ص: 10.

7 - ينظر: ابن الصلاح، صيانة صحيح مسلم، ص: 64، والمزي، تهذيب الكمال، ج: 27، ص: 507، والذهبي، تذكرة الحفاظ، ج: 2، ص: 590.

8 - ذكروا أنه عقّد لأبي الحسين مسلم بن الحجاج مجلس للمذاكرة فذكر له حديث لم يعرفه فانصرف إلى منزله وأوقد السراج وقال لمن في الدار لا يدخلن أحد منكم هذا البيت فقيل له أهديت لنا سلّة فيها تمر فقال قدموها إلي فقدموها فكان يطلب الحديث =

◀ صحیحہ:

يعد صحيح مسلم ثاني كتاب صنّف في الصّحيح المجرّد، ووضع له خاصّة، بل إنّ هناك من علماء المغرب من قدّمه حتّى على صحيح البخاري⁽¹⁾ من حيث حسن صناعته وترتيبه، وعنايته بالعلل، وإن لم يرتض تقديمه عليه جمهور المحدثين فإنّ مقارنته به دليل واضح على قدر هذا الكتاب، وعظم منزلته.

1_ اسمه:

لم يصرّح مسلم في كتابه الصّحيح _ باسم كتابه؛ ولذلك وقع الاختلاف في تسميته بين العلماء والشرح، وقد صرّح الإمام مسلم باسمه لكن خارج الصّحيح فقال " صنّفت هذا المسند الصّحيح من ثلاثمائة حديث مسموعة، وقال: " ما وضعت شيئاً في هذا المسند إلا بحجّة، وما أسقطت منه شيئاً إلا بحجّة"⁽²⁾ ولعلّ هذين الإطّلاقين من الإمام مسلم مراده بهما موضوع الكتاب وليس اسمه، ولو أراد اسمه لما فرّق في الإطّلاق، لهذا اختلف فيه العلماء، فسّماه ابن حجر، وصاحب كشف الظّنون

=ويأخذ ثمرة تمر بمضغها فأصبح وقد فني التمر ووجد الحديث. قال الحاكم زادني الثّقة من أصحابنا أنه منها مرض ومات. ينظر، ابن الصّلاح ، صيانة صحيح مسلم، ص: 65.

¹ - وقد نظم ذلك الحافظ العراقي في ألفيته البديعة فقال:

أول من صنّف في الصّحيح.....محمدٌ وخُصّ بالترجيح
ومسلمٌ بعدُ وبعض الغرب مع.....أبي علي فضّلوا ذا لو نفع.

ينظر: ألفيّة الحديث ص: 7.

ومنّ فضّله عليه أبو علي النّيسابوري شيخ الحاكم أبي عبد الله المتوفّي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة (تذكّرة الحافظ، ج: 3، ص: 902) قال أبو علي " ما تحت أديم السماء كتاب أصح من كتاب مسلم". ينظر: ابن الصّلاح، علوم الحديث، ص: 18، والسّخاوي، فتح المغيبي، ج: 1، ص: 26.

قال النّووي: " قال الحافظ أبو علي النّيسابوري وبعض علماء المغرب صحيح مسلم أصح ، وأنكر العلماء ذلك عليهم، والصّواب ترجيح صحيح البخاري ". النّووي، تهذيب الأسماء واللّغات، ج: 2، ص: 74.

² - ابن العماد، شذرات الذهب، ج: 3، ص: 270.

"بالجامع"⁽¹⁾ ، وسمّاه النووي، والذهبي، وابن كثير "بالصحيح"⁽²⁾ ، وقد غلبت عليه هذه التسمية الأخيرة، وهي الموجودة على غلاف جميع الطبّعات.

2_ سبب تأليفه والغرض منه:

بيّن الإمام مسلم في مقدّمة صحيحه سبب تصنيفه، وغرضه منه وأنه لما "رأى سوء صنيع كثير ممن نصّب نفسه محدّثاً، فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة، وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والأمانة، بعد معرفتهم وإقرارهم بألستهم أنّ كثيراً مما يقذفون به إلى الأغبياء من الناس هو مستنكر، ومنقول عن قوم غير مرضيين ممن ذمّ الرواية عنهم أئمة أهل الحديث"⁽³⁾.

كما بيّن الإمام مسلم أنّه طلب منه أن يصنّف في جملة الأخبار المأثورة عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في سنن الدين وأحكامه، وما كان منها في الثواب والعقاب، والترغيب والترهيب، وغير ذلك من صنوف الأشياء بالأسانيد التي بها نقلت، وتداولها أهل العلم فيما بينهم، و أن يخصّها له بلا تكرار فأجابته إلى طلبه وقال "...لو عزم لي عليه، وقضي لي تمامه، كان أول من يصيبه نفع ذلك إياي خاصة قبل غيري من الناس"⁽⁴⁾.

2_ شرط الإمام مسلم وطريقته فيه:

لقد اقتفى الإمام مسلم في تصنيف كتابه أثر شيخه البخاري، ونهج نهجه، بل والتزم بما التزم به في إخراج الأحاديث الصحيحة، وطرح الأحاديث الضعيفة، وإن اختلف في بعض النّقاط الدّقيقة، كاشتراط البخاري للمعاصرة مع ثبوت السّماع، واكتفى مسلم بمجرد المعاصرة، كما اقتصر مسلم في

1 - ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج: 4، ص: 67، وحاجي خليفة، كشف الظنون، (بيروت، دار إحياء التراث، دط، دس) ج: 1، ص: 388.

2 - النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 2، ص: 89، والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 12، ص: 588.

3 - مسلم، الصحيح، مج: 1، ص: 4.

4 - صحيح مسلم، مج: 1، ص: 1.

جلّ كتابه على إخراج الأحاديث الصّحيحة المرفوعة، بينما أكثر البخاري من الموقوفات والمقطوعات، كما عمد إلى إيراد الاستنباطات الفقهيّة، والنّكت والفوائد الحديثيّة، وإيراد الشّواهد القرآنيّة من خلال تراجم أبوابه، وقد أصبح كتابه هو المقدمّ إنّما قفا مسلم طريق البخاري ونظر في علمه، وحذا حذوه، ولما ورد البخاري نيسابور في آخر أمره لازمه مسلم، حتى أصبح كتابه أصحّ كتاب بعد صحيح البخاري، ولا يكاد يُذكر كتاب البخاري، إلا وذكر معه صحيح مسلم، قال الخطيب البغدادي⁽¹⁾ "وأدام الاختلاف إليه." ⁽²⁾

قال النّووي: "وقد صحّ أن مسلما كان ممّن يستفيد من البخاري ويعترف بأنه ليس له نظير في علم الحديث." ⁽³⁾

وقد بلغ الإمام مسلم في الدّقة والتحرّي مبلغ شيخه البخاري ويتجلّى ذلك في عدّة نقاط منها:
 _ أنه التزم فيه أعلى درجات الصّحة، واقتصر على إخراج الأحاديث المرفوعة ولم يذكر الموقوفات والمقطوعات إلا نادرا قال: "ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ها هنا إنّما وضعت ها هنا ما أجمعوا عليه" ⁽⁴⁾ ⁽⁵⁾

1 - هو أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، الحافظ أبوبكر الخطيب البغدادي، أحد الحفاظ الأعلام ومن ختم به إتقان هذا الشأن، وصاحب التّصانيف المنتشرة في البلدان، فمن مبحث من مباحث علم الحديث إلا وصّف فيه، وقد قال الحافظ أبو سعيد بن السمعاني "له ستة وخمسون مصنفا" منها الكفاية في معرفة الرواية، تلخيص المتشابه، وشرف أصحاب الحديث، كانت وفاته سنة (463هـ). ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 31، ص: 85، وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج: 5، ص: 262.

2 - الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج: 15، ص: 121.

3 - النّووي، شرح صحيح مسلم، ج: 1، ص: 14.

4 - مسلم، الصّحيح، مج: 1، ص: 191.

5 - ليس المراد بالإجماع هنا اتفاق جميع المجتهدين لتعذر جمع أقوالهم في كل حديث، واختلافهم في الرواة، وتفاوت درجاتهم في التّشدد والتّساهل، ولكنه إجماع خاص، قال البلقيني "قيل أراد مسلم بما أجمعوا عليه أربعة: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعثمان بن أبي شيبة، وسعيد بن منصور الخراساني"، ينظر، ابن الصّلاح مقدمة ابن الصّلاح ومحاسن الاصطلاح =

__ أنه استغرق فيه وقتاً طويلاً مثل شيخه البخاري، كما نقل ذلك عنه تلميذه أحمد بن سلمة (1) " كنت مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة" (2).

__ أنه اختار أحاديثه اختيَّاراً دقيقاً من عدد كبير جداً من الأحاديث قال __ رحمه الله __ " صنفت هذا المسند الصَّحيح من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة" (3).

__ شدة عنايته بضبط ألفاظ الأحاديث، وتمييزه الدقيق بين مصطلحات هذا الفن كتمييزه بين أخبرنا وحدثنا، وتقييد ذلك على مشايخه، وأن حدثنا لما سمعه من لفظ الشيخ، وأخبرنا لما قرئ على الشيخ بحضرته (4).

4_ ترتيبه:

إنَّ صحيح مسلم مقسَّم إلى كتب، واحتوى على (54) كتاباً، يقوم كل منها على موضوع رئيسي، وكل كتاب مقسَّم إلى أبواب، وقد وضع الإمام مسلم عناوين الكتب، إلاَّ أنه لم يضع عناوين الأبواب أو ما يعرف بالتَّراجم، وإنَّما جاءت الأحاديث متتابعة ضمن كلِّ كتاب دون فصل بما يشير إلى موضوع كل مجموعة منها؛ ولذا اجتهد كل شارح في وضع التَّراجم التي يراها مناسبة من وجهة نظره، قال النَّووي: " ..ولكنه لم يذكر تراجم الأبواب فيه لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك قلت وقد ترجم جماعة أبوابه بتراجم بعضها جيد وبعضها ليس بجيد إما لقصور في عبارة الترجمة

=تحق: عائشة عبد الرَّحمن بنت الشَّاطي، (القاهرة، مط: دار المعارف، د ط، د ت) ص: 162. وقال النَّووي "ثم قد ينكر هذا الكلام ويقال قد وضع أحاديث كثيرة غير مجمع عليها وجوابه أنها عند مسلم بصفة الجمع عليه ولا يلزم تقليد غيره في ذلك". ينظر النَّووي، شرح صحيح مسلم، ج: 4، ص: 123، وأجاب ابن الصَّلاح بجوابين آخرين في كتابه صيَّانة صحيح مسلم ص: 75.

1 - هو أحمد بن سلمة بن عبد الله أبو الفضل النَّيسابوري، البزار المعدل الحافظ، رفيق مسلم في الرحلة، كانت وفاته سنة ست وثمانين مائتين. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 21، ص: 59.

2 - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 12، ص: 566.

3 - النَّووي، شرح صحيح مسلم ج: 1، ص: 15 / الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 12، ص: 566.

4 - ينظر: ابن الصَّلاح، صيَّانة صحيح مسلم، ص: 101.

وإما لركاكة لفظها واما لغير ذلك وإنا إن شاء الله أحرص على التعبير عنها بعبارات تليق بها...⁽¹⁾، ومن الطبيعي أن تختلف وجهات النظر في هذه التراجيم، وهذا تابع لاجتهاد كل عالم وتفكيره الخاص، فقد يطول العنوان أو يقصر، وقد يحتوي الباب على حديث واحد أحيانا، ويستوحى عنوانه من فكرة أو عبارة في الحديث، أو يستنبط من الجوّ العام لأحاديث الباب، وغاياتهم في ذلك فقهية⁽²⁾.

5_ عدد أحاديثه:

لم يعتن العلماء ببيان عدد أحاديث كتاب مسلم مثل عنايتهم بصحيح البخاري، سوى ما ذكره تلميذه أحمد بن سلمة قال: " كنت مع مسلم في تأليف صحيحه خمس عشرة سنة ، قال: وهو اثنا عشر ألف حديث، يعني بالمكرر⁽³⁾.

وحصرها محمد فؤاد عبد الباقي بدون مكرر فبلغت عدتها (3033) حديثا قال: لما كان الإمام مسلم لم يقتصر على طريق واحدة للحديث الذي يسوقه، بل يتبع هذه الطرق بطرق كثيرة متعدّدة للحديث الواحد، رأيت حصر هذه الأحاديث الأصليّة دون النظر إلى كثرة الطرّق التي تتبّعها، فأعطيتها رقما مسلسلا من أول الكتاب إلى آخره وبذلك بلغت عدة الأحاديث الأصليّة في صحيح مسلم: (3033). ثم قال _ رحمه الله _: " وهو عمل ما سبقني إليه أحد من جميع المشتغلين بهذا الصّحيح، إذ كان جلّ جهدهم أن يطلقوا عددا ما، ورقما تخمينيا وارتجالا، لا يرتكز على أساس سليم، فحئت أنا كي أضع حدا حاسما فاصلا لهذا الاضطراب والبلبلّة والله الحمد".⁽⁴⁾

1 - النّوّي، شرح صحيح مسلم، ج: 1، ص: 21.

2 - ينظر: محمود فاخوري، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري حياته وعصره (د ط، د س) ص: 72.

3 - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 12، ص: 566.

4 - مسلم بن الحجاج، الصّحيح ، تحق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، مط: دار إحياء التراث العربي ، دط، دس) ج: 5، ص: 601.

أما عدد أحاديث الصحيح بالمرر، ولما كان محمد فؤاد عبد الباقي قد وضع لكل حديث رقما يدل على موقعه سهل لجميع أحاديث كل كتاب، وجمع هذه الأعداد يكون عدد أحاديث صحيح مسلم بالمرر (5770) حديثا، عدا أحاديث المقدمة التي بلغت سبعة أحاديث، إلا أن الترتيم الذي وضعه الشيخ للأحاديث الأصول دون المتابعات والشواهد، وبتبع عددها مفردة تبلغ (1615) حديثا، عدا المقدمة وفيها ثلاثة؛ فيكون عدد أحاديث الصحيح بالمرر مع المتابعات والشواهد (7395) حديثا عدا أحاديث المقدمة، وهي عشرة والله أعلم.⁽¹⁾

¹ - ينظر: مشهور حسن سلمان، الإمام مسلم بن الحجاج، (دمشق، مط: دار القلم، ط: 1، سنة: 1414هـ / 1994م) ص: 194.

المطلب الثالث: مكانة الصحيحين عند علماء الأمة

1_ الأحاديث المنتقدة على الصحيحين:

إنّ تلقي الأمة للصحيحين بالقبول، واعترافهم بمكانة هذين الكتابين، لم يمنع جهابذة النقد والعلل من الكلام في بعض أحاديثهما، وبيان أنّ بعضها ليست داخلية فيما انتخابه من الصحيح لأنّ الكتابين مهما بلغا من الدقة والتحري لا يعني أن لا تفوتهما أشياء؛ لأنّ العلماء متفوقون على أنّ العصمة ليست إلاّ لكتاب الله . عزّ وجل . وإن كان جلّ هذه الانتقادات الحق فيها مع الشيخين، وقد جاءت هذه الانتقادات من وجهين:

— إلزامهما بتخريج أحاديث هي على شرطهما، وقد بلغت أعلى درجات الصحة، ولكنهما لم يخرجها في كتابيهما، وهذا ما قصده الدارقطني⁽¹⁾ في الإلزامات، وغيره من المصنّفين والمتكلمين في هذا الباب⁽²⁾، وقد تتبع الدارقطني الأحاديث التي على شرطهما ولم يخرجها. وهذا الإلزام والاستدراك عليهما ليس بلازم لأنّ الشيخين قد صرّحا أنّهما اختارا أحاديث كتابيهما من بين عدد هائل من الأحاديث الصحيحة، قال البخاري: "صنّفت كتاب الصحيح لست عشرة سنة، خرجته من ستمائة ألف حديث، وجعلته حجّة بيني وبين الله"⁽³⁾. ومثله مسلم الذي بقيّ مع مصنّفه خمس عشرة سنة من ثلاثمائة ألف حديث⁽⁴⁾.

1 - الإمام الحافظ المجرّد شيخ الإسلام، علم الجهابذة، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبد الله البغدادي، المقرئ المحدث، من أهل محلة دار القطن ببغداد، كان من مجور العلم، وأئمّة الدنيا انتهى إليه الحفظ، ومعرفة علل الحديث ورجاله، وله مصنّفات عظيمة، كانت وفاته سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (385) ينظر: الذّهبي، سير أعلام النبلاء، والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج: 13، ص: 487.

2 - منهم: أبو مسعود الدمشقي، البيهقي، وأبو ذر الهروي، ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 1، ص: 24/ابن حجر، هدي السّاري، ص: 364 وقال ابن حبان " ينبغي أن يناقش البخاري ومسلم في تركهما إخراج أحاديث هي من شرطهما". ينظر: السّخاوي، فتح المغيث، ج: 1، ص: 54.

3 - النووي، تهذيب الأسماء واللّغات، ج: 1، ص: 74.

4 - النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 1، ص: 15/ والذّهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 12، ص: 566.

كما أنّهما لم يستوعبا الصّحيح، ولا التزما به بل صرّحا أنّهما تركا الكثير من الأحاديث الصّحيحة خشية أن يطول الكتاب، قال البخاري: " ما أدخلت في كتابي الجامع إلا ما صحّ، وتركت من الصّحاح لحال الطول"⁽¹⁾ وقال مسلم: " ليس كلّ شيء عندي صحيح وضعته هنا، إنّما وضعت ههنا ما أجمعوا عليه"⁽²⁾.

ولهذا قال التّووي: "...وهذا الالتزام ليس بلازم في الحقيقة فإنّهما لم يلتزما استيعاب الصّحيح بل صحّ عنهما تصريحهما بأنّهما لم يستوعبا وإتّما قصدا جمع جمل من الصّحيح، كما يقصد المصنّف في الفقه جمع جملة من مسائله لا أنه يحصر جميع مسائله..."⁽³⁾.

وقال ابن كثير:⁽⁴⁾ "ثم إنّ البخاري ومسلماً لم يلتزما بإخراج جميع ما يحكم بصحّته من الأحاديث، فإنّهما قد صحّحا أحاديث ليست في كتابيهما..."⁽⁵⁾.

— أمّا الوجه الثّاني من التّقد فهو انتقادهم لبعض الأحاديث التي خرّجها في صحيحيهما، بحجّة أنّها لم تستوف الشّروط أو أنّها نزلت عمّا اشترطها، وهيّ أحرف يسيرة كما عبّر عنها ابن الصّلاح، و تكلم عنها بعض أهل التّقد⁽⁶⁾، وعددها مائتين وعشرة (210) أحاديث ، منها ما اشتركا فيه وهو اثنان وثلاثون (32) حديثاً، ومنها ما انفرد البخاري بتخرجه وهو ثمانية وسبعون (78)

1 - ابن الصّلاح، علوم الحديث، ص: 19.

2 - مسلم، الصّحيح، ج: 1، ص: 191.

3 - التّووي، شرح صحيح مسلم، ج: 1، ص: 24.

4 - هو الحافظ الكبير عماد الدّين إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البُصروي، أبو الفداء الدّمشقي الفقيه الشّافعي، صاحب المصنّفات المشهورة منها: تفسير القرآن لكريم ، البداية النّهائية، وتهديب الكمال ، اختصار علوم الحديث ، كانت وفاته في شعبان سنة أربع وسبعين وسبعمائة. ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، ج: 8، ص: 397، والأدنه وي، طبقات المفسّرين، تحق: سليمان بن صالح (المدينة، مط: مكتبة العلوم والحكم، ط: 1، سنة: 1417هـ/ 1997م)، ص: 260.

5 - أحمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ص: 23.

6 - ينظر: ابن الصّلاح، علوم الحديث، ص: 29.

حديثاً، و انفرد مسلم بمائة (100) حديث. (1)

فيكون قول من انتقدهما مخالفاً لقولهما، ولا شك في تقديم الشيخين على غيرهما في ذلك، فيندفع الاعتراض **قال ابن حجر**: "فتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض..". (2)

وقد ردّ العلماء على هذه الاعتراضات، وأجابوا عنها في مصنّفاتهم من حيث الجملة، وبنقض الاعتراض عن كلّ حديث على حدة، ومن أبرزهم النووي في المنهاج، وابن حجر في هدي الساري، غير أنّهما قد استثنيا عدداً من الأحاديث الحق فيها مع المنتقدين، وفي الجواب عنها تعسّف، وهيّ أحاديث قليلة جداً مقارنة بعدد أحاديث الكتّابين **قال ابن الصّلاح**: "إذا عرفت هذا فما أخذ عليهما من ذلك وقدر فيه معتمد من الحفظ فهو مستثنى مما ذكرناه لعدم الإجماع على تلقّيه بالقبول وما ذلك إلا في مواضع قليلة" (3).

وقال ابن حجر: "وليس كلّها قاذحة بل أكثرها الجواب عنه ظاهر والقدر فيه مندفع وبعضها الجواب عنه محتمل واليسير منه في الجواب عنه تعسّف كما شرحتة مجملاً في أول الفصل". (4)

ومّا يحسن التنبيه عليه أنّ الأحاديث التي انتقدت عليهما ليس فيها مطعن أو ضعف، وإنّما انتقدت لأنّها لم تبلغ الدّرجة العليا التي التزم بها الشّيخان في جلّ كتابيهما **قال أحمد شاكر** (5): "الحقّ الذي لا مريّة فيه عند أهل العلم بالحديث المحقّقين وممن اهتدى بهديهم، وتبعهم على بصيرة

1 - ابن حجر، هدي الساري، ص: 364، والصنّاعي توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحق: صلاح محمد عويضة (بيروت، مط: دار الكتب العلميّة، ط: 1، سنة: 1417هـ/ 1997م) ج: 1، ص: 121.

2 - ابن حجر، هدي الساري، ص: 365.

3 - ابن الصّلاح، علوم الحديث، ص: 86.

4 - ابن حجر، هدي الساري، ص: 402.

5 - هو: أحمد بن محمد شاكر بن عبد القادر الحسيني، محدث فقيه وأديب، تخرج من الأزهر، له جهود كبيرة في خدمة كتب السنّة، وله عدة مؤلّفات منها، تحقيق مسند الإمام أحمد، والباعث الحثيث، توفي في ذي القعدة، سنة 1377هـ. ينظر: عمر رضا كخّالة، معجم المؤلّفين، ج: 13، ص: 368.

من الأمر: أنّ أحاديث الصّحيحين صحيحة كلّها، ليس في واحد منها مطعن أو ضعف، وإنما انتقد الدارقطني وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث، على معنى أنّ ما انتقدوه لم يبلغ في الصّحة الدّرجة العليا التي التزمها كلّ واحد منها في كتابه، وأما صحّة الحديث في نفسه فلم يخالف أحد فيها، فلا يهوّلنك إرجاف المرجفين، وزعم الزاعمين أنّ في الصّحيحين أحاديث غير صحيحة⁽¹⁾.

وفي الأخير وعلى القول بأنّ الحقّ مع من انتقد، فإنّ هذا لا ينقص من قدر الصّحيحين، ولا يضرهما بل يزيدهما رفعة ومكانة، لأنّهما قد اشتمل على ألوف من الأحاديث الصّحيحة، فانتقاد هذا النّزر اليسير وسط هذا الكمّ الهائل من الأحاديث ليدلّ دلالة قاطعة على قيمة هذين الكتّابين، ومكانتهما عند علماء المسلمين وعوامهم، قال ابن حجر: "إذا تأمل المصنّف ما حرّته من ذلك عظم مقدار هذا المصنّف في نفسه وجل تصنيفه في عينه وعذر الأئمة من أهل العلم في تلقّيه بالقبول والتّسليم وتقديمهم له على كلّ مصنّف في الحديث والقديم وليس سواء من يدفع بالصدر فلا يأمن دعوى العصبية ومن يدفع بيد الإنصاف على القواعد المرضية والضوابط المرعية"⁽²⁾.

2_ ثناء العلماء عليهما وإجماعهم على صحّة أحاديثهما:

لقد أفنى الشّيخان - رحمهما الله - حياتهما في خدمة سنة رسول الله - صلّى الله عليه وسلّم - وبيان صحيح الحديث وسقيمه متّبعين منهجا فريدا، حتّى أخرجوا للأمة كتابين اعتبرهما العلماء، أصحّ كتابين بعد كتاب الله - عزّ وجل - ولقد أطبق المتقدّمون والمتأخّرون أنّهما من أجلّ المصنّفات، فتلقّوهما بالقبول والإذعان، وأقبلوا عليهما بالشرح والبيان، وغمروهما بعبارات المدح والثناء، بل ونقلوا الإجماع على صحّة ما فيهما من الأحاديث المسندة المرفوعة، قال السّجزي⁽³⁾: "أجمع أهل العلم - الفقهاء

1 - أحمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، ص: 33.

2 - ابن حجر، هدي السّاري، ص: 402.

3 - هو عبيد الله بن سعيد بن حاتم الحافظ أبو نصر الوائلي البكري السّجزي، العالم الحافظ، مصنّف كتاب الإبانة الكبرى، توفي في محرم من سنة أربع وأربعين وأربعمائة (444). ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 30، ص: 95، والزركلي، الأعلام ج: 4، ص: 194.

وغيرهم - على أن رجلا لو حلف بالطلاق أن جميع ما في كتاب البخاري مما روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد صح عنه، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - قاله لا شك فيه، أنه لا يحنث والمرأة بحالها في حبالته⁽¹⁾."

قال أبو إسحاق الإسفراييني⁽²⁾: "أهل الصنعة مجمعون على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحال، وإن حصل فذاك اختلاف في طرقها ورواتها.

قال: "فمن خالف حكمه خبرا منها، وليس له تأويل سائغ للخبر، نقضنا حكمه؛ لأن هذه الأخبار تلقتها الأمة بالقبول"⁽³⁾.

قال ابن الصلاح: "جميع ما حكم مسلم بصحته من هذا الكتاب فهو مقطوع بصحته والعلم النظري حاصل بصحته في نفس الأمر وهكذا ما حكم البخاري بصحته في كتابه وذلك لأن الأمة تلقت ذلك بالقبول سوى من لا يعتد بخلافه ووفاقه في الإجماع... لأن ظن من هو معصوم من الخطأ لا يخطئ والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ"⁽⁴⁾.

قال النووي "وقد اتفقت الأمة على أن ما اتفق البخاري ومسلم على صحته فهو حق وصدق"⁽⁵⁾. وقال "وأجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين، ووجوب العمل بأحاديثهما"⁽⁶⁾.

1 - ابن الصلاح، علوم الحديث، ص: 26. و "حبالته" بكسر الحاء، هي ما يصاد بها من أي شيء كان، تجمع على حبال ومنه «النساء حبال الشيطان» أي مصايد، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج: 1، ص: 333..

2 - هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني الفقيه الشافعي المتوفى سنة ثمان عشرة وأربعمائة (418). ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج: 1، ص: 28.

3 - السخاوي، فتح المغيب، ج: 1، ص: 93.

4 - ابن الصلاح، صيانة صحيح مسلم، ص: 85.

5 - النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 1، ص: 20.

6 - النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 11، ص: 74.

وقال ابن تيمية⁽¹⁾: "فإن جميع أهل العلم بالحديث يجزمون بصحة جمهور أحاديث الكتابين وسائر الناس تبع لهم في معرفة الحديث فإجماع أهل العلم بالحديث على أن هذا الخبر صدق كإجماع الفقهاء على أن هذا الفعل حلال أو حرام أو واجب وإذا أجمع أهل العلم على شيء فسائر الأمة تبع لهم؛ فإجماعهم معصوم لا يجوز أن يجمعوا على خطأ." (2).

وفي الأخير هذا غيظ من فيض مما قيل في هذين الشيخين، ولو فتحنا باب الثناء عليهما لكُتب فيه المؤلفات وقد تقدم معنا كلام أئمة الدنيا، وجهابذة المحدثين الذين اشتغلوا بالصحيحين، وسبروا أحاديثهما ورجلتهما، وأفنوا فيهما أعمارهم وأوقاتهم، فهل بعد كلام هؤلاء الأعلام يقبل قول لقائل أو مغرض، أو معترض يأتي في آخر الزمان ليعترض عليهما ويطلق الأحكام جزافاً؟ وهو يتهم بذلك جميع هذه الأمة التي أجمعت على تلقي هذين الكتابين بالقبول، ولسان حاله يقول: لآت بما لم تستطعه الأوائل، وقد صنّفوا في ذلك عناوين برّاقة مستغلين الانتشار الزهيب لوسائل الإعلام والتواصل، وكذا بعد الشباب المسلم وقلة اطلاعهم على مصادرهم التي كانت إلى عهد قريب تقرأ في المساجد والمعاهد، ومن أعجب ما كتبوا في ذلك "تحرير العقل من النقل"، "جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين" "الأضواء القرآنية لاكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها" وسيأتي الكلام عنها إن شاء الله، ونقل أقوالهم واعتراضاتهم على الشيخين في الكثير من النصوص بحجة أنها مشكّلة، أو معارضة للعقل، أو العلم، أو الواقع.

1 - هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الحراني، المجتهد فريد عصره علماً ومعرفة شجاعة العارف بالحديث، والفقه والتفسير، والمذاهب وشقّي الفنون، صاحب المصنّفات العظيمة. كانت وفاته في ذي القعدة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، ينظر، الذهبي، معجم الشيوخ، تحق: الدكتور محمد الحبيب (الطائف)، مط: مكتبة الصديق، ط: 1، سنة 1408هـ/1988م، ج: 1، ص: 56. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: 8، ص: 142.

2 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحق: عامر الجزار، أنور الباز (المنصورة)، مط: دار الوفاء، ط: 3، سنة: 1426هـ/2005م، ج: 18، ص: 13.

المبحث الثالث: اتجاهات ومناهج المعاصرين المشتغلين بمشكل الحديث في الصحيحين

المراد بالمعاصرين في هذا البحث أولئك الباحثين الذي ألفوا مصنفات خاصة في انتقاد متون الصحيحين بدعوى معارضتها للقرآن أو للحديث أو العقل أو العلم الحديث أو الواقع، والعصر هاهنا الفترة الزمنية التي تمتد من بداية القرن الرابع الهجري إلى يومنا.

وقد خصت الدراسة نماذج من انتقادات العقليين والقرآنيين والشيعة الإمامية، في جملة من الأبواب التي ظهر لي أنهم اتفقوا على استشكالها والطعن فيها، كما اقتصرنا على جملة من النماذج وأما ذكر الأحاديث على وجه الاستيعاب فأمر عسير لكثرتها وقد أوصلها بعضهم إلى ما يقارب الألف حديث في الصحيحين فقط.

كما استبعدت الدراسة انتقادات غير المسلمين من المستشرقين والمستغربين وغيرهم وذلك لأمرين: . أن أكثر الاستشكالات التي ذكرها العقليون والشيعة والقرآنيون إنما تلقفوها عن المستشرقين وأذناهم . أن تأثير الفرق المعاصرة من المسلمين على غيرهم واضح بارز؛ لأن منطلقهم الدفاع عن السنة والذود عنها، بخلاف المستشرقين فعداؤهم ظاهر لكل ذي عقل ودين.

وسأذكر في هذا الفصل أهم الفرق المعاصرة المتقدمة للصحيحين وبيان مناهجهم في انتقاد نصوص الصحيحين.

المطلب الأول: المدرسة العقلية الحديثة

المدرسة العقلية اسم يطلق على ذلك التوجه الفكري الذي يسعى إلى التوفيق بين نصوص الشرع وبين الحضارة الغربية والفكر الغربي المعاصر، وذلك بتطويع النصوص وتأويلها تأويلاً جديداً يتلاءم مع المفاهيم المستقرّة لدى الغربيين ومع انفجار المعلومات والاكتشافات الصناعية الهائلة في هذا العصر، وتتفاوت رموز تلك المدرسة تفاوتاً كبيراً في موقفها من النصّ الشرعي، ولكنها تشترك في الإسراف في تأويل النصوص، سواء كانت نصوص العقيدة، أو نصوص الأحكام، أو الأخبار المحضة، وفي رد ما يستعصي من تلك النصوص على التأويل.⁽¹⁾

وقد ظهرت معالم هذه المدرسة في أواخر القرن الثالث عشر على يد جمال الدين الأفغاني⁽²⁾ وأتمّ بناءها تلاميذه بمصر الذين وضعوا أسس هذه المدرسة والذين من أبرزهم محمد عبده⁽³⁾ الذي أقام

¹ - ينظر: سلمان بن فهد العودة، حوار هادئ مع محمد الغزالي (مط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: 1، سنة: 1409هـ) ص: 9.

² - هو: محمد بن صفدر الحسيني، جمال الدين: فيلسوف الإسلام في عصره، ولد بأفغانستان ونشأ بكابل، وتلقّى العلوم العقلية والنقلية، وبرع في الرياضيات، رحل إلى الهند ثم إلى مصر، فنفخ فيها روح النهضة الإصلاحية، في الدين والسياسة، وتلمذ له نابغة مصر الشيخ محمد عبده، وكثيرون. وفتته الحكومة المصرية (سنة 1296) فرحل إلى حيدر آباد، ثم إلى باريس. وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة (العروة الوثقى) ورحل رحلات طويلة إلى أوروبا، من مصنفاته: تاريخ الأفغان، رسالة الردّ على الدهريين، توفي سنة (1315 هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام، ج: 6، ص: 168/ فهد بن عبد الرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية في التفسير، (الرياض، مط: إدارة البحوث العلمية، ط: 2، سنة: 1403هـ/ 1983م) ج: 1، ص: 75.

³ - هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتّجديد في الإسلام، ولد في شنرا (من قرى الغربية بمصر) ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة) وتعلم بالجامع الأحمدى. بطنطا، ثم بالأزهر. وتصوّف وتفلسف. وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما جريدة (الوقائع المصرية) وقد تولّى تحريرها وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة (العروة الوثقى) وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر وتولّى منصب القضاء، ثم جعل مستشاراً في محكمة الاستئناف، فمفتياً للديار المصرية (سنة 1317 هـ واستمر إلى أن توفي =

صروحها ونشرها بين الناس فكان له أثر أكبر من أستاذه وقد أسرف محمد عبده في إقحام العقل في المسائل الغيبية، وتقديم العقل على النقل حتى نقل الاتفاق على ذلك قال محمد عبده: "الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض: اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلا ممن لا ينظر إليه على أنه إذا تعارضا العقل والنقل أخذ بما دلّ عليه العقل.."⁽¹⁾

وتبع الأفغاني ومحمد عبده ثلة كبيرة من العلماء والأدباء والمفكرين سواء ممن تتلمذوا عليهم أو ممن تأثروا بمصنفاتهم ومناهجهم والذين تركوا أثارا بارزة في الساحة العلمية والثقافية المعاصرة من أبرزهم أحمد أمين ورشيد رضا.⁽²⁾

وتأثر أتباع المدرسة العقلية الحديثة بأفكار المعتزلة ودافعوا عنها، بل إن بعضهم نقل الكثير من أقوالهم في مسائل العقيدة كنزول الله - عز وجل - ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة وتبؤوا أفكارهم وأراءهم ودافعوا عنها، كما سيأتي بيانه في المباحث التطبيقية، كما أثنى الكثير من رواد هذه المدرسة على المعتزلة وأفكارهم ومصنفاتهم واعتبر أحمد أمين⁽³⁾ سقوطهم من أكبر مصائب المسلمين، وعاملا مهما في تخلفهم قال: فلما ذهب ضوء المعتزلة وقع الناس تحت سلطان المحدثين، وأمثالهم من الفقهاء

= بالإسكندرية، سنة (1323هـ) ودفن في القاهرة. له عدة مصنفات منها: تفسير القرآن الكريم لم يتمه، ورسالة التوحيد، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية وغيرها من المؤلفات. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج: 6، ص: 252.

1 - محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (مط: دار الحداثة، ط: 3، سنة: 1983م) ص: 70.
2 - هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير فلازم الشيخ محمد عبده وتلمذ له. من أثاره تفسير القرآن، ومجلة المنار، توفي سنة (354هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام، ج: 1، ص: 126/ فهد الرومي، منهج المدرسة العقلية في التفسير، ج: 1، ص: 170.

3 - هو أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطباخ: عالم بالأدب، غزير الاطلاع على التاريخ، من كبار الكتاب. اشتهر باسمه (أحمد أمين). مولده ووفاته بالقاهرة. قرأ مدة قصيرة في الأزهر. وتخرّج بمدرسة القضاء الشرعي، ودرّس، وتولّى القضاء ببعض المحاكم الشرعية. ثم عيّن مدرسا بكلية الآداب، كما عُيّن مديرا للإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية (سنة 47) واستمر إلى أن توفي سنة (1373هـ). وكان من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي ببغداد من أهم مصنفاته: فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام، النقد الأدبي وغيرها. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج: 1، ص: 101.

فكانت النتيجة جموداً بحتاً... ولو بقي الاعتزال لتلوّن المسلمون بلون آخر أجمل من لونهم الذي تلوّنوا به.. فلما ضعُف شأن المعتزلة بعد المحنة ظلّ المسلمون تحت تأثير حزب المحافظين نحواً من ألف سنة حتى جاءت النهضة الحديثة، وفي الواقع أنّ فيها لونا من ألوان الاعتزال ففيها الشك والتجربة وهما منهجان من مناهج الاعتزال، وفيها الإيمان بسلطة العقل، وحرية الإرادة، وكلها مبادئ قد قال بها المعتزلة. (1)

وينبغي التنبيه أنّ الشخصيات المتميّزة لهذا الاتجاه ليسوا على درجة سواء في نظرهم إلى النصوص الشرعية، فمنهم من يغلو في ردّ النصوص الشرعية لأدنى معارضة تبدو له بين المنقول والمعقول، والمبالغة في إقحام العقل في مسائل الغيبات، ومنهم المدافعون عن السنة في الغالب، ولهم آراء واجتهادات سليمة، ولكن تأثروا بالمنهج العقلي في مصنّفاتهم فحكّموا العقل في بعض المسائل التي لا قبل له بها.

وما يهّمنا في هذا المقام هم أصحاب الاتجاه العقلي الذين خصّوا الصّحّاحين بالنقد وبالغوا في ردّ النصوص النبوية بدعوى معارضة العقل في مؤلّفات خاصة، وطعنوا في الكثير من الأحاديث لأدنى معارضة عنّت لعقولهم، بل إنّ بعضهم لم يصح على منطقته العقلي سوى أحاديث يسيرة وفيما يلي تعريف موجز بأهم هؤلاء العقلايين ومؤلّفاتهم وبيان مناهجهم في استشكال أحاديث الصّحّاحين.

1. محمود أبو رية وكتابه "أضواء على السنة المحمدية"

● أبو رية:

هو محمود أبو رية من الكتاب المصريين، وُلد في محافظة الدقهلية عام 1889م، جمع بين الدراسة المدنية والدينية بالمدارس الابتدائية والدينية والثانوية والمعاهد الدينية، قضى أكثر أيام عمره في مدينة المنصورة، ثم وفد إلى الجيزة عام 1957م وبقي بها حتى مات سنة 1979م، له عدة مصنّفات منها:

¹ - ينظر: أحمد أمين، ضحى الإسلام (القاهرة، مط: مكتبة النهضة، ط: 7، د ت) ج: 3، ص: 207 / 203.

أضواء على السنّة المحمديّة، أبو هريرة شيخ المضيرة، جمال الدين الأفغاني، علي وما لقيّه من أصحاب الرسول، قصّة الحديث المحمدي وغيرها من المصنّفات. (1)

● كتابه "أضواء على السنّة المحمديّة":

يعدّ كتاب أبي رية "أضواء على السنّة" من الكتابات المعاصرة السابقة إلى الطعن و التشكيك في كتب السنّة النبويّة خصوصاً الصّحّاحين، بل ومن أكثرهم جرأة على الصّحابة رضوان الله عليهم (2) ولكثرة انحرافات هذا الرّجل تنوّعت مشارب الآخذين عنه من عقلائيّين وقرآنيّين وشيعة وإن كان أبو رية لم يأت بجديد غير النّقل عن منكري السنن من المستشرقين و الشيعة وغيرهم و تبني أفكارهم ولم يُفهمهم سوى "أنّه أكثر خبثاً ودناءة، وأسوأ أدبا مع الصّحابة الأئمّة، وأجراً على الكذب والبهت، والخيانات العلمية" (3) حتى إنه ليصعب على الباحث تصنيفه في خانة فكريّة معيّنة فقد جعله بعض الباحثين المعاصرين في خانة الشيعة (4) معتمداً على عناوين كتبه وطعنه في الصّحابي الجليل أبي هريرة، وجعله بعضهم في فئة القرآنيّين (5) استدلالاً ببعض أقواله الدالّة على وجوب التمسك بكتاب الله لأنّه الكتاب الوحيد المنقول بالتواتر، وأما الأخبار المنقولة من طريق الأحاد فلا تفيد إلا الظن.

1 - ينظر: مرتضى الرضوي، مع رجال الفكر بالقاهرة (بيروت، مط: دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط: 4، سنة: 1998م/1418هـ) ص: 128.

2 - يظهر تطاوله وجرأته على الصّحابي الجليل أبي هريرة. رضي الله عنه. في كتابه "أبو هريرة شيخ المضيرة" الذي طعن فيه في دينه وأمانته، واصفاً إياه بالوضّاع، وقد تجاوز أبو رية في مصنّفه هذا جميع الحدود، وخالف علماء الأمة. فنقول له لقد ارتقيت مرتقى وعراً، وعرضت نفسك لما لا حول لك به ولا قدرة، وجنيت على نفسك بهذه المجازفة وما أصدق قول الشاعر:

كناطح صخرةً يوماً ليوهنّها ... فلم يضرّها وأوهي قرنه الوعل

هذا البيت للأعشى ميمون. ذكره ابن عقيل ينظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (القاهرة، مط: دار التراث، ط: 20، سنة: 1400هـ / 1980م) ج: 3، ص: 109.

3 - محمد طاهر، السنّة في مواجهة الأباطيل (دون معلومات) ص: 64.

4 - ينظر: علي صالح علي مصطفى، طعن المعاصرين في أحاديث الصّحّاحين الخاصّة بأسباب النزول والتفسير، ص: 26.

5 - ينظر: محمد بن فريد زربوخ، المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصّحّاحين (الرياض، مط: تكوين للدراسات والأبحاث، ط: 1، سنة: 1421هـ / 2020م) ج: 1، ص: 249.

والحقيقة أنّ أبا رية أقرب إلى فكر العقلانيين ويظهر ذلك جلياً في تأثره وحماسه لأفكار المدرسة العقلية، ورجالها كمحمد عبده ورشيد رضا ونقل مذاهبهم في الكثير من المسائل كأخبار الأحاد والأحاديث المتعلقة بالغيبات وغيرها " ولكن أبا رية ترويحاً لكتابه في أوساط الشيعة تظاهر بالتشيع وأنهم كلّ من يتهمونهم من الصحابة والتابعين وأبغض كل من يبغضونهم" (1)

. وأما طعنه في أحاديث الصحيحين فلم يكثر أبو رية من الطعن التطبيقي في الأحاديث إلا أنه أسس للقواعد التي يمكن الاعتماد عليها في ردّ أحاديث الصحيحين، وقد اتكأ عليها جلّ من جاء بعده ولعلّ من أبرز هذه القواعد التي يمكن استخلاصها من كتابه:

. الرواية بالمعنى وضررها على السنة النبوية (2) وقد بالغ في انتقاد كتب السنة في هذا المبحث حتى يعتقد القارئ أنّ جلّ كتب الأحاديث رويت بالمعنى "وقد أفاض في هذا المبحث وأكثر من النقول وذلك لكي يُرتّب عليها ما يريد من نتائج هي أبعد ما تكون مرتبة عليها" (3) وقد دلّل على ذلك بجملة من الأحاديث المشهورة في الصحيحين وغيرها. (4)

. خبر الأحاد لا يفيد إلا الظن (5) وقد بين أبو رية أنّ جميع العقائد وأصول العبادات التي يتوقف عليها صحّة الإسلام ثابتة بالقرآن والإجماع، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الأحاد (6) وهذا الاختيار جعله يردّ الكثير من النصوص المتفق على صحّتها. (7)

1 - ينظر: مصطفى السباعي، السنة مكاتها في التشريع (المكتب الإسلامي، مط: دار الوراق، ط: 1، سنة: 2000م) ص: 388.

2 - ينظر: أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، ص: 62 / 70.

3 - ينظر: أبو شهبة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين (مط: مكتبة السنة، ط: 1، سنة: 1989م) ص: 36.

4 - فمن ذلك حديث "الصيغ الواردة في التّشهاد" و"حديث الإسلام والإيمان"، و"حديث الصّلاة في بني قريظة" .. ينظر: أبو رية، أضواء على السنة، ص: 55 / 65.

5 - ينظر: المرجع السابق، ص: 336 / 352.

6 - ينظر: المرجع السابق، ص: 379.

7 - كحديث السّحر، وحديث تحاجت الجنة والنار ينظر: نفس المرجع، ص: 351 / 357.

. مخالطة الإسرائيليات والمسيحيات للحديث النبوي: وقد اتهم عبد الله بن سلام وتميم بن أوس الداري . رضي الله عنهما . بترويج الإسرائيليات والمسيحيات و الأكاذيب والترهات ويزعمون أنها من عند رسول الله ﷺ . وهي في الحقيقة من مفترياتهم!! (1) ثم عرض أحاديث زعم أنها من الإسرائيليات(2) وقد اتهم المحدثين بالغفلة وعدم المبالاة بما دسّه أعداء الدين بين المسلمين.(3)

. روايات أبي هريرة . رضي الله عنه . وضررها(4): لم يكتب أبو رية بما كتبه عن هذا الصحابي الجليل في كتابه " أبو هريرة شيخ المضيرة" الذي وصفه فيه بأرذل الأوصاف واتهمه في دينه وعدالته(5) حتى خصص له فصلا كاملا من كتابه " أضواء على السنة" اتهمه فيه بالتدليس والكذب والسذاجة والغفلة والوضع(6) .

لقد تحامل المؤلف تحاملا لا يرتضيه منصف على مسلم بله على صحابي من صحابة رسول الله . الذي لا يخلو كتاب من كتب الأحاديث من ذكر اسمه، كيف لا يكون كذلك ولم يبلغ أحد من الصحابة عدد أحاديثه، مستفيدا في ذلك من دعوة النبي ﷺ . له بأن لا ينسى ما يحدثه به، وهذه المزية . التي خص بها أبو هريرة بركة دعائه ﷺ . دون سواه من الصحابة، جعلها أبو رية ومن جاء بعده مطية للطعن فيه، وفي مروياته متسائلا كيف يكون أبو هريرة أكثر رواية، ويكون كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار أقلهم رواية عنه (7) وقد ذكر المؤلف عدة أحاديث لأبي هريرة ضعفها (8) بل

1 - ينظر: أبو رية، أضواء على السنة، ص:167.

2 - منها: حديث الإسراء" وحديث الجساسة" ونزول عيسى . عليه السلام " ينظر: المرجع السابق، ص: 167.

3 - ينظر: المرجع السابق ، ص: 164 / 135.

4 - ينظر: المرجع السابق ، ص: 167.

5 - ينظر: المرجع السابق ، ص: 164 / 135.

6 - ينظر: المرجع السابق ، ص: 188 / 175.

7 - ينظر: المرجع السابق ، ص: 164 / 135.

8 - منها حديث" موسى وملك الموت" وحديث" تحاجت الجنة والنار" وحديث" الدباب" ينظر: المرجع السابق ، ص: 195/

و نصّ المؤلف أنّ هذه الأحاديث للتّمثيل لا الحصر إذ الإحاطة بها تحتاج إلى مجلّدات⁽¹⁾ !! وكأنّ أبا هريرة لم يرو غير الضّعيف والموضوع وأنّ روايته للصّحيح أمر عارض.

. ردّ الأحاديث المتعلقة بالغيب وأشراط الساعة⁽²⁾ ذكر تحت هذا الفصل الكثير من الأحاديث المرويّة في الصّحّيحين وغيرهما وقد اعتبرها أحاديث غريبة⁽³⁾ ولم يكلف نفسه عناء التّعليق عليها وبيان وجه الغرابة فيها، وقد تبوّى ما توصّل إليه رشيد رضا من نتائج بعد أن طعن في أحاديث أشراط الساعة وهي أنّ النبي . ﷺ . لم يكن يعلم الغيب، وإنّما أعلمه الله ببعض الغيوب بما أنزل عليه في كتابه. ثم بيّن أنّ هذا الكلام لا ينطبق على أحاديث أشراط الساعة فقط، بل كل ما زوّي منسوباً إلى النبي صلى الله عليه وسلّم.⁽⁴⁾

2. جواد عفّانة وكتابه "صحيح البخاري مخرّج الأحاديث مُحَقَّق المعاني"

● جواد عفّانة:

هو جواد موسى محمد عفّانة ولد بقرية صور باهر بالقدس سنة 1941م ، درس الهندسة بالجامعة الأردنيّة ونال فيها شهادة (الماجستير)، وعمل بالهندسة في الأردن والكويت، ثم تفرّغ للقراءة والكتابة منذ عام 1990م، وزعم أنه نذر نفسه لغريلة الأحاديث، والبحث في المسائل الصّعبة والخلافيّات⁽⁵⁾ له عدة مؤلّفات ومقالات منها: لا عذاب في القبر وهو مختصر لكتابه حقيقة عذاب القبر، دور السنّة في إعادة بناء الأمّة، الإسلام وصيّاح الدّيك، حوار حول أحاديث الفتن وأشراط الساعة،

1 - ينظر: أبوريّة، أضواء على السنّة، ص: 135 / 164.

2 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 198.

3 - ومن الأحاديث التي استشكلها في الصّحّيحين حديث "سجود الشّمس تحت العرش" وحديث "الدواء بالعجوة" وحديث "السؤال عن قيام الساعة" وحديث " لا تزال جهنّم يلقى فيها" وحديث " الدجال" ... ينظر: المرجع السابق، ص: 198 / 211.

4 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 216.

5 - ينظر: طعون المعاصرين في أحاديث الصّحّيحين الخاصة بأسباب النّزول والتّفسير بدعوى مخالفة القرآن، علي صالح علي مصطفى، ص: 15.

صحيح البخاري مخرّج الأحاديث محقق المعاني وتعتبر جلّ كتابته ومقالاته تتمحور حول الطعن في الأحاديث وخصوصاً أحاديث الصّحّاحين.

● كتابه "صحيح البخاري مخرّج الأحاديث محقق المعاني"

للمؤلّف عدد من الكتب جلّها طعنٌ في أحاديث الصّحّاحين منها: الإسلام وصيّاح الديك، دور السنّة في إعادة بناء الأمّة، وما يهّمنا في هذا المقام كتابه (صحيح البخاري مخرّج الأحاديث محقق المعاني) الذي ضرب فيه خبطَ عشواء وضعّف فيه أكثر أحاديث البخاري بحجج متعدّدة، كمخالفة القرآن أو معارضة حديث آخر أكثر صحّة، أو ضعف أحد الرّواة، أو مخالفة العقل أو العلم اليقيني، وطريقته في الكلام على الأحاديث، واستسهاله لطرق النّقد، ومناهج الجرح والتّعديل جعله يسقط آلاف الأحاديث من صحيح البخاري، وعنوان كتابه يوحي للقارئ أنّ المؤلّف قام بجهدٍ كبير وأتى بما لم تأت به الأوائل غير أنّ المتصفّح له يجد غير ذلك وطريقته في النّقد أن يعتمد إلى صحيح البخاري كما هو ثم يعلّق عليه بقوله:

. صحيح: إذا صحّ الحديث على منهجه، وهو قليل جداً بالنّسبة للضعيف.

. يُتوقّف فيه سنداً: وذلك بحجج واهيّة، كأن يكون في سند الحديث راوٍ ليس في أعلى مراتب

التّعديل، أو قد مُسّ بنوع من الجرح عند إمام من الأئمّة كقولهم "صدوق" أو "لا بأس به"

أو "مقبول" أو "صالح الحديث" وغيرها من العبارات⁽¹⁾، فينقل فيه كلام أئمّة الجرح والتّعديل غافلاً

أو متغافلاً عن منهج الإمام البخاري في الانتقاء من أحاديث من كان فيه قصور عن شرطه، وكذا

طريقته في التّفريق بين الحديث المذكور في الأصول ومن خرّج له في المتابعات والشّواهد قال

الذهبي⁽²⁾: "فما في "الكتابين" بحمد الله رجل احتجّ به البخاري أو مسلم في الأصول ورواياته

¹ - ينظر: جواد عفانة، صحيح البخاري مخرّج الأحاديث محقق المعاني (عمان، دار جواد عفانة، ط: 1، سنة: 2004م) مثلاً

ج: 1، ص: 12/13/14/15/16/17/19/20/21.... ولا تكاد تخلو صفحة من مثال أو مثالين لما طعن في سنده.

² - هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل الدمشقي الحافظ أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ولد في

ثالث ربيع الآخر سنة 673، ومهر في فنّ الحديث وجمع تاريخ الإسلام فأرّى فيه على من تقدم بتحرير أخبار المحدثين، وقد =

ضعيفة، بل حسنة أو صحيحة، ومن خرّج له البخاري أو مسلم في الشواهد والمتابعات، ففيهم من في حفظه شيء، وفي توثيقه تردّد فكل من خرّج له في "الصّحيحين"، فقد قفز القنطرة، فلا معدل عنه، إلاّ ببرهان بيّن⁽¹⁾ وقال ابن حجر: "ويؤخذ من صنيعه أيضا أنه وإن اشترط في الصّحيح أن يكون راويه من أهل الضبط والإتقان أنّه إن كان في الرّواي قصور عن ذلك ووافقه على رواية ذلك الخبر من هو مثله انجبر ذلك القصور بذلك وصحّ الحديث على شرطه"⁽²⁾

. يُتوقّف فيه متنا⁽³⁾: وذلك بدعوى معارضة الحديث للقرآن أو معارضته لحديث آخر، أو أن يخالف العقل والمنطق، أو يناقض العلم اليقيني، أو يكون في الكلام عن المغيّبات التي لا أصل لها في القرآن أو يكون فيه مخالفة للبدهيّات والمسلّمات.⁽⁴⁾

. يُتوقّف فيه سندا ومتنا⁽⁵⁾: وذلك إذا كان في سند الحديث راو ليس في أعلى مراتب التّعديل، وكان متنه معارضا للقواعد التي وضعها.

و المؤلّف في الحقيقة لم يُخرّج الأحاديث، ولم يُحقّق المعاني وإمّا طريقته في نقد الأحاديث تدلّ على عدم معرفته بقواعد المحدثين ومناهجهم في إخراج الأحاديث، وخاصّة علم الجرح والتّعديل، وانتقاء

= صنّف مصنّفات عظيمة منها: الميزان، سيرّ أعلا النبلاء، تذكّرة الحفاظ، الموقظة وغيرها، ومات سنة ثمان وأربعين وسبعمائة. ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة (بيروت، مط: دار الجيل، د ط، سنة: 1414هـ/ 1993م) ج: 3، ص: 336.

¹ - ينظر: الدّهبي، الموقظة في علم مصطلح الحديث، تحق: عبد الفتّاح أو غدّة (بيروت، مط: دار لبشائر الإسلام، ط: 1، سنة: 1405هـ) ص: 80.

² - ابن حجر، فتح الباري، ج: 10، ص: 550.

³ - ينظر: جواد عفانة، صحيح البخاري مخرّج الأحاديث محقق المعاني، مثلا: مج: 1، ص: 14 / 2 / 247 / 626 / 630 / 638 / 640 / 645 / 646...

⁴ - ينظر: جواد عفانة، دور السنة في إعادة بناء الأُمَّة (عمان، مط: دار جواد، ط: 2، سنة: 1435هـ/ 2014م) ص: 55 / 56. "وقد طبّق هذا المنهج في كتابه صحيح البخاري مخرّج الأحاديث محقق المعاني وردّ به أحاديث كثيرة جدا.

⁵ - ينظر: جواد عفانة، صحيح البخاري مخرّج الأحاديث محقق المعاني، مثلا: ج: 1، ص: 246 / 248 / 345 / 397 / 617 / 626 / 628 / 629 / 630 / 631 / 633 / 634...

الأحاديث، والتفريق بين ما خُرج في الأصول مع ما خُرج في المتابعات والشواهد.

3. إسماعيل الكردي وكتابه "نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث"

● إسماعيل الكردي:

إسماعيل عبد الله الكردي كاتب سوري وُلد بدمشق سنة 1964م، وحاز على إجازة في اللغة العربية وآدابها من جامعة دمشق عام 1986م، ويعمل في مجال النشر منذ عام 1993م، وأسس دار الأوائل للنشر عام 1999م، وكان مديرها العام والمسؤول عن الكتب التي تصدرها الدار، له مجموعة من التحقيقات لبعض الكتب التي تتحدث عن الديانات القديمة والموضوعات الفلسفية، كما له مجموعة من المؤلفات المتعلقة بنقد بعض المصطلحات الأصولية ككتاب الآحاد النسخ والإجماع دراسة نقدية لمفاهيم أصولية، وكتاب ظاهرة النص القرآني.⁽¹⁾

● كتابه "نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث . دراسة تطبيقية على بعض أحاديث الصحيحين"

يُعدّ كتاب إسماعيل الكردي محاولة لتفعيل الأمارات الدالة على وضع الحديث والتي قررها علماء الحديث وقد صدر الكردي كتابه بمقدمة انتقد فيها بعض المثقفين بالثقافة الغربية الذين يردّون الأحاديث التي لا تنسجم مع المعطيات العلمية والطبية والتاريخية، كما انتقد في الطرف المقابل من يأخذون بظواهر النصوص ويستنتجون منها آراء خاطئة وينون عليها أحكاماً⁽²⁾ ثم صرح الكردي بمراده من الكتاب وأنه يهدف إلى تأكيد حجّة السنّة النبوية وأن بعضها وحي وجزء لا يتجزأ من الإسلام، وكذا بيان عدم عصمة كلّ لفظة من الصحيحين فضلا عن غيرها من المصنّفات.⁽³⁾

¹ - ينظر: ترجمته في الموقع الإلكتروني دار الأوائل للنشر والتوزيع/ علي صالح علي مصطفى، طعون المعاصرين في أحاديث الصحيحين الخاصة بأسباب النزول والتفسير ص: 26.

² - ينظر: إسماعيل الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث (دمشق، مط: دار الأوائل، ط: 1، سنة: 2002م) ص: 16.

³ - ينظر: المرجع السابق، ص: 17.

وقد تناول في كتابه ثمانية فصول:

. **الفصل الأول:** بيّن في هذا الفصل حجّية السنة النبوية وأنها وحي، واستدلّ على حجّيتها بنصوص قرآنية كثيرة، وانتقد من يدعون إلى الاكتفاء بالقرآن وإنكار السنة. (1)

. **الفصل الثاني:** تحدث في هذا الفصل عن أخبار الأحاد وأنها لا تفيد إلا الظن، وأنّ الصّحّيين كغيرهما فيهما الكثير من الروايات المتقدمة سندا، أو التي لا يمكن القول بصحّتها متنا طبقا لقواعد نقد المتن التي قررها علماء الحديث. (2)

. **الفصل الثالث:** ادّعى فيه عدم إجماع الأمة على صحّة ما في الصّحّيين مستدلا بانتقاد الأئمة الأربعة لبعض أحاديثهما، وكذا انتقاد بعض الأئمة لأحاديثهما منذ زمن تأليفهما إلى يومنا (3).

. **الفصل الرابع:** تكلم فيه عن مختلف الحديث ومتعارضه في الصّحّيين مرجعا سبب كثرة الروايات المتعارضة إلى الرواية بالمعنى واختلاف الرواة في الحفظ والفهم (4) وقد استدلّ بعدة أحاديث منها: أحاديث صلاة الكسوف، أول ما نزل من القرآن، وأحاديث إثبات العدوى ونفيها (5) وجلّ الأحاديث التي ذكرها في هذا الباب التعارض فيها ظاهري لم يخف على الشّيخين وإنما ذكروا هذه الأحاديث المختلفة لبيان وجه الجمع أو التّرجيح بينها.

. **الفصل الخامس:** أحاديث في الصّحّيين انتقد المحدثون متونها ونفوا صحّتها وقد تعرّض في هذا الفصل لجملة من الأحاديث المشكّلة التي بيّن العلماء اشكالاتها وأجابوا عنها كحديث خلق

التّربة، الاستغفار لابن سلول، واختصام الجنّة والنّار. (6).

1 - ينظر: الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، ص: 19.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 37.

3 - ينظر: المرجع السابق، ص: 74 / 38.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص: 102.

5 - ينظر: المرجع السابق، ص: 110 / 107.

6 - ينظر: المرجع السابق، ص: 163 / 149.

. **الفصل السادس:** عنوانه بقواعد نقد المتن وتطبيقاتها على أحاديث الصحيحين وقد تكلم فيه عن جملة من القواعد منها: أنّ صحّة السند لا تستلزم صحّة المتن، العلل والأمارات الدالة على ضعف الحديث وإن كان صحيح السند، وكذا التّفاوت في تطبيق هذه القواعد بين المحدثين والفقهاء والمتكلمين وكذا بين القدماء والمتأخرين، و أنّهم الكردي المحدثين بعدم تطبيق هذه القواعد من الناحية العملية قال: " فعلى الرّغم من تلك القواعد الدّقيقة لنقد المتن، التي لا تقلّ أهميّة عن قواعد نقد الأسانيد إلا أنّه على الصّعيد العملي لم يكن تطبيق المحدثين لهذه القواعد بشدّة تطبيقهم لقواعد صحّة السند، خاصة عندما يتعلق الأمر بروايات الصحيحين والكتب التي نالت الشهرة والقبول".⁽¹⁾ ثمّ طبّق الكردي هذه القواعد على جملة كبيرة من أحاديث الصحيحين واستشكل متونها منها حديث سجود الشّمس تحت العرش، نزول الله . عزّ وجل . رؤية الله يوم القيامة⁽²⁾... وغيرها من الأحاديث التي سنأتي على ذكر أهم الإشكالات الموجهة إليها في الدراسة التطبيقية.

. **الفصل السابع:** خصّه للطعن في روايات أبي هريرة . رضي الله عنه . متّهما إيّاه بالتدليس والوضع مستغريا كثرة أحاديثه، وأنّ جلّ أحاديثه ركيكة المعنى ولا يمكن أن تكون صحيحة.⁽³⁾

. **الفصل الثامن:** ثغرات في البناء الإسنادي المحكم، وقد بيّن المؤلّف أنّ أحاديث الصحيحين وإن كانت صحيحة السند إلا أنّ الضّعف تسرّب إليها من جهات أخرى منها: الاحتجاج بمراسيل الصحابة رغم أنّ بعضهم كان صغيرا عند وفاة النبي . ﷺ . وكذا التسليم بعدالة وحفظ كلّ الصحابة ولو كان من الأعراب أو المنافقين وهذا توسّع غير مرضي في اصطلاح الصحابي عند المحدثين، وكذا عدم سلامة بعض رجال الصحيحين من غوائل الجرح⁽⁴⁾.

1 - إسماعيل الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، ص: 169 / 167.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 222 / 178.

3 - ينظر: المرجع السابق، ص: 267 / 248.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص: 314 / 296.

المطلب الثاني: الشيعة الإمامية الاثنا عشرية

الشيعة هم الذين شايعوا علياً رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً، وإما خفياً. واعتقدوا أنّ الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده،⁽¹⁾ ولقبوا بالإمامية؛ لقولهم بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه السلام؛ نصاً ظاهراً، وتعييناً صادقاً، وهم اثنا عشرية لأنهم اعتقدوا أنّ الأئمة بعد الرسول ﷺ. اثنا عشر إماماً وقد خالفهم في هذا الأصل كل من عاديهم.⁽²⁾

وللشيعة الإمامية عدّة كتابات في نقد كتب السنّة ودواوين الحديث النبوي أمّا نقدم للصّحّاحين فسلبوا الضوء على الصّحّاحين بعيون نقدية ابتداءً من مطلع القرن الرابع عشر الهجري، وذلك مع أمثال شيخ الشريعة الأصفهاني⁽³⁾ في كتابه الشهير (القول الصّراح)⁽⁴⁾، إذ يعدّ هذا الكتاب من أوائل الكتب الإمامية التي مارست نقداً واسعاً لصحيح البخاري من زوايا متعدّدة، وقد بقيت مقولات هذا الكتاب تتداول في الوسط النقدي عند الإمامية إلى يومنا هذا مع شخصيات عدّة، وقد

1 - ينظر: الشّهستاني، الملل والنحل (مط: مؤسسة الحلبي ، دط، د ت) ج: 1، ص: 146/ المفيد العكبري، أوائل المقالات في المذاهب المختارات، (إيران، مط: مؤسسة مطالعات، دط د ت) ص: 4.

2 - ينظر: الشّهستاني، الملل والنحل، ج: 1، ص: 162/ ناصر القفاري، أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية (د مط، ط: 2، سنة: 1415هـ/ 1994م)/ المفيد العكبري، أوائل المقالات في المذهب المختارات، ص: 6.

3 - فتح الله بن محمد جواد الأصفهاني الملقّب بشيخ الشريعة: فقيه إمامي، من كبار المشاركين في ثورة العراق الأولى على الإنكليز. أصله من شيراز، تفقّه وقرأ العربية. وانتقل إلى النجف فانتهدت إليه رئاسة علمائها، كان خطيباً كاتباً، من أصدقاء السيد جمال الدين الأفغاني. وبرز اسمه في ثورة العراق أيام الاحتلال البريطاني، كان وفاته سنة (1339هـ). ينظر " الزركلي، الأعلام، ج: 5، ص: 135.

4 - وقد تنوّعت مطاعن المؤلّف في البخاري وصحيحه حيث تناول في الكتاب ثلاثة فصول: الفصل الأول: ألزم فيه البخاري بإخراج أحاديث هي على شرطه جلّها متعلّق بمناقب علي . رضي الله عنه . متّهماً البخاري في دينه لعدم إخراجها لها، وأكثر الأحاديث التي ذكرها من الضعيف أو الموضوع ولا ترقى إلى شرط البخاري، ولو كانت صحيحة فلزامه للبخاري بما غير لازم؛ لأنّ البخاري نفسه صرّح " بعدم استيعاب جميع الصّحيح " كما تقدّم. ينظر: شيخ الشريعة الأصفهاني، القول الصّراح في البخاري وصحيحه الجامع، تحق: حسين الهرساوي (إيران، مط: مؤسسة

شكل كتاب شيخ الشريعة بداية مفصليّة حقيقيّة لحركة إماميّة نقديّة تهمّت بالتعامل مع صحيحي البخاري ومسلم بوصفهما كتابين حديثيين، ويتعرض النقد هذا لمجمل العناصر الأساسية التي تمنح هذين الكتابين قيمتهما الحديثيّة والتاريخيّة، ومنذ ذلك الحين يعكف فريق من علماء الإماميّة على الكتابة في نقد التراث الحديثي السنّي من الزاويّة الحديثيّة والقيمة التاريخيّة له⁽¹⁾.

وما يعيننا في هذا المقام كتابات الشيعة الإماميّة في استشكال متون الصّحّاحين بدعوى معارضتها للقرآن، ومناقضتها للعقل والواقع والعلم الحديث، وهذا تعريف لأبرز النماذج الشيعة المتقدمة للصّحّاحين وبيان مناهجهم وأسباب استشكالهم لأحاديث الصّحّاحين:

1. محمد صادق النّجّمي وكتابه " أضواء على الصّحّاحين "

● محمد صادق النّجّمي

هو محمد صادق النّجّمي من علماء الحوزة في قم، اشتهر بين الشيعة بكتابه أضواء على الصّحّاحين الذي كتبه بالفارسيّة، ونقله يحيى البحراني إلى العربية، كما له ترجمة أخرى لمرتضى القزويني بعنوان تأملات في الصّحّاحين، ويوجد بعض الاختلاف والزيادة والنقص بين التّرجمتين وقد طُبعت

= مؤسسة الإمام الصادق، ط: 1، سنة: 1422 هـ) ص: 25.

. الفصل الثاني: خصّه للكلام عن جملة من روايات البخاري جلّها متعلّق بمقام النبوة كحديث الصّلاة على ابن سلول، حديث نسبة الكذب لإبراهيم عليه السّلام، وحديث الأجرة على القرآن وغيرها من النصوص الصّحيحة المشهورة في كتب السنة، وجلّ الإشكالات التي ذكرها أجاب عنها شرح الحديث قبله. (ينظر: القول الصّراح ص: 105)

. الفصل الثالث: قدح فيه في عدالة خمسة من الصّحابة وطعن في حفظهم وهم: عبد الله بن عمر، عبد الله بن عمرو، عبد الله بن الزبير، أبوهريرة، وأبو موسى الأشعري، وقد وصفهم بأرذل الأوصاف، وشنّ على البخاري في إخراج أحاديثهم (ينظر: القول الصّراح، ص: 165) وقد أعرض في ذلك عن النصوص القرآنية والأحاديث النبويّة التي نصّت على عدالتهم، ويكفي أن يقرأ الواحد حديثاً واحداً للنبي ﷺ . حتى يعرف مدى سداحة هذا الرّجل وتعامله على الصّحّاب الكرام فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «لا تسبوا أصحابي، فلو أنّ أحدكم أنفق مثل أحد، ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم، ولا نصيفه» أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصّحابة، باب لو كنت متخذاً خليلاً، رقم (3673)/ ومسلم كتاب: فضائل الصّحابة. رضي الله عنهم، باب تحريم سب الصّحابة. رضي الله عنهم، رقم (2540).

¹ - ينظر: حيدر حب الله، الإماميّة والموقف من صحيحي البخاري ومسلم (بحث مقدّم للمؤتمر الدولي بألمانيا 17/ 19 نيسان 2015م) ص: 16.

نسخة البحراني في دار المعارف الإسلامية سنة 1419هـ، وقد ذكر النجّمي أنّه شجّعهُ على إتمام هذا الكتاب شيخه عبد المحسن الأميني صاحب كتاب الغدير في الكتاب العزيز، وكذا مرتضى العسكري صاحب كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة⁽¹⁾ قال النجّمي: ".. ونظر في مذكراتي نظرة فاحص، أخذ في تشويقي وتشجيعي، فأبدى من الفرح والسرور والمدح والثناء على عملي بحيث لم أكن أتوقّعه، ولم أر ذلك في شأني وشأن كتابي، ثم أمرني بالإسراع في طبعه ونشره.⁽²⁾

● كتابه " أضواء على الصّحّحين "

كتاب النجّمي من أهم ما ألفه الشيعة المعاصرون في انتقاد الصّحّحين، بل ومن أوسعهم شُبهاً، وأكثرهم طعناً في الأحاديث؛ ولذا حرصوا على ترجمته إلى العربيّة ونشره بين الناس لظنّهم أنّه أبان عن عيوب وحقائق ظلّت مستورة طوال فترة من الزّمن وقد صرّح النجّمي بمراده فقال: " وقد اعتبروهما أصحّ الكتب وأتقنها بعد القرآن، بل حكموا في قطعية صدور كل ما ورد فيهما تماماً كالقرآن⁽³⁾... ثم قال " وهذه الأمور هي التي دعّتنا إلى البحث والتنقيب في الصّحّحين وكشف حقيقتهم وماهيتهم، كي تتجلّى الحقائق التي استترت خلف الأستار السميكة من التّقاليد والعصبّيّات والظلمات والأوهام التي ظلّت مسدولة لفترة تزيد على ألف سنة"⁽⁴⁾.

ثم عرّج على الصّحّحين في ثمانية فصول:

1 - ينظر: محمد صادق النجّمي، أضواء على الصّحّحين، (بيروت، مط: مؤسسة المعارف الإسلاميّة، ط: 1، سنة: 1419هـ) ص: 27 / 30.

2 - المرجع السابق، ص: 30.

3 - لم يقل أحد من علماء الأمة أنّ الصّحّحين معصومان، أو أنّهم حكموا بقطعية كلّ ما صدر فيهما كالقرآن كما ادّعه النجّمي، بل إنّنا نجد في كتابه ما يناقض به نفسه حين بيّن انتقادات أهل السنّة للصّحّحين حيث قال: " وليعلم القارئ الكريم بأنّنا نحن الشيعة لم نكن سبّاقين إلى فتح باب الانتقاد على الصّحّحين ومؤلّفيهما وتفنيدهما رواياتهما، بل أنّ علماء العامّة أنفسهم لهم السّبق وأنهم تعرضوا لنقدتهما وبيّنوا الحقيقة بصراحة، وفتحوا باب نقد الصّحّحين على مصراعيه" ثم ذكر منهم الذهلي، و أبو زرعة الرازي، والنّووي، وابن حجر، و الباقلني، وإمام الحرمين، والغزالي وصولاً إلى محمد عبده ورشيد رضا وأحمد أمين. ينظر: أضواء على الصّحّحين، ص: 82.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص: 60.

. **الفصل الأول:** تحدّث في هذا الفصل عن تأخّر تدوين الحديث النبوي، وأنّهم فيه الخليفين أبا بكر وعمر بمنع رواية الحديث وإحراقه، وأنّ معاوية استغلّ ذلك فمنع نشر الأحاديث الصحيحة، وأكرم كلّ من يضع الأحاديث المكذوبة التي تخدم مصلحته⁽¹⁾!!

. **الفصل الثاني:** ترجم فيه للبخاري ومسلم ترجمة موجزة قدح فيها في صدقهما، وأمانتهما، وطعن في عقدهما، واصفا البخاري بالسذاجة والجهل، بل إنّه أباح لنفسه نقل الأكاذيب التي لا يصدّقها مسلم فضلا عن طالب علم أو عالم، مدّعيا أنّه استفاد ذلك من تراجم أبواب البخاري كقوله "ومن فتاويه النكرة العجيبة ترتب حكم الرضاع بلبن الحيوانات، فمثلا إذا رضع طفلان من لبن العنز أو البقر للمدّة المقرّرة، تترتب عليهما أحكام الرضاع وتثبت بها الأخوة"⁽²⁾ ولا يُستغرب منه مثل هذا الافتراء على الشّيخين بعد طعنه في الخليفين أبي بكر عمر. رضي الله عنهما.

. **الفصل الثالث:** تكلم فيه عن مكانة الصّحّاحين عند أهل السنّة، و اعتبر ثناء العلماء ومدحهم للكتابين غلواً وتنطعاً فيهما وأنّ مؤلّفيهما كان في الحقيقة محل انزجار واتّهام المسلمين إيّاهما بالكفر والزندقة⁽³⁾ ومما نقل المؤلّف في هذا الفصل من افتراءات نسبته لأهل السنّة تسمية الكتب الستة بالصّحاح قال: "وجه تسمية هذه الكتب الستة بالصّحاح ورفقها مع سائر كتب الحديث والمسانيد هو أنّ جميع ما ورد فيها من الأحاديث والرّوايات سواء من وجهة نظر مؤلّفها أو من وجهة نظر علماء أهل السنّة فهي صحيحة ومطابقة للواقع، وإنهم يعتقدون بأنّ كلّ ما جاء في هذه الصّحاح الستة... قد خرج من بين شفّتي الرّسول ﷺ." ⁽⁴⁾ ولم ينسب النّجّمي كعادته هذا الكلام لأحد من أهل السنّة، وما أسهل رمي الكلام على عواهنه دون نسبته لأحد، ومعلوم قطعاً أنّ أصحاب السنن

1 - ينظر: النّجّمي، أضواء على الصّحّاحين، ص: 47 / 48 / 51.

2 - المرجع السابق، ص: 67.

3 - ينظر: المرجع السابق، ص: 85.

4 - المرجع السابق، ص: 73.

لم يشترطوا الصّحة؛ لهذا وُجد في كتبهم الصّحيح والحسن والضّعيف وحتىّ الموضوع، وقد سماها بعض العلماء بالصّحاح تساهلاً منهم ومرادهم أنّ أكثر ما فيها من قبيل الصحيح.⁽¹⁾

الفصل الرابع: خصّ هذا الفصل للكلام على أدلّة ضعف الصّحيحين والتي من أبرزها في رأيه:

. ضعف أسانيدها: فيّين أنّ معاوية صنع مؤسّسة لوضع الأحاديث كان من أبرز رجالها (أبو هريرة، وأبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص والزيبر بن العوّام)⁽²⁾.

. طائفية الشيخين في إخراج أحاديث وإخفاء أحاديث أخرى⁽³⁾.

. الفترة الزمنيّة التي كانت بين صدور الحديث وتدوينه⁽⁴⁾.

. تقطيع الحديث خصوصاً عند الإمام البخاري الذي كان يتلاعب بالحديث كيف يشاء، وأنّه لم يرو الأحاديث التي لا تتماشى مع مذهبه⁽⁵⁾.

. الرّواية بالمعنى⁽⁶⁾.

. أنّ البخاري لم يكمل كتابه وإمّا أكمل بعده بواسطة آخرين وهذا ما يجعله مليئاً بالدّس والتّزوير⁽⁷⁾.

وهذه الأسباب التي ذكرها النّجمي تناقلها جميع المنتقدين للصّحيحين عن بعضهم وقد بيّن العلماء سقمها، وكشفوا ضعفها في الكثير من المصنّفات قديماً وحديثاً⁽⁸⁾

1 - ينسب هذا القول للحافظ أبي طاهر السلفي. ينظر: العراقي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، ج: 1، ص: 154.

2 - ينظر: النّجمي، أضواء على الصّحيحين، ص: 97.

3 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 107.

4 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 115.

5 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 116 / 121.

6 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 124.

7 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 126.

8 - من أبرز الكتابات المعاصرة في ذلك كتاب السنّة ومكائنها في التشريع الإسلامي لمصطفى السباعي، وكذا دفاع عن السنّة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين لمحمد أبي شهبه.

. **الفصل الخامس:** ابتدأ في هذا الفصل في تطبيق القواعد التي استند إليها في ضعف الصحيحين، وقد استشكل فيه جملة من أحاديث الصحيحين المشهورة كحديث رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، وأحاديث إثبات الرجل واليد والوجه والضحك وغيرها من صفات الله عز وجل، وقد تهكم بالشيخين في إخراج مثل هذه الأحاديث، واعتبرها من أقوى الأدلة على ضعف الصحيحين⁽¹⁾ ونسي أن جميع هذه الصفات قد ذكرها القرآن الكريم.

. **الفصل السادس:** ضعف في هذا الفصل الأحاديث المتعلقة بالأنبياء عليهم السلام التي رأى أن فيها الكثير من التشويه والتحريف للأنبياء، كحديث نسبة الكذب لإبراهيم . عليه السلام . ولطم موسى . عليه السلام . لملك الموت،⁽²⁾ واعتبر القاسم المشترك بين جميع الأحاديث المسيئة للأنبياء . عليهم السلام . هو اشتراكها في تاجر الأحاديث أبي هريرة الدوسي⁽³⁾.

. **الفصل السابع:** ساق فيه جملة من النصوص التي تسيء للنبي . ﷺ . في نظره منها حديث شق صدره . ﷺ . وحديث سحر اليهود له، وحديث سهوه . ﷺ . في الصلاة، ورأى أن ذلك ممتنع في حقه . ﷺ . ثم ضعف الكثير من النصوص بحجة معارضتها للقرآن، أو مناقضتها للعقل والمنطق⁽⁴⁾.

. **الفصل الثامن:** ذكر فيه فضائل علي وفاطمة . رضي الله عنهما . وبقية أهل البيت وطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان . رضي الله عنهم .⁽⁵⁾ بحجج واهية واستدلالات لاغية.

وما يمكن استخلاصه من قراءة هذا الكتاب أن كاتبه قد أتى فيه بدعاوى عريضة، واستدلالات ضعيفة لم يقدّم عليها بيّنة ولا دليل، كما أنه كثير التناقض، شديد الجرأة على الصحب الكرام.

1 - ينظر: النجمي، أضواء على الصحيحين، ص: 132 / 166 / 170 / 172.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 214 / 220.

3 - ينظر: المرجع السابق، ص: 226.

4 - ينظر: المرجع السابق، مثلاً ص: 237 / 246 / 272 / 267 / 280 / 310.

5 - ينظر: المرجع السابق، ص: 239 / 345 / 348.

2. عبد الحسين الموسوي وكتابه " أبو هريرة "

● عبد الحسين الموسوي

عبد الحسين بن يوسف شرف الدين العاملي الموسوي: فقيه إمامي، له اشتغال بالحديث ومشاركة في الحركات السياسية الوطنية ببلاد الشام. ولد في شحور (بجبل عامل) وتعلّم بالنّجف، وأسّس عدداً من المراكز الدعويّة، وقد كان له نشاط سياسي ضد الاستعمار الفرنسي، له العديد من المؤلّفات منها المراجعات، الفصول المهمّة في تأليف الأئمّة، أبو هريرة وغيرها، توفّي بالنّجف سنة (1377هـ) وكان يؤخذ عليه إباحته للعوام ضرب أجسامهم بالسيّوف والسلاسل في ذكرى سيد الشهداء الحسين. (1)

● كتابه " أبو هريرة "

تحامل هذا المؤلّف على أبي هريرة - رضي الله عنه - تحاملاً عجيباً فقد حاول النيل منه ومن مروياته بحجج عقلية واهية واستنتاجات غريبة، وقد بدأه بتمهيد طرح فيه جملة من المقدمات ليبيّن عليها مجموعة من النتائج فمن هذه المقدمات قوله كيف تَسْنَى لِأُمِّي (تأخّر إسلامه فقلت صحبته) أن يعي عن رسول الله ما لم يعه السّابقون الأوّلون من الخاصّة وأولى القربى (2)؟ وأنّه يجب تطهير الصّحاح والمسانيد من كلّ ما لا يحتمله العقل (3)، وأنّ الصّحابة - رضي الله عنهم - ليسوا كلّهم عدول بل فيهم العدول والأصفياء والصّديقون كما فيهم الضّعفاء والمنافقون من أهل الجرائم والعظائم وقد استدلّ

على ذلك بقوله تعالى ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ (١٠١)

[التوبة: 101] (4).

1 - الزّركلي، الأعلام، ج: 3، ص: 279.

2 - ينظر: : عبد الحسين شرف الموسوي، أبو هريرة (د مط، ط: 1، سنة: 1965م) ص: 6..

3 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 7.

4 - ينظر: عبد الحسين الموسوي، أبو هريرة، ص: 7. والاستدلال بالآية لا وجه له إذ المنافقون ليسوا من الصّحابة قطعاً فكيف يستدلّ بها على وجود منافقين في الصحابة؟

ثمَّ بيّن جملة من الأسباب التي دعتّه إلى ردّ هذه النصوص التي رواها هذا الصحابي فقال: " بين أيدينا الآن من الملاحظات ألوان: بعضها يمسّ العقل في أفقه وطاقته، وبعضها يمسّ العقيدة في صورتها ومعناها، وبعضها يمسّ الطّباع في نوااميسها وفطرها، وبعضها متناقض متداحض، وبعضها خارج على قواعد العلم المشتقة من صلب الدين، وكثير منها تزلف إلى بني أمية أو إلى الرأي العام في تلك الأيام، وبعضها خيال أو خبال وهي بجملتها خروج عن أصول الصّحة في كلّ معانيها"⁽¹⁾.

ثمّ ترجم لأبي هريرة ترجمة موجزة، لم يترك فيها وصفا من الأوصاف المذمومة إلا وسمه به، وقدر في دينه وصدقه وعدالته، وقد استدللّ على ضعفه بالكثير من الأحاديث المنسوبة إليه جلّها أحاديث موضوعة⁽²⁾، بل إنّه استدللّ على ضعفه بأحاديث مكذوبة أخذها من كتاب الموضوعات دون أن يكلف نفسه بيان مصدرها؛ لأنّ الحديث الموضوع لا يُذكره العلماء إلا مقرونا ببيان وضعه وكذبه⁽³⁾. أما طعنه في الأحاديث فقد تكلم في أربعين حديثا كلّها من رواية الشّيخين أو أحدهما عن أبي هريرة. رضي الله عنه. وجلّ الأحاديث التي استشكلها متعلّقة أساسا بتنزيه الله⁽⁴⁾، أو ادّعى إساءتها

1 - ينظر: الموسوي، أبو هريرة، ص: 9.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 35.

3 - فمن ذلك استدلاله بحديث " تَفَاخَرَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ لِلْجَنَّةِ: أَنَا أَعْظَمُ مِنْكَ قَدْرًا، قَالَتْ: وَمِمَّ؟ قَالَتْ: لِأَنَّ فِيّ الفراعنة والجبارة والملوك وأبناءها، فأوحى الله عز وجل إلى الجنّة أن قولي: بَلْ لِي الْفَضْلُ إِذْ زَيَّنِي اللَّهُ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ " ثم قال أخرج ابن الجوزي بسنده إلى أبي هريرة، دون أن يبيّن المصدر الذي رواه فيه ابن الجوزي، وذلك لأنّ ابن الجوزي أخرجه في كتاب الموضوعات، ومعلوم أنّ ابن الجوزي قصد من هذا الكتاب بيان الأحاديث المكذوبة المنسوبة إلى رسول الله ﷺ. والعلّة فيه ليس في أبي هريرة بل في من بعده لهذا قال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع وفيه محن كثيرة، أما الحسن فإنه لم يسمع من أبي هريرة وأما أبان فمتروك، وقال كان شعبة يقول: لأنّ أزيي أحبّ إليّ من أن أحدث عنه، وأما مهدي فقال يحيى بن سعيد: كذاب وقال يحيى بن معين: هو من المعروفين بالكذب ووضع الحديث. ينظر: ابن الجوزي، الموضوعات، تحق: عبد الرحمان محمد عثمان، (المدينة، مط: المكتبة السلفية، ط: 1، سنة: 1386هـ) كتاب، الفضائل والمثالب، باب: فضائل أبي بكر وعمر، رقم (599) ج: 1، ص: 323.

4 - ينظر: الموسوي، أبو هريرة، مثلاص: 63 / 62 / 58 / 54.

للأنبياء . عليهم السلام⁽¹⁾. أو أنّها متعلّقة بالصّحب الكرام⁽²⁾، أو أنّها مجرد خيال و أوهام⁽³⁾. وحاصل القول في ما كتبه هذا المؤلّف أنّه مندفع في ردّ الأحاديث بلا دليل ولا برهان، كيف لا وهو يرد أعلى درجات الحديث الصّحيح وهو ما اتّفق عليه الشّيخان لمجرد رواية أبي هريرة له وقد تحامل عليه، واتّهمه في ما روى، واستهزأ بمرويّاته، بل وجعله في زمرة الكذّابين والوضّاعين وانتقد أهل السنّة في تبرئتهم له من المتون المكذوبة الباطلة المنسوبة إليه مُصِراً على أنّ أبا هريرة هو الواضع لها⁽⁴⁾، وسأذكر جزءاً من طعونه في الأحاديث وأبيّن سقمها في الفصول التطبيقية.

3. جعفر السّبحاني وكتابه " الحديث النبوي بين الرواية الدرّاية "

• جعفر السّبحاني

هو جعفر محمد حسين السّبحاني، ولد في مدينة تبريز سنة 1347هـ، وقد استفاد من علمائها ثم سافر إلى مدينة قم حيث درس في الجامعة الإسلاميّة الكبرى، وتردّد على شيوخ الحوزة العلميّة. شارك في تأسيس عدد من المراكز العلميّة والدعويّة وكانت له شهرة واسعة بين أوساط الشيعة لما له من نشاطات، كما شارك في وضع القانون الأساسي للجمهورية الإسلاميّة في إيران، وهو مؤسس مؤسّسة الإمام الصّادق والمشرف عليها، كما أنّه يدرس بالجامعة الإسلاميّة الكبرى وله مشاركة في عدة مؤتمرات عالميّة و له مؤلّفات كثيرة منها: عصمة الأنبياء، التّوحيد والشرك في القرآن، العقيدة الإسلاميّة على ضوء مدرسة أهل البيت، لحديث النبوي بين الرواية والدرّاية⁽⁵⁾

1 - ينظر: الموسوي، أبو هريرة، مثلاًص: 64 / 69 / 70 / 75 / 79 / 84 / 85 / 86....

2 - ينظر: المرجع السابق، مثلاًص: 115 / 135...

3 - ينظر: المرجع السابق، مثلاًص: 163 / 164 / 166 / 167...

4 - كتب العلماء المعاصرون في تبرئة أبي هريرة. رضي الله عنه. ويبنوا زيف و بطلان الاتّهامات المنسوبة إليه، وأنّ الطّعن فيه ما هو إلا ذريعة للطّعن في غيره من الصّحب الكرام ومن ثمّ توهين السنّة ورفض العمل بها. ومن أحسن ما كُتب في ذلك (أبو هريرة راوية الإسلام للدكتور محمد عجاج الخطيب)

5 - ينظر: جعفر السّبحاني الموقع الإلكتروني ويكيبيديا الموسوعة الحرّة.

● كتابه " الحديث النبوي بين الرواية والدراية

أما كتابه الحديث النبوي بين الرواية والدراية دراسة موضوعية لأحاديث أربعين صحابيا على ضوء الكتاب، السنة، العقل، اتفاق الأمة، التاريخ، فقد مهّد له بجملة من المقدمات وهي:

. حجّية السنة ومكانتها وأتمّ المصدر الثاني بعد كتاب الله باتّفاق المسلمين، و أنكر على من يدعو إلى الاكتفاء بالقرآن كمصدر للتّشريع " فالسنة النبوية هي المصدر الأصيل . كالقرآن . ولا غنى لفقهاء أو محدّث عنها، ومن قال حسبا كتاب الله فإنّما قاله بلسانه وأنكره بجنانه، إذ هو يعلم أنّ كتاب الله وحده غير واف بالتّشريع"⁽¹⁾.

وإذا كان السُّبْحاني مقراً بحجّية السنة ويوجب الاعتماد عليها كمصدر للتّشريع على نقيض القرآنيين الذين يطرقون باب الطعن في السنة من منطلق الاكتفاء بالقرآن فإنّه أرجع سبيله في ردّ جملة من أحاديث الصّحّاحين إلى أمرين:

. عدم تمحيص السنة النبوية من طرف المحدّثين وأنّ علماء الحديث اعتنوا بالأسانيد ولم تكن لهم عناية بالمتن قال: " اقتصروا على مناقشة الأسانيد، ولم يهتموا بمناقشة المضامين وتطبيقها على الضوابط القطعية التي لا مناص لمسلم عن الأخذ بها، فلو أنّهم سلكوا ذلك الطّريق منضمّا إلى الطّريق الآخر لنالوا الغاية المنشودة، وهذا هو الطّريق الذي سلكه في هذا الكتاب"⁽²⁾.

. عدم بحث المحدّثين في عدالة الصّحّابة، واكتفأؤهم بمناقشة الأسانيد... وأضفوا على جميع الصّحّابة هالة من القداسة، وجعلوهم في منأى عن النّقد بحيث لا يصحّ التعرّض لهم وإن صدر منهم ما صدر، ولا يتسرّب الشكّ إليهم، ولا يتّسع المجال لتجريحهم. وقد تعجّب المؤلف من ادّعاء الإجماع على قداستهم مع ما رواه أصحاب الصّحّاح من ارتداد للصّحّابة عن الدين وتمرّدهم عن أصوله⁽³⁾.

¹ - جعفر السّبْحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية (إيران، مط: مكتبة التوحيد، ط: 1، سنة: 1419هـ) ص: 11.

² - المرجع السّابق، ص: 50.

³ - ينظر: المرجع السّابق، ص: 51.

و ما ذكره السَّبْحاني من أسباب لردّ الأحاديث لا دليل عليه ولا برهان، فنقد المتن ثابت عند علماء الحديث ويكفي في الردّ عليه النظر في تراجم الأبواب وخصوصاً تراجم البخاري التي أدهشت الأفكار وحيرت العقول، واضطربت فيها أفهام الحذاق حتى اشتهر بين العلماء قولهم "فقه البخاري في تراجمه"⁽¹⁾، ولولم تكن للشيخين وغيرهما عناية بالمتن فإنّ فقهاء الأمة من كلّ الأمصار وشرّاح الحديث في كلّ الأعصار قد نظروا في متون هذه الكتب وشرحوها واستخرجوا فوائدها فلماذا لم يردّوا هذه الأحاديث ويبينوا ضعفها؟ وأما عدالة الصّحابة فثابتة بكتاب الله وليس لمؤمن كلام بعد كتاب الله، وأما ارتداد بعضهم فمن ارتدّ فلا يعدّ صحابياً؛ لأنّ "الصحابي في عرف المحدثين هو" من لقي النبي ﷺ. مؤمناً به ومات على الإسلام"⁽²⁾.

ثم علق المؤلف على المعايير التي يعرض عليها متن الحديث فقال "هناك منهجا علمياً آخر قلّ الالتفات إليه من قبل نقاد الحديث، وهو عبارة عن عرض الحديث على الكتاب أولاً، والسنة المتواترة أو المستفيضة التي تلقها الأعلام وجهابذة الحديث بالقبول ثانياً، والعقل الحصيف الذي به عرفنا الله سبحانه وأنبياءه وخلفاءه ثالثاً، والتاريخ الصحيح رابعاً، واتفاق الأمة خامساً، فلو وجدنا الحديث مخالفاً لواحد من تلك الحجج القطعية لحكمنا عليه بالوضع أو الضعف أو الدس"⁽³⁾.

وبعد هذه المقدمات شرع السَّبْحاني في تطبيق هذه القواعد على الصّحاحين وغيرهما من كتب السنة المشهورة، وقد انتقد مائتين وخمس عشرة رواية (215) من روايات أربعين صحابياً، فيبدأ بذكر ترجمة للصحابي، ثم يُثني بذكر جملة من أحاديثه الصّحيحة والرائعة كما وسمها وبعدها يذكر الأحاديث المنتقدة عليه بحجة معارضتها للكتاب أو السنة، أو مناقضتها للعقل الحصيف أو التاريخ الصّحيح.

1 - ابن حجر، هدي السّاري، ص: 11.

2 - ابن حجر، نزهة النّظر في توضيح نخبه الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحق: نور الدين عتر (دمشق، مط: الصباح، ط: 1، سنة: 1421هـ/2000م) ص: 111.

3 - السَّبْحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 54/53.

وستأتي مناقشة طعونه في أحاديث الصّحّيحين بناء على المعايير التي وضعها في نقد المتون، وأنّ التعارض الذي ادّعه بين أحاديث الصّحّيحين والقرآن أو العقل أو التّاريخ هو تعارض موهوم تصوّره عقله ولا وجود له في حقيقة الأمر؛ لأنّ الحديث الثّابت بالسند الصّحيح لا يمكن أن يعارض الآيات القرآنيّة، ولا المسلّمات العقليّة، ولا الحقائق التاريخيّة الثّابتة.

المطلب الثالث: القرآنيون

القرآنيون أو أهل القرآن هم القائلون بالاكْتفاء بالقرآن وحده في التشريع، وإنكار حجية السنة النبوية؛ لأن القرآن الكريم في زعمهم قد اشتمل على جميع الأحكام الشرعية، فكتاب الله فيه الكفاية التامة وليس ثمة حاجة إلى المصدر الثاني⁽¹⁾.

وقد ظهر هذا الفكر في بداية القرن العشرين في شبه القارة الهندية على يد زمرة من أبناء تلك البقعة من أبرزهم أحمد خان⁽²⁾ الذي وضع شروطاً تعجيزية في قبول الحديث مما جعله يُنكر أغلب الأحاديث، ثم تلاه عبد الله جكرالوي⁽³⁾ الذي كان يشتغل بدراسة الحديث، ثم اصطدم بجملة من الشبهات حوله فتوصل في النهاية إلى إنكار كافة الأحاديث النبوية، وأسس جماعة أهل الذكر والقرآن

¹ - ينظر: خادم حسين إلهي بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، (السعودية، مط: مكتبة الصديق، ط: 2، سنة: 1421هـ، 2000م) ص: 19/ محمود محمد مزروعة، شبهات القرآنيين، ص: 28 / عثمان بن معلم محمود، شبهات القرآنيين، ص: 3.

² - هو السيد أحمد خان بن أحمد مير المتقى بن عماد الحسيني، ولد في مدينة دهلي في أكتوبر 1817م. بدأ دراسته بالقرآن الكريم، ثم تعلم العربية والفارسية، ثم درس العلوم الدينية، كان متوصلاً بالإنجليز الذين أعجبوا بذكائه وطموحه، ورأوا فيه ضالتهم التي يبحثون عنها. ومنذ اللحظة الأولى أعلن ولاءه لساداته الإنجليز، ومن ثم رفعوه إلى درجة مساعد قاض في المحاكم الإنجليزية، فتفانى في خدمتهم ومعاونتهم، والدفاع عن سياستهم الاستعمارية، وكان نشطاً في التأليف والكتابة وإصدار المجلات العلمية، وقد توفي "أحمد خان" في مارس 1897م، ودفن بجوار المسجد الذي بناه وسط جامعة علي كره. ينظر: عبد الحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (بيروت، مط: دار ابن حزم، ط: 1، سنة: 1420/÷/1999) ج: 8، ص: 1175 / محمود محمد مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص: 29.

³ - هو عبد الله بن عبد الله الجكرالوي، نسبة إلى بلدة (جكرالوة) التي ولد بها، وهي إحدى قرى إقليم "البنجاب" بباكستان حالياً، وعاصمته "لاهور". وقد ولد عبد الله حوالي 1830م. في أسرة علم ودين، تأثر بأحمد خان وأسس حركة أهل الذكر والقرآن الداعية إلى إنكار السنة، وقد اتخذ مسجداً في لاهور مقراً له ولدعوة حركته، كان عبد الله جكرالوي مشتغلاً بالحديث حتى اصطدم ببعض مشكلات من متشابه الحديث الشريف، فخرج على الناس بعقيدته الجديدة التي أعلن عن شعارها بمقولته الشهيرة "هذا القرآن هو وحده الموحى به من عند الله - تعالى - إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - أما ما عدها من السنة فليس بوحى" ثم شرع في تحقيق مذهبه الجديد وشرحه، والدعوة إليه حتى توفي سنة (1914م) ينظر: عبد الحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج: 8، ص: 1293 / محمود محمد مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، ص: 33.

ودعا من خلالها إلى الاكتفاء بالقرآن كمصدر وحيد للتشريع⁽¹⁾ وقد تأثر مؤسسه بالفكر الغربي ورأوا في التمسك بالسنة عائقاً عن التقدم ومضعفاً للجامعة الإسلامية وتنفيذاً لمؤامرة أعجمية، فجاءوا بما لم يأت به من سبقهم من أهل الضلال، فأنكروا حجية السنة كلياً وعدّوا أتباعها شركاً ولم يفرّقوا بين متواترة مجمع عليها وغير ذلك بل سلكوا مسلكاً واحداً وهو الردّ والدفع⁽²⁾. ثمّ انتقل هذا الفكر إلى مصر في سبعينيات القرن الماضي ومنها إلى بعض البلدان العربية كالسودان وسورية، ويُعتبر أحمد صبحي منصور الأب الروحي للقرآنيين في مصر والعالم العربي واعتبر صبحي أنّ جذور القرآنيين في مصر بدأت منذ حركة الشيخ محمد عبده الإصلاحية بمصر الذي رفض الحديث والتصوّف وأنكر الشفاعة، و أسس صبحي منصور المركز العالمي للقرآن الكريم، وبقي من خلاله ينشر مقالاته ومؤلفاته للتعريف بمنهج والدعوة إليه⁽³⁾.

ولهذه الطائفة جملة من الشبهات والاستدلالات في ردّهم للسنة النبوية، ومن أبرز شعارتهم أنّ القرآن الكريم كافٍ في بيان قضايا الدين وأحكام الشريعة، وإنّ القرآن قد اشتمل على الدين كلّه، بجملته وتفصيله، بكلياته وجزئياته، وأنّه يحتوي جميع الأحكام التشريعية بتفصيلاتها، ما ترك شيئاً ولا فرّط في شيء. ولهذا كان القرآن كافياً، ولم يكن ثمة حاجة لمصدر ثانٍ للتشريع، فالسنة لا حاجة إليها، ولا مكان لها، وقد استدّلوا لشبهتهم هذه بما زعموه أدلّة من القرآن المجيد من ذلك قوله - سبحانه: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ﴿٢٨﴾ [الأنعام: 38] وقال تعالى ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا

يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١١﴾ [يوسف: 111] فرأوا أنّ إضافة مصدر آخر إلى القرآن الذي لم يترك شيئاً، ولم

¹ - ينظر: علي أحمد ناصح، القرآنيون وأهم شبهاتهم (مقال منشور في مجلة الأدب العربي، العدد الأول السنة السادسة، سنة: 1393هـ) ص: 3.

² - ينظر: عثمان بن معلم محمود، شبهات القرآنيين، ص: 3.

³ - ينظر: علي أحمد ناصح، القرآنيون وأهم شبهاتهم، ص: 6..

يفرط الله فيه من شيء، إنما يعني أنّ نزيد في شرع الله ما ليس منه، وأن نخلط شرع الله الذي أنزل به كتابه بشرع من عند غير الله - تعالى - وهذا باطل فاسد، وفساده إنّما أتى من الاعتماد في الدين على غير كتاب الله الذي فصل كل شيء وأحاط بكلّ شيء.⁽¹⁾ يقول عبد الله جكرالوي: "إنّا لم نؤمر إلا بالتّباع ما أنزله الله بالوحي، ولو فرضنا جدلاً صحّة نسبة بعض الأحاديث بطريق قطعيّ إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، فإنّها مع صحّة نسبتها لا تكون واجبة الاتّباع؛ لأنّها ليست بوحي منزل من الله عز وجل"⁽²⁾

وبعد رفض القرآنيين للسنة بالكليّة حاول بعض المنتسبين لهذا الفكر التبرير له وتسويغ مذهبهم في إنكار السنة جملة، فأكثرنا من الدراسات في المدّة الأخيرة وحاولوا التّأصيل لهذا الفكر الغريب الذي أشار إليه المصطفى . ﷺ . كما في حديث الأريكة⁽³⁾ وانطلقوا في النّقد التّفصيلي للأحاديث النبويّة مركزين دراستهم حول صحيح البخاري ومسلم، وإن كانوا في الحقيقة لا يحتاجون إلى مثل هذه التّأويلات والمعارضات؛ لأنّهم منكرون للسنة بالكليّة، وما يهّمنا في هذه الدّراسة ما استشكلوه من أحاديث الصّحّاحين بدعوى معارضتها وتناقضها مع القرآن وحجّة العقل، وهذا تعريف موجز لأهمّ دراسات القرآنيين المعاصرين لأحاديث الصّحّاحين.

1. صبحي منصور وكتابه " القرآن وكفى مصدرا للتّشريع "

● صبحي منصور

هو أحمد صبحي منصور محمد علي، وُلد في محافظة الشّرقية بمصر سنة (1949م)، درس بجامعة الأزهر وحصل على اللّيسانس ثمّ الماجستير سنة (1975م) في التّاريخ والحضارة الإسلاميّة ثمّ الدكتوراه في التّاريخ الإسلامي والحضارة من جامعة الأزهر، وقد لقيّ فيها جملة من الصّعوبات

¹ - ينظر: خادّم حسين ، القرآنيّون وشبهاتهم حول السنة، ص: 210/ محمود محمد مزروعة، شبهات القرآنيين، ص: 50/49.

² - عثمان بن معلّم شبهات القرآنيين، ص: 30.

³ - عن المقدام بن معدّي كرب عن . رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . أنه قال: «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه ألا يوشك رجل شعبان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرّموه =

والمعارضات من شيوخ الأزهر بسبب تناوله فيها "التأثير الذي تركته الصوفيّة بمصر في العهد المملوكي" وبعد مساع طويلة، توصل إلى ضرورة حذف المقاطع موضوع الخلاف وعدم تقديم سوى النصف المتبقي وقد ناقش أطروحته في 23 أكتوبر سنة (1980م)⁽¹⁾.

عمل بجامعة الأزهر مدرساً قبل أن يفصل منها سنة (1987م)، بسبب موقفه من التصوف وإنكاره لحجية السنّة، وصودرت مؤلفاته فانتقل إلى أمريكا ودرّس بجامعة، ثم أسس بمعية بعض أصدقائه وتمويل مؤسسات أمريكية "موقع أهل القرآن الذي نشط من خلاله في نشر أفكاره ومقالاته، فضلاً عن إعادة نشر الكثير من مؤلفاته وأعماله التي اختفت من السوق، وقد ألف صبحي منصور الكثير من المؤلفات والمقالات من أشهرها كتابه القرآن وكفى مصدراً للتشريع، والصلاة في القرآن الكريم، النسخ في القرآن معناه الكتابة والاثبات وليس الحذف والإلغاء، عذاب القبر والتعبان الأقرع وغيرها من المؤلفات، وكل مؤلفاته تدور حول ضرورة الاكتفاء بالقرآن وإنكار حجية السنة وذلك بغرض تبرئة الإسلام من التطرف والإرهاب، وقد شارك صبحي منصور في عدة ملتقيات ومؤتمرات في تونس وليبيا واليمن وبريطانيا، ولم ينقطع عن الكتابة في الصحف والمجلات المصرية والعربية، وأثناء تواجده في المنفى الأمريكي كان يستغل بعض المواقع على شبكة الانترنت لنشر الكثير من أفكاره ومعتقداته منها موقع "الحوار المتمدّن" وموقع "إيست تانسبرنت" وهو موقع لبناني، وقد وجد في هذه المواقع غايته ونشر كل ما تمكّن من كتابته.⁽²⁾

= ألا لا يحلّ لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطعة معاهد، إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه» أخرجه أبو داود، السنن، تحق: عزّت عبيد الدعاس وعادل السيد (بيروت، مط: دار ابن حزم، ط: 1، سنة: 1418هـ/ 1997م) كتاب السنة، باب في لزوم السنّة، رقم (4604)/ والترمذي، السنن، تحق: بشار عواد معروف، (بيروت، مط: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، سنة: 1996م) كتاب العلم، باب ما نُهي أن يقال عند حديث رسول الله . . رقم (2663) وقال هذا حديث حسن، وصحّحه ابن حبان، ج: 1، ص: 189، وقال الأرنؤوط في تعليقه على صحيح ابن حبان "إسناده قوي" / وصحّحه الألباني، السلسلة الصحيحة رقم (2870).

¹ - ينظر: ترجمته في. موقع (أهل القرآن) www.ahl-alquran.com

² - ينظر: موقع (أهل القرآن) www.ahl-alquran.com

● كتابه " القرآن وكفى مصدرا للتشريع "

يعدّ صبحي منصور الأب الروحي للقرآنيين بمصر، ومن أبرز من حمل راية إنكار السنّة جملة في كلّ مؤلفاته ومقالاته ومن أكثر مؤلفاته إثارة للجدل والتي لخصت محتوياته الفكرية كتاب "القرآن وكفى مصدرا للتشريع" الذي جهر فيه بإنكار وجود مصدر للتشريع غير القرآن الكريم، وأنه يفسّر بعضه بعضا، وقد فصل القول في كلّ شيء فهو ليس بحاجة إلى أيّ نص آخر، وإنّ القرآن هو الكتاب الوحيد للمسلم الذي لم يفرط في شيء ونزل تبيانا لكل شيء وجاء مفصّلا لكل شيء⁽¹⁾ قال صبحي منصور: " وكلّ شيء يستلزم البيان والتّوضيح جاء في القرآن بيانه وتوضيحه وما ليس محتاجا لبيان فلا

مجال فيه للتفصيل والبيان في كتاب فصلت آياته ثمّ أحكمت من لدن حكيم خبير"⁽²⁾

وأتم صبحي منصور علماء الحديث قاطبة واعتبر جميع الأسانيد والرّوايات الموجودة في كتب السنّة من وضع علماء الحديث، وأتم وضعها لأغراض سياسية أو مذهبية وأنّ النبي ﷺ . سيعلن براءته يوم القيامة ممن ترك كتاب الله وجرى وراء مصادر أخرى ما أنزل الله بها من سلطان⁽³⁾، واعتبر الأسانيد ما وُضعت إلّا لتغطية الأكاذيب التي اخترعوها حيث قال: " من ناحية أخرى فالنّ أكاذيبهم لا تستطيع الوقوف والصمود فقد اخترعوا لها (إسنادا) يصلها بالنبي عليه السلام عبر رواة ماتوا من قبل، دون أن يعرفوا شيئا عن ذلك الإسناد أو تلك الرّوايات أو من هو البخاري ومن هو الشافعي ومن هو مالك ومن هو ابن حنبل أو ابن حنظل"⁽⁴⁾ وبهذا يكون المؤلّف بهذا القول المخترع الساقط قطعاً قد اتهم جميع الصّحابة والتّابعين، ومن بعدهم أئمّة المذاهب الأربعة ومن جاء بعدهم

1 - ينظر: صبحي منصور، القرآن وكفى مصدرا للتشريع، ص: 6 / 16 / 17 / 24.

2 - المرجع السابق، ص: 19.

3 - ينظر: المرجع السابق، ص: 26.

4 - صبحي منصور، السّم الهاري في تنقيّة البخاري (مقال لصبحي منصور منشور في موقع أهل القرآن 10 يوليو 2010) ص:

من محدّثين وفقهاء وأصوليين؛ لأنّ جميعهم متّفق على الاحتجاج بالسنة النبويّة وأنها المصدر الثّاني من مصادر التشريع.

وبعد إعلانه عدم الاعتداد بالسنة النبويّة كمصدر للتّشريع حاول التّدليل على ما ذهب إليه بجملة من الأمثلة من صحيح البخاري مدّعياً معارضتها للقرآن، وأنّ أحاديث البخاري المتعلّقة ببيته وعلاقته مع أزواجه فيها قذف وتشويه لصورة المصطفى . ﷺ .⁽¹⁾ وجلّ المعارضات التي ادّعاها المؤلّف بين أحاديث صحيح البخاري والقرآن لا وجود لها في حقيقة الأمر وإنّما التّعارض أوتيه من سوء فهمه للآية أو للحديث، أو عدم معرفته بدلالات الألفاظ كتخصيص العموم، وحمل المطلق على المقيد حتى ادّعى التناقض بين أحاديث واضحة المعاني صحيحة لم يُختلف فيها، ولم يشكك فيها أحد قبله فيما أعلم.⁽²⁾

ومن عجيب ما ذكر المؤلّف أنّ الصلّاة توارثها عن النبي . ﷺ . وهي ثابتة بالقطع واليقين أمّا السنة القوليّة فهي عنده ما ورد في كتاب الله فقط، فأيّ منطق هذا الذي يحكم به فهلاً صدّق الصحابة والتّابعين والأئمّة من بعدهم في جميع ما نقلوا، أو كذبهم في جميع ما نقلوا وأعلن انسلاخه الصّريح من الدّين؟! وقد قرّر العلماء أنّ حجّية السنة بمنزلة الأمر البديهي المتقرّر عند كلّ مسلم، وأنّ إنكارها هو إنكار للقرآن الذي لم ينقله إلينا إلا من نقل إلينا سنّته . ﷺ . فثبوت حجّيتها ضرورة دينيّة لا يخالف فيها إلّا من لا حظّ له في الإسلام.⁽³⁾

1 - ينظر: صبحي منصور، السم الهاري في تنقيّة البخاري، ص: 81 / 82 / 83 / 84...

2 - من ذلك ادّعاؤه أنّ في البخاري أحاديث تجيز مباشرة الحائض وهي معارضة للقرآن الذي نهى عن ذلك صراحة، وهذا ناتج عن جهله بالفرق بين المباشرة دون الفرج، وبين الجماع والاتيان في الفرج. ينظر: صبحي منصور، القرآن وكفى، ص: 81.

3 - ينظر: ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحق: أحمد شاكر (بيروت، مط: دار الأفاق، د ط، د ت) ج: 1، ص: 97 / محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحق: أبو حفص سامي بن العربي الأثري (الرياض، مط: دار الفضيلة، ط: 1، سنة: 1412هـ / 2000) ص: 189.

2. سامر إسلامبولي وكتابه " تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث

البخاري ومسلم "

● سامر إسلامبولي

هو سامر بن محمد نزار إسلامبولي ، ولد بسوريا سنة (1963م) وهو باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي، وعضو في اتحاد الكتاب العرب، نشر الكثير من المقالات في مجلة العالم ومجلة إسلام والمثقف، وكتب أكثر من عشرين مؤلفاً منها : دراسة نقدية لمفاهيم أصولية (الآحاد، الإجماع، النسخ)، الألوهية والحاكمية، ظاهرة النص القرآني تاريخ معاصرة، تحرير العقل من النقل ، غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري وليس قرآنا، المرأة (مفاهيم ينبغي أن تصحح) وغيرها، وجلّ مؤلفاته انتقادات لبعض المسلمات أو المصطلحات الشرعية⁽¹⁾.

● كتابه " تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم "

انتقد المؤلف جملة من أحاديث الصحيحين، واعتبر انتقاده لها للتّمثيل لا الحصر؛ لأنّ جميع الأحاديث غير صحيحة ولو كانت صحيحة فلا تعدّ وحياً بل هي تراث مرتبط بفترة زمنية محدّدة ولا علاقة له بالتّشريع، وفي سبيل تقريره لمنهج القرآنيين في ردّ السنّة جملة جعل جملة من المقدمات حاول فيها استشارة مشاعر القراء بأنّ رغبته الذّب عن السنّة وأهم مقدماته:

. أنّ القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للتّشريع و لا يوجد وحي تشريعي ملزم للناس إلا القرآن.

. القرآن هو محلّ التلاوة ومصدر للتّشريع و الهداية وليس حديث النبيّ " وقال " وهل يصحّ أن يأتيّ

أحدهم ويطلب دليلاً من القرآن على أنّه لا يوجد وحي تشريعي في غير القرآن، ويريد من ذلك

إثبات وحي الحديث النبوي ويجعله مصدراً تشريعياً مع القرآن⁽²⁾

¹ - ينظر: سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل (القاهرة، ط: 3، سنة: 2015م)، ص: 334 / 335 .

² - ينظر: المرجع السابق، ص: 49 / 51.

. أنّ الأحاديث النبوية هي تراث و هي متعلّقة بفهم النبي ﷺ . للرّسالة وليست وحيا أبدا ولم يتعهّد الله بحفظها؛ لأنّها مرتبة بشخص النبي ﷺ . وبزمانه ومكانه (1)، واعتبر سامر أنّ علم الإسناد ما هو إلا خدعة شغلوا بها المسلمين لصدّهم عن كتاب الله (2)، وحتى لو صحّ الحديث سندا ومتنا فلا قيمة له ولا يعتبر مصدرا تشريعيّا؛ لأنّ مادة الحديث النبوي مادة تاريخيّة متعلّقة بفترة زمنيّة محدّدة ولا قداسة للحديث النبوي عنده، وأنّه ينبغي نقده وتعديله حسب المستجدّات (3)، وفي سبيل ذلك عمد المؤلّف إلى ليّ أعناق النصوص وتأويلها عن ظاهرها رغم نطقها صراحة بوجود طاعة النبي ﷺ . واتباع سنّته التي لم تصلنا إلا عن طريق الأحاديث المروية بالأسانيد الصّحيحة وإن حاول المؤلّف عبثاً التّفريق بين السنّة والحديث وأنّه لا علاقة بينهما (4).

. إجابة على ما يمكن أن يطرح من أسئلة على فرقة القرآنيين بأنّ القرآن لم يذكر تفاصيل الصّلاة والحجّ وغيرها وأجاب سامر بأنّ الصّلاة والحجّ وغيرها قد نزلت أحكامها وشروطها وأوقاتها في كتاب الله فهي ممارسة عمليّة بالعين وليست أحاديث منقولة بالرواية، فالسنّة لم تأت بحكم وإنما أتت بكيفيّة وبالتالي من الغلط الاستدلال بالصّلاة على أنّ السنّة تشرع مع القرآن وهي مصدر تشريعي، أما الأذكار الواردة فيها فقد اعتبر المؤلّف أنّ من أخذ بها فلا بأس ومن تأوّل القرآن واختار أذكارا منه فلا بأس به أيضا (5).

ومّا يدلّ على تعالم هذا المؤلّف وسوء سريره تطاوله على الصّحب الكرام وأنّهم جميعا خاضعون للحرج والتّعديل ولا مزية لهم على غيرهم، ومن أكبر مزالق هذا المؤلّف طعنه في كبار أئمة الإسلام حتّى وصف الإمام الشافعي أنّه من أضلّ غالب الأئمة الإسلاميّة (6).

1 - ينظر: الإسلامبولي، تحرير العقل من النّقل ص: 78.

2 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 265.

3 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 36.

4 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 76.

5 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 41 / 87.

6 - ينظر: المرجع السّابق، ص: 76.

وبعد ذكره لتلك القواعد خصّص الكاتب فصلا من كتابه عنونه ب: " قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم " انتقد فيه أكثر من خمسين حديثا بدعوى معارضتها للقرآن أو العقل أو الواقع، وسيأتي بيان جملة من شبهه وطعونه وبيان وجه الجمع بينها وبين القرآن، وإن كان جلّها ناتج عن جهله بقواعد الأصوليين والمحدثين ومسالكهم في دفع التعارض بين النصوص.

3. زكريا أوزون وكتابه " جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين "

• زكريا أوزون

هو مهندس لبناني معاصر من أصل سوري لم أجد له ترجمة غير أنّ الناظر في مؤلفاته يعلم مدى حقه وتحامله على أعلام الأمة الإسلامية ومصنّفاتهم في ثلاث جنايات: كتابه محلّ الدراسة " جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين " وكذا كتاب " جناية الشافعي تخلص الأمة من فقه الأئمة " وكذا " جناية سيويه الرّفص التام لما في النّحو من الأوهام ".

ولم يقف أوزون عند هذا الحدّ بل راح يتناول على أركان الإسلام في مصنّفات من ذلك كتابه الأركان في الميزان الصلّاة عسكرة الرحمان، وكتاب الأركان في الميزان الصّوم، الأركان في الميزان، الرّكاة إتاوة العريان، الحج قدسيّة المكان.

واعتبر أنّ الرّكوع والسّجود غير مرغوب فيهما إذا ما عُرضاً على المظهر والدّوق العام في الأماكن العامّة، وأنّ الصّوم على الاختيار فمن ير في الصيّام ما يريح نفسه ويهدّجها فليصم يوما أو يومين أو ثلاثة أيّام، ومن لا يجد فيه ما ذكرنا سابقا فليبتعد عنه وهو مطمئنّ النّفس، وليطعم مسكينا إن استطاع ذلك، أو ليقم بعمل آخر يمكن له أن يجلب له ما يشعره بالاطمئنان⁽¹⁾.

ورغم إظهار المصنّف نفسه بزّي المدافع عن كتاب الله، الغيور على دين الإسلام، الرّافض للحديث لمعارضته لكتاب الله، وبعد أن حسب المصنّف أنّه استطاع النّيل من كتب السنّة المطهّرة أعلنها

¹ - ينظر: أوزون، الأركان في الميزان الصلّاة عسكرة الرحمان، ص: 152/ الأركان في الميزان، الصّوم، ص: 101 نقلا من محمد زربوخ، المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصّحّيحين، ج: 1، ص: 329.

صراحة في إحدى القنوات أنّ القرآن غير صالح لكل زمان وأنه لا يوجد في كتاب الله ما يدلّ على صلاحيّته لكلّ زمان ومكان⁽¹⁾.

وقد ناقض أوزون نفسه بهذا الكلام الساقط وقد نسيّ ما سطره في كتابه جناية البخاري بأنّ القرآن صالح لكل زمان ومكان وأنه يتوجب علينا إعادة فهمه بعيدا عن الأسباب التي ذكرها البخاري⁽²⁾.

● كتابه "جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين"

أما كتابه فحاء مكوّنا من مقدّمة وثمانية فصول:

. **المقدّمة:** بيّن فيها أنّ الحديث النبوي من أعقد الأمور في الدّين الإسلامي، وأنّ سبب اختيّاره لصحيح البخاري كونه أصحّ كتب الحديث عند مسلمين، كما أشار إلى هدفه من هذا الكتاب وهو إعمال العقل والتخلّص من أوهام النّقل⁽³⁾.

. **الفصل الأوّل:** طرح في هذا الفصل مجموعة من الأسئلة منها: هل الحديث النبوي وحي منزل؟ هل الحديث النبوي وحي مقدّس؟ هل كلّ رواة الحديث من الصّحابة عدول ثقة؟ هل يوافق الحديث ما ورد من معطيات علميّة؟ هل وحدّ الحديث النبوي الأمّة؟ وغيرها من الأسئلة وقد أجاب عنها كلّها بالنّفي⁽⁴⁾.

. **الفصل الثّاني:** البخاري والقرآن الكريم انتقد فيه الأحاديث المتعلقة بأسباب النّزول، النّسخ في آيات الكتاب، والأحاديث القدسيّة⁽⁵⁾ وبيّن ضعفها ومعارضتها لما في القرآن، وأمّا الأحاديث المتعلقة بأسباب النّزول ففيها تطاول على الله؛ لأنّ الله . عزّ وجل . لا يحتاج حسب رأيه لأيّ سبب مادي في

1 - في حوار له في قناة الحرة 28 نوفمبر 2019.

2 - زكريا أوزون، جناية البخاري (مكتبة رياض، ط: 1، سنة: 2004) ص: 41.

3 - ينظر: المرجع السابق، ص: 10.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص: 14 . 28.

5 - ينظر: المرجع السابق، ص: 21.

إنزال كتابه، أما النسخ فإنه يخضع للحفاظ الشديد عنده؛ لأن الله - عز وجل - وهو العالم العليم لا يمكن أن ينزل أحكاما وشرائع ناسخة لما قبلها⁽¹⁾.

. **الفصل الثالث:** البخاري والرسول الكريم وقد تكلم فيه على الرسول - ﷺ - والرأي الآخر، الرسول - ﷺ - والغزو، الرسول - ﷺ - وتطبيق الحدود، الرسول - ﷺ - وتأثير الآخرين⁽²⁾ وقد اتهم الإمام البخاري بوضع أحاديث تناقض الصفات التي كان عليها المصطفى - ﷺ - كما أن روايات البخاري فيها إساءة للعروبة والإسلام⁽³⁾.

. **الفصل الرابع:** البخاري والديانات الأخرى بين فيه أن أحاديث البخاري تؤكد أن الرسول - ﷺ - كان رافضا كافة الأديان سواء كانت سماوية أو غير ذلك، وأن المسلمين هم أصحاب الجنة أما غيرهم فالله أعلم بحالهم⁽⁴⁾ وقد ناقض أوزون في هذا الفصل ما نص عليه كتاب الله الذي يدعي التمسك به وأجمع عليه المسلمون من اختصاص المسلمين بالجنة دون غيرهم قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ

دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ [آل عمران: 85]

. **الفصل الخامس:** البخاري والحكم والصحابة وقد ضعف فيه الأحاديث التي تشترط القرشية في الحكم وجعل الناس تابعين لهم، وكذا طاعة الحاكم وأحوال بعض الصحابة⁽⁵⁾، كما اعتبر أقوال الصحابة وأفعالهم لا قدسية لها وأتهم كغيرهم من الناس فتخصيص أبواب لفضائلهم يجعل الإسلام في مأزق حقيقي في أيامنا المعاصرة⁽⁶⁾.

1 - ينظر: زكريا أوزون، جنابة البخاري، ص: 42.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 57..

3 - ينظر: المرجع السابق، ص: 58 / 62.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص: 85 . 91.

5 - ينظر: المرجع السابق، ص: 93.

6 - ينظر: المرجع السابق، ص: 110.

. **الفصل السادس:** البخاري والمرأة بيّن فيه أنّ أحاديث البخاري تجعل المرأة مسلوّبة الإرادة، و دون الرّجل في المرتبة، وأنّ العلماء نجحوا في زرع عقدة الدونيّة فيها، كما أنّها مهمّشة ومستبعدة في معظم الأحيان عن القضايا الأساسيّة بينما القرآن الكريم قد كرّمها ورفع من شأنها.⁽¹⁾

. **الفصل السابع:** البخاري ومجموعة متناقضات وقد توصلّ في هذا الفصل إلى أنّ البخاري مليء بالمتناقضات سواء في الحديث نفسه، أو معارضته مع القرآن أو حتّى مع العلم والمنطق فأحاديث البخاري تجعل الرّسول ﷺ. تارة يأمر بالكفّ وتارة ينهى عنه، ومرة يقرّ بالرقية ويأخذ عليها وأخرى يمنعها، وكذلك الحال في الحجامة والشّعر وغيرها⁽²⁾ وكلّ الأحاديث التي ذكرها في هذا الفصل لا تعارض بينها وإنّما التعارض بينها ظاهري يحتاج إلى إعمال القواعد التي سطرّها العلماء في الجمع والترجيح بين مختلف الحديث.

. **الفصل الثامن:** قارن فيه بين الماضي والحاضر ويبيّن فيه أنّ تقديس الماضي هو عقدة المجتمع العربي بشكل خاص وخرج فيه بنتائج غريبة ووصل به الأمر إلى اتّهام النبي ﷺ. بعدم إقامة الحدّ على عمّه حمزة وابنته فاطمة. رضي الله عنهما.⁽³⁾

. **الخاتمة:** توصلّ فيها إلى النتيجة التالية: إنّ ما يلزمنا هو كتاب الله. عز وجل. وأنّ البخاري اجتهد ويحقّق لنا قبول أو رفض عمله إذا لم نر فيه ما يحقق طموح ورغبات الأمة المشروعة في التطوّر والتقدّم⁽⁴⁾.

و انتقد المؤلّف في هذا الكتاب واحد وتسعين حديثاً، وكان يتدبّر بتوطئة، ثم يذكر متن الحديث، وبعدها الشرح والمناقشة، ثم النتيجة التي توصلّ إليها، ولا يُستغرب انتقاد هذا المؤلّف لأحاديث

1 - ينظر: زكريا أوزون، جناية البخاري، ص: 113.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 135.

3 - ينظر: المرجع السابق، ص: 153.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص: 159.

البخاري بعد أن أنكر ما دلّ عليه القرآن وأجمع عليه علماء الإسلام،⁽¹⁾ و قد سوّغ المؤلف لنفسه العتب بالأحاديث بمنهج متناقض لا يتكئ على منهج علمي واضح، ولا أصول نقدية سليمة، وإنما هي شبهات تلقفها من هنا وهناك محاولاً تقديم بعض التنازلات عن مبادئ الإسلام حتى تتوافق مع الغرب الذي هو مهووس به وبحضارتهم، وستأتي الإشارة إلى جملة من شبهه، وبيان بطلانها في الفصول التطبيقية.

4. نيازي عز الدين وكتابه " دين السلطان البرهان "

● نيازي عز الدين

هو وسام الدين بن نيازي عز الدين، ولد في العاصمة السورية دمشق سنة 1963م، من أصل شركسي حصل على الشهادة الثانوية بدمشق ثم هاجر إلى أمريكا وأكمل دراسته في مجال الشبكات والاتصالات عبر ال أي بي لتحديد المسافات الترددية، يقول عن نفسه أنه انتسب إلى منتديات منها الحوار على الأنترنت، موقع أهل القرآن، موقع عشاق الله، وموقع اللادينين والعلمانيين والعقلانيين. له عدة مؤلفات منها : إنذار من السماء، النظرية، دين الرحمان، دين السلطان وقد زعم في كتابه الأخير أن السنة النبوية وضعها الفقهاء والمحدثون لثبيت ملك السلطان معاوية وسار على دربهم علماء المسلمين قاطبة إلى يومنا هذا⁽²⁾.

● كتابه " دين السلطان البرهان "

إنّ المطلع على الطعون المعاصرة لأحاديث الصّحّيحين لن يجد أجراً من هذا المؤلّف على السنّة وأهلها، كما أنّه من أوسع الكتب نقداً، فإذا كان المعترضون على الصّحّيحين في العصر الحديث ذكر كلّ منهم جملة من الأحاديث التي رأوا أنّها ضعيفة أو معارضة لكتاب الله فإنّ نيازي لم يترك لنا من

1 - من ذلك إنكاره اختصاص الجنة بالمسلمين دون غيرهم.

2 - ينظر ترجمته في ملتقى أهل الحديث نقلاً من ترجمته بنفسه في موقع my space music / وكذا عماد الشريبي، السنّة في كتابات أعداء الإسلام، (مط: دار الكتب المصرية، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2002م) ص: 21.

الصّحيحين سوى نزرٍ يسيرٍ من الأحاديث التي اعتبرها غير معارضة لكتاب الله وعدّها فقال " فوجدت في صحيح مسلم (293) حديثاً لا يناقض ما ورد في متنها من معانٍ للمعاني الواردة في القرآن الكريم، وكذلك وجدت أنّ في صحيح البخاري (196) حديثاً تنطبق عليه المواصفات المذكورة نفسها"⁽¹⁾.

وهذه الأحاديث التي لا تناقض القرآن الكريم فإنّ المؤلّف لا يعتقد أنّ الرّسول ﷺ . أمر بها؛ لأنّها من المواضيع الشكليّة التي لا تأثير لها في عقيدة الإسلام، وحقّه أنّ الحديث النبوي تعرّض للتّحريف والتّبديل في العصر الأموي والعبّاسي وأصبح الحديث تجارة يخضع لأهواء ورغبات السّلاطين والحكام.⁽²⁾

فنيّازي لا يعتدّ بالوحي الثّاني ويعتبره مجرد افتراء قال: "وتناقض الوحي الأوّل الذي هو القرآن مع الوحي الثّاني الذي هو الحديث، أو الذي سمّوه الحكمة يثبت أنّ الوحي الأوّل هذا الصّحيح الوحيد، وأنّ كل ما قيل عن الوحي الثّاني هو مجرد افتراء على الله وعلى الرّسول، وأغلبه يناقض الوحي الأوّل"⁽³⁾

وقد خاض المؤلّف في مسبّة علماء الإسلام قاطبة لأنّهم قبلوا هذه الأحاديث التي وضعها أسلافهم من علماء السنّة الذين ووصفهم بعلماء السّوء أو جنود السّلطان، وأنّهم كانوا يؤلّفون الأحاديث للسّلاطين لنيل عطائهم " لذلك نجد علماء السنّة الذين هم من جنود السّلطان كانوا يجرّمون الحلال ويحلّلون الحرام للسّلطان مع وجود نص صريح فيه من القرآن الكريم بحجّة أنّه كلام الرّسول"⁽⁴⁾

ولعلم نيّازي بمكانة البخاري ومسلم في أوساط المسلمين فقد اعتذر لهما واعتبر أنّهما كانا مكرهين على وضع الكثير من الأحاديث الموضوعية والمكذوبة على رسول الله ﷺ . تحت تأثير السّلطان ورقباته

1 - ينظر: نيّازي عز الدين، دين السّلطان البرهان، (سورية، مط: بيسان، ط: 1، سنة: 1997م) ص: 240.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: / 241240.

3 - المرجع السابق، ص: 41.

4 - المرجع السابق، ص: 538.

من جنوده على ما يمكن نشره وتأليفه ضمن مجال سلطته من أراء قد يوافقون عليها أو يرفضونها، فكانا مضطرين أن يراعى كل هذه الأمور حتى يستطيعا أن يعبرا عن رأيهما قدر الإمكان⁽¹⁾.

ومن أعجب ما سطر هذا المؤلف في كتابه أنه اكتشف سراً في الصحيحين لم ينتبه له علماء الإسلام قاطبة وهو أنّ الشيخين قصدا بكاتبيهما إرسال رسالة سرية للعلماء ليتنبهوا إلى ما يحدث من تناقض في الدين " وقد قلت مرارا إنّ الإمامين البخاري ومسلم عمدا إلى وضع الأحاديث مع نقائضها في صحيحيهما كإشارة للمسلمين على وجود التناقض في الأحاديث المنسوبة للرَسُول الكَرِيم، لكنّ علماء السوء استخدموا حتى ذلك التناقض لمصلحة أهل الرِياسة وخدمة لهم... فالشيخان هما اللذان أوردا التناقض ليدلّا الناس على هذا العيب الكبير في الوحي "⁽²⁾

وقد طعن نيازي في أكثر من (400) حديث، في أربعين فصلا منها ما تعلق بالأحاديث التي تناقض القرآن ومنها الأحاديث التي تناقض بعضها، ومنها إسقاط الأحاديث المتعلقة بالمرأة بحجة إساءتها لكرامة المرأة والتقليل من شأنها وجعلها دون الرجل في المرتبة وغيرها من الفصول، وقد أنكر جميع الأحاديث المتعلقة بالغيبيات كأحاديث الإسراء والمعراج، وعذاب القبر، والمعجزات والشفاعة الكبرى، وغاياته الكبرى إسقاط الاعتداد بالسنة النبوية كمصدر للتشريع وذلك من خلال إسقاط أهم كتابين عند المسلمين بعد كتاب الله، والكتاب ليس لصاحبه أدنى معرفة بعلم الحديث، ولا بدلالات الألفاظ وفقه النصوص، كما أنّه كثير التكرار فتاره يذكر الحديث ويطعن فيه وبعد تقليبك للصفحات تجد نفس الحديث بغير فائدة زائدة⁽³⁾ وستأتي في الفصول القادمة نماذج من اعتراضاته، والإجابة عنها. إن شاء الله..

1 - ينظر: دين السلطان، ص: 103.

2 - المرجع السابق، ص: 74 / 73.

3 - ينظر مثلا حديث " احتج آدم وموسى " نفس المصدر، ص: 181 / 373 / 655 / 814 / وحديث الشفاعة ذكره في ص: 207 / 262 / 925.

5. ابن قرناس وكتابه " الحديث والقرآن "

● ابن قرناس

هو كاتب سعودي يكتب باسم مستعار ويخفي اسمه الحقيقي، له صفحة خاصة في موقع أهل القرآن التابع لفئة القرآنيين في مصر والذي يشرف عليه صاحبه صبحي منصور، كما أنه مشارك في عدد من المنتديات الحوارية في شبكة المعلومات الدولية، وهو منكرٌ للسنة النبوية كمصدر للتشريع، له عدة مؤلفات من أبرزها: سنة الأولين، الحديث والقرآن وهذا الأخير قد خصّه للكلام في أحاديث صحيح البخاري. (1)

● كتابه " الحديث والقرآن "

تكلم ابن قرناس في كتابه الحديث والقرآن على التعارض الموجود بين الأحاديث النبوية والقرآن الكريم، وقد اختار في سبيل إثبات دعواه أكثر من (250) حديثاً من صحيح البخاري، وهذا العدد ما هو إلا نزر يسير عند ابن قرناس؛ لأنّ جميع الأحاديث عنده غير صحيحة، ولو كانت صحيحة موافقة للقرآن فلا حاجة لنا به قال ابن قرناس: " وما ينطبق على ما أوردناه من أحاديث، ينطبق على كلّ حديث ورد في صحيح البخاري، وما ينطبق على أحاديث البخاري فهو يطبق على أحاديث مسلم ومالك والترمذي والنسائي وغيرهم " (2)

فمصدر التشريع الوحيد عند المؤلف هو القرآن الكريم، وما عداه فلا يمثل دين الله في شيء، ولو ثبت عن الرسول ﷺ. قول أو فعل أو تقرير بطرق قطعية فلا يعتدّ به ولا يمثل دين الله، بل إنّ أتباع ما يقوله محمد في غير القرآن يعني أننا عبدناه من دون الله، وأشركنا في العبادة مع الله. (3)

¹ - ينظر: جريدة القبس الكويتية السنة 38، العدد: 12858 / موقع أهل القرآن. نقلاً من علي صالح علي مصطفى، طعون

المعاصرين في أحاديث الصحّاحين الخاصة بأسباب النزول والتفسير بدعوى مخالفة القرآن، ص: 21.

² - ينظر: ابن قرناس، الحديث والقرآن، (بغداد، مط: منشورات الجمل، ط: 1، سنة: 208) ص: 466.

³ - ينظر: المرجع السابق، ص: 18.

فالحديث عنده مجرد قصص وأساطير تعكس الزمن الذي اختُلقت فيه و العادات والابّجَاهات الفكرية التي كانت سائدة في ذلك العصر، وليس كما يظنّ أغلب المسلمين أنّها تتحدث عن أقوال وأفعال للرّسول ﷺ .. (1)

وبيّن ابن قرناس طريقته في عرض الأحاديث وبيان معارضتها لكتاب الله وأنّها على خمسة أقسام: . أمّا القسم الأوّل فتكلّم فيه عن الأحاديث التي تتناول كافّة المواضيع، أما القسم الثّاني فعرض فيه ما تقوله الأحاديث عن الحكّام والسّلاطين، لأنّ التحوّل عن الدّين القويم جاء بمباركتهم، والقسم الثّالث يعطي فكرة عن صورة رسول الله في كتب الحديث، وعن جرأتها على الله جلّ جلاله في القسم الرابع، أما القسم الأخير فقد عرضنا فيه عددا من الأحاديث الواردة في كتاب الكافي للكليّني كمثال على ما تحويه كتب الشيعة من أحاديث (2)

أمّا ما اختلف فيه ابن قرناس عن غيره من الطّاعنين المعاصرين الذين اجتمعوا على اختلاف مشاربهم على الطّعن في رواية الإسلام أبي هريرة . رضي الله عنه . فهو اعتبر أنّ وضع الأحاديث جاء بعد عصر الصّحابة، وأنّ أبا هريرة وغيره من الصّحابة قد نُسبت إليهم هذه الأحاديث زورا وبُعثاناً حيث قال "نحن نصرّ بأنّ أبا هريرة وغيره من أصحاب رسول الله وأبناءهم الذين ذُكروا في كتب الحديث لم يرووها، ولكن نسبت لهم ممن اختلق الحديث" (3)

والمؤلّف استنكر الكثير من الأحاديث بغير علة ظاهرة ولعلّ ما جرّه لذلك المقدّمة الباطلة التي انطلق منها وهي إنكار السنّة وإنكار الاحتجاج بها والتّهوين من أمرها والتّغيير من التّمسك بها، فلا غرو بعد ذلك أن يستغرب ويستنكر كلّ حديث بل ويجزم بوضعه لأدنى مناسبة، والمقلّب لصفحات كتابه يدرك مدى بعده عن مناهج العلماء في التّصحيح والتّضعيف، وعدم معرفته بدلالات الألفاظ

1 - ينظر: ابن قرناس، الحديث والقرآن ، ص: 7.

2 - ينظر المرجع السابق ، ص: 23.

3 - ينظر: المرجع السابق ص: 38.

كالعموم والخصوص، والاطلاق والتقييد وغيرها وسأناقش بعض شبهاته حول أحاديث الصحيحين في ثنايا البحث إن شاء الله.

الفصل الأول: الأحاديث المتعلقة بتوحيد الله وصفاته

- المبحث الأول: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة
- المبحث الثاني: الموجب لدخول الجنة- هل هو العمل أو رحمة الله؟-
- المبحث الثالث: نزول الله- عز وجل إلى السماء الدنيا
- المبحث الرابع: مخاطبة الله للجنة والنار وإمبات الرجل لله- عز وجل
- المبحث الخامس: مراجعة الرسول - ﷺ - لربه على فريضة الصلاة

ليلة الإسراء

من خلال النظر في كتابات المعاصرين المتعلقة بانتقاد الصّحّيحين، نجد ردهم وتضعيفهم للكثير من النّصوص النبويّة المتعلّقة بتوحيد الله، وإثبات صفاته كرؤية المؤمنين لربّهم، وإثبات النّزول لله . عزّ وجل . وما هو الموجب لدخول الجنة؟ هل العمل أم رحمة الله؟ فأذكروا هذه النّصوص بحجّة معارضتها للقرآن الكريم، أو الحديث الشريف، أو مخالفتها للعلم الحديث وحجّة العقل .

إنّ أكثر هذه الاعتراضات التي ذكرها المنتقدون في باب الأسماء والصفات ليست من معينهم وإنّما تلقّفوها في الحقيقة عن المعتزلة والمرجئة ومن تبعهم من المستشرقين الذين سخّروا جهودهم للطعن في سنة المصطفى . ﷺ . وقد أجاب عنها العلماء، فأعادوا إحياءها وأظهروها في قالب جديد؛ لأنّهم على يقين أنّهم لو نسبوها إلى المعتزلة وغيرهم من الفرق لما ذاعت كتابتهم وانتشرت هذا الانتشار، وقد جعلوا هدفهم المعلن هو الدّفاع عن كلام الله ورسوله . ﷺ . وحجّتهم أنّ في الصّحّيحين أحاديث لا تتماشى مع الأصول الدينيّة والعقائديّة، وأنّ معظم أحاديثهما مخالفة للقواعد العقليّة، قال محمد صادق النّجمي: "مسألة التوحيد هي أصل مشترك بين جميع الأديان السّماويّة، واهتم الإسلام بهذه المسألة اهتماما بالغا وأعارها الأهميّة الخاصّة أكثر من سائر الأديان، ولكن يلاحظ في الصّحّيحين أنّ هذه المسألة قد امتزجت من عدة جهات بتحريفات وتزييفات لا تغتفر وبتعبير أوضح: إنّنا نشاهد في الصّحّيحين مسائل لا أصل لها في الدّين، ولا تمت إلى حقيقة التّوحيد بشيء " (1) وسأتكلّم في هذا المبحث على جملة من أحاديث الصّحّيحين المتعلّقة بصفات الله . عزّ وجل . التي استشكلها المعترضون، وبيان أقوالهم وأدلّتهم ومناقشتها .

¹ - النجمي، أضواء على الصّحّيحين، ص: 131

المبحث الأول: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن جرير بن عبد الله، قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة - يعني
البدر - فقال: «إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون⁽¹⁾ في رؤيته، فإن استطعتم
أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا» ثم قرأ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ

قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ [ق: 39].⁽²⁾

وفي رواية للبخاري عن جرير بن عبد الله، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنكم سترون ربكم
عياناً⁽³⁾»⁽⁴⁾

1 - " لا تضامون" يروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضكم إلى بعض وتزدحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم
التاء وفتحها على تفاعلون، وتفاعلون. ومعنى التخفيف: لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض. ينظر: الخطابي،
غريب الحديث، تحقق: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي (مط: دار الفكر، ط: 1، سنة: 1402هـ / 1982م) ج: 3، ص: 260/
ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج: 3، ص: 101 / ابن منظور، لسان العرب، ج: 4، ص: 486.
2 - أخرجه البخاري، كتاب: مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (544). ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، تحقق:
قصي محب الدين الخطيب (القاهرة، مط: المكتبة السلفية، ط: 1، سنة: 1400 هـ) ج: 1، ص: 190.، كتاب المساجد
ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (633). ينظر: مسلم، الصحيح، تحقق: أبو قتيبة
نظر محمد الفريابي (الرياض، مط: دار طيبة، ط: 1، سنة: 1427 هـ / 2006م) ص: 285
3 - " عياناً" بكسر العين من قولك عاينت الشيء عياناً إذا رأيته بعينك. ينظر: القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح
البخاري، (مصر، مط: المطبعة الكبرى الأميرية، سنة: 1323 هـ) ج: 10، ص: 399.
4 - أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: { وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها ناظرة } [القيامة: 23]، رقم (7434).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

استشكل كثير من المعاصرين النصوص المتعلقة برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، ورأوا أنّها ضعيفة لا يحتجّ بها رغم روايتها في الصحيحين، وحجتهم في ذلك معارضتها للقرآن، وكذا تعارضها مع العقل.

1. تعارضه مع القرآن:

واستدلوا على ذلك بعدة نصوص ويّنوا أنّها دالّة على استحالة الرؤية قال محمد صادق النجومي بعد أن ساق الحديث بشواهدة " هذه الأحاديث هي التي صدّتهم ومنعتهم عن التدبر والتفكير في آيات القرآن المجيد، وتأثروا بها كثيرا حتى دفعتهم إلى أن يؤوّلوا معاني بعض الآيات حسب ما تقتضيه هذه الأحاديث" (1).

قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ

نُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ [البقرة: 55]

قال محمد صادق النجومي: والآية صريحة كذلك في معاقبة الذين أرادوا رؤية الله تعالى، وأن عقابهم هو نزول الصّاعقة والبلاء السّماوي عليهم، وترشدنا الآية بكل وضوح وبيان إلى حقيقة وهي: أنّ طلب رؤية الله يعتبر من الذنوب الكبيرة، ويوجب نزول العذاب السّماوي... فلو كانت رؤية الله ممكنة كما يعتقد أهل السنّة لما كان السؤال بتحققها وإيقاعها استكبارا وعتوا وتمردا عن أمر الله. (2)

¹ - ينظر: محمد صادق النجومي، أضواء على الصحيحين، ص: 143.

² - ينظر: المرجع السابق، ص: 149.

قال الله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ ۗ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿١٠٣﴾
[الأنعام : 103]

قال سامر إسلامبولي: "هذا النص . يعني حديث رؤية الله . يتناقض مع مقومات الألوهية بشكل قطعي و واضح نحو قوله تعالى ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ ۗ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنعام : 103] فعملية الإدراك لذات الله وصفاته مستحيلة في الواقع؛ لأن الإدراك لشيء منها هو إمكانية الإدراك للكل، وإذا تم ذلك انقلب الوضع، إذ يصبح المحدود العاجز مدركا للأزلي الصمد وهذا شيء مستحيل"⁽¹⁾.

وقال تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَٰكِنِ أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرَنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَعًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١٤٣﴾ [الأعراف: 143] فلو كانت الرؤية ممكنة لما نفاها الله . عز وجل . على موسى بقوله " لَنْ تَرَنِي " .

2. تعارضه مع العقل:

احتج المنتقدون لهذا الحديث في منع الرؤية بدليل عقلي ومؤدى هذا الدليل أن الرؤية تستلزم تحديد وجود الله وحصره في مكان معين، وأن الرؤية إما أن تحيط بجميع ذاته فهذا يستلزم حصره

¹ - سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم ، ص: 309.

سبحانه وتعالى، وإمّا أن تدرك قسما من ذاته، وهذا يستلزم القول بالتجزئة في ذاته وكيلاهما محال في حقه سبحانه، لذلك يجب نفي الرؤية خروجاً عن التجسيم والتشبيه في حقه سبحانه⁽¹⁾. قال السبحاني: " إنّ مجموع الصور تثبت الرؤية بالعين الباصرة، وأنّ المؤمنين يرونه سبحانه كرؤية أحدنا للآخر مع أنّه يستلزم أن يكون سبحانه جسماً، وله جهة وآثار ماديّة... " ⁽²⁾ وعليه فهذا النص منكر وباطل في منتهى ما مرّ معنا من تصادمه مع الثوابت الإيمانيّة⁽³⁾.

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

قبل مناقشة أدلّة المعترضين على هذا الحديث بكونه مخالفاً للقرآن والعقل، لا بد من الإشارة هنا إلى أنّ المسألة محلّ النزاع هنا هي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، أمّا مسألة رؤية الله في الدنيا فإنّ جماهير العلماء متفقون على أنّ الله لا يراه أحد بعينه في الدنيا ولم يختلفوا سوى في نبيّنا صلّى الله عليه وسلم خاصة⁽⁴⁾، وقد روى الإمام مسلم أنّ النبي - ﷺ - يوم حذر من الدجال قال «تعلموا أنّه لن يرى أحد منكم ربّه عزّ وجلّ حتّى يموت»⁽⁵⁾.

◀ أما ما استدللّ به المنتقدون من آيات قرآنيّة فلا تعارض بين هذه الآيات وأحاديث الصّحّاحين،

بل إنّ الآيات التي استدلّوا بها هي في الحقيقة تدلّ على جواز الرؤية لا على امتناعها وبيان ذلك ما يلي :

1 - ينظر: النجمي، أضواء على الصّحّاحين، ص: 149.

2 - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 336.

3 - ينظر: إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 310.

4 - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 5، ص: 292. / ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحقق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن المحسن التركي (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 10، سنة: 1417هـ / 1997م) ج: 1، ص: 219 / العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (بيروت، مط: دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت) ج: 18، ص: 172.

5 - أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشرط الساعة، باب ذكر ابن صياد، رقم (2931).

1. إن استدلالهم بقوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ

الصَّعِقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ [البقرة : 55]

لا علاقة له بامتناع الرؤية، وأن العقاب غير موجّه لهم على طلبهم للرؤية، بدليل طلب موسى . عليه السلام . للرؤية، ولو كانت مستحيلة ما طلبها نبي الله موسى . عليه السلام . ولو كان طلبها مستحيلا لعتابه الله على طلبها، فلما طلبها موسى ولم ينهه الله كان في ذلك دليل على عدم امتناعها، قال ابن فورك: "فيحتمل أن تكون معاقبتهم لإخراجهم طلب الرؤية عن طريقه بقولهم لموسى ﴿فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: 153] وليس ذلك من مقلود موسى عليه

السلام"⁽¹⁾. قال الطاهر بن عاشور: "⁽²⁾ فهذه عقوبة دنيوية لا تدل على أن المعاقب عليه حرام أو كفر لاسيما وقد قدر أن موتهم بالصاعقة لا يدوم إلا قليلا فلم تكن مثل صاعقة عاد وثمود، وبه تعلم أن ليس في إصابة الصاعقة لهم دلالة على أن رؤية الله تعالى مستحيلة وأن سؤالها والإلحاح فيه كفر... إذ لا دليل في الآية ولا غيرها على أنهم كفروا، كيف وقد سأل الرؤية موسى عليه السلام.⁽³⁾

2. وأما قوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾

[الأنعام : 103] فقد اتفق أهل السنة أن هذه الآية لا تنفي رؤية الله . عز وجل . نفيا مطلقا، وذلك

1 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة:

1427هـ/2006م) ج: 2، ص: 114.

2 - هو محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها وهو من أعضاء الجمعيتين العربيتين في دمشق والقاهرة. له مصنّفات مفيدة من أشهرها تفسير القرآن الكريم (التحرير والتنوير)، توفي سنة (1393هـ). ينظر: الأعلام، الزكلي، ج: 6، ص: 174.

3 - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير (تونس، مط: الدار التونسية للنشر، ط: 1، سنة: 1984م) ج: 1، ص: 507.

جمعا بينها وبين النصوص القرآنية الكثيرة، والأحاديث النبوية الصريحة في إثبات رؤية المؤمنين لرؤسهم ، واختلف أهل التفسير في المعنى الذي تحمل عليه هذه الآية على عدة أقوال أشهرها قولان:

. ذهب أكثر المفسرين إلى حمل نفي الإدراك في هذه الآية على نفي الإحاطة، لا على نفي الرؤية، فالمؤمنون وأهل الجنة يرون رءسهم بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم، وهذا القول مروى عن ابن عباس، وقتادة، وهو اختيار الطبري وابن تيمية . (1)

. حملوا الآية النافية للرؤية على نفيها في الدنيا دون الآخرة وذلك جمعا بين هذه الآية وغيرها من الآيات، والأحاديث المثبتة للرؤية؛ لأنّ كلام الله، وكلام رسوله ﷺ . لا يمكن أن يتعارض، وهذا القول كذلك منقول عن ابن عباس (2) قال ابن قتيبة: " أراد -جلّ وعز- بقوله: "لا تدركه الأبصار" في الدنيا... فلما قال الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ، وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحيح من الخبر: ترون رؤسكم تعالى في القيامة؛ لم يخف على ذي فهم ونظر ولبّ وتمييز، أنه في وقت دون وقت. (3)

بل إنّ هذه الآية هي في الحقيقة أدلّ على جواز الرؤية من امتناعها، لأنّ الله . عزّ وجل . ذكرها في سياق المدح وليس في كونه لا يُرى مدح، فالله سبحانه وتعالى لم ينف عن ذاته الرؤية مطلقا، وإنما نفى رؤية موسى . عليه السلام . له في الدنيا في حالته البشرية قال ابن قيم (4) هذه الآية وهي على

1 - ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، مط: دار هجر، ط: 1، سنة: 1422هـ/ 2001م) ج: 8، ص: 482/ ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت، مط: دار الكتب العلمية ، ط: 1، سنة: 1422هـ/ 2001) ج: 2، ص: 330/ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 3، ص: 26.

2 - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ج: 8، ص: 482 .

3 - ينظر: ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص: 292.

4 - هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي، المجتهد النحوي المفسر =

جواز الرؤية أدلّ منها على امتناعها فإنّ الله سبحانه إنّما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أنّ المدح إنّما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس بكمال ولا يمدح به وإنّما يمدح الربّ تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمّن أمرا وجوديا⁽¹⁾.

3. وأما قوله تعالى ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن نَرَيْنِي وَلَٰكِن نُنظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ نَرَيْنِي ۚ﴾ [الأعراف: 143] فالمراد به أن تربي في الدنيا لأنه . ﷺ . احتجب عن جميع خلقه في الدنيا ويتجلّى لهم يوم الحساب⁽²⁾، بل إنّ الآية نفسها دليل على جواز الرؤية وذلك من وجوه:

. أنّ الرؤية لو كانت مستحيلة ما طلبها نبيّ الله موسى . عليه السلام . ولو كان طلبها مستحيلا لأنكر الله . عزّ وجل . عليه هذا السؤال ، وقد قال . سبحانه وتعالى . لنوح . عليه السلام . ﴿قَالَ يَنْحُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنَ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۗ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [هود: 46].⁽³⁾

= الأصول، صاحب التصانيف المشهورة منها: زاد المعاد، معالم السائرين، إعلام الموقعين عن رب العالمين ، مفتاح دار السعادة، الصواعق المرسلّة وغيرها، كانت وفاته سنة إحدى وخمسين وسبعمائة. (751هـ) ينظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: 8، ص: 287.

¹ - ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ، تحق: زائد بن أحمد النشيري (جدة، مط: مجمع الفقه الإسلامي، د ط) ج: 1، ص: 618.

² - ينظر: ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث ، ص: 293/ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 9، ص: 324.

³ - ينظر: ابن قيم ، حادي الأرواح، ج: 1، ص: 603. / محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، (جدة، مط: دار علم الفوائد، د ط، د ت) ج: 8، ص: 391.

. أن الله - عزّ وجل - أجابه بقوله: لن تريني، ولم يقل له لا أرى أو لست بمرئي، أو لا يجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا دليل أنه يُرى وأن موسى - عليه السلام - لا تحمل قواه رؤيته في الدنيا لضعف قوّة البشر⁽¹⁾.

. أن الله - عزّ وجل - قادرٌ على أن يجعل الجبل مستقرا مكانه، وقد علّق به الرّؤية، ولو كانت محالا في ذاتها لم يعلقها بالممكن⁽²⁾.

◀ وأما استدلالهم بالعقل على امتناع الرّؤية، وذلك لأنّ هذه الأحاديث تستلزم في نظرهم تشبيه الخالق بال مخلوق، وتجعل الله - عزّ وجل - متحيّزا في مكان فالجواب عنه أنّ هذا القول ناتج عن تشبيههم للخالق سبحانه وتعالى بالمخلوق، وهذا يُقال في جميع الصّفات التي أثبتتها الله - سبحانه وتعالى - لنفسه، في القرآن الكريم، فأهل السنة يثبتون ذلك كلّ الله من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تكيف ولا تعطيل لأنّه سبحانه وتعالى قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: 11)

﴿ [الشورى: 11]

وأما ما ورد عنه - ﷺ - من تشبيهه في قوله " كما ترون القمر " فهو تشبيه للرؤية بالرؤية، ولم يشبه المرئي بالمرئي، أي أننا ننظر إليه - عزّ وجل - كما ننظر إلى القمر ليلة البدر، لا يُختلف في ذلك كما لم يختلف في القمر - والعرب تضرب المثل بالقمر في الشّهرة والظهور فيقولون أين من الشّمس ومن فلق الصّبح ، وأشهر من القمر قال ذو الرّمة⁽³⁾:

1 - ينظر: ابن قيّم ، حادي الأرواح ، ج: 1، ص: 607.

2 - ينظر: المصدر السابق، ج: 1، ص: 607.

3 - هو " أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بُهيش، يُكنى أبا الحارث ، وهو من بني صعّب بني ملكان، من فحول الشعراء العرب ، كان ذو الرمة من عشاق العرب ، وصاحبه مية ابنة مقاتل بن طلحة ، مات ذو الرمة بأصبهان سنة سبع عشرة ومائة (117هـ) . ينظر: ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة ، مط: دار المعارف ، د ط، د ت) ج: 1، ص: 524=

وقد بهرت فما تخفى على أحد ... إلا على أحد لا يعرف القمرا (1)

قال ابن تيمية : وهذا تشبيه للرؤية، لا المرئي بالمرئي، وفي لفظ في الصحيح: «إنكم ترون ربكم عياناً» فإذا قد أخبرنا أنا نراه عياناً. (2)

المطلب الرابع: رفع الإشكال

يظهر من خلال عرض أدلة المنتقدين لحديث الرؤية أنهم لم يتكلموا في إسناده، وإنما كانت حججهم كلها متعلقة بمنته، وأنه مخالف لكتاب الله، أو معارضا لحجة العقل، وقد تبين من خلال عرض الأقوال ومناقشتها أن حديث الرؤية لا مطعن فيه، بل هو صحيح في أعلى درجات الصحة، ويشهد لذلك:

. الآيات التي ذكرها المعترضون على هذا الحديث، وأن المراد بها نفي الرؤية في الدنيا لا في الآخرة وهذا جمعا بينها وبين النصوص القرآنية والأحاديث النبوية المثبتة للرؤية، وقد بين العلماء كما تقدم بيانه أنها على جواز الرؤية أدل منها على نفيها.

. الآيات الكثيرة المثبتة لرؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة . سواء تصرّحاً أو تلميحاً . منها قوله

تعالى ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: 22-23] ، أي تنظر إلى ربها، وتعدية

النظر يأتي إنما هو في كلام العرب لمعنى الرؤية لا لمعنى الانتظار (3).

=الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج: 5، ص: 267.

1 - ينظر: ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص: 293.

2 - ينظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: محمد رشاد سالم (السعودية، مط: جامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية، ط: 2، سنة: 1411هـ/ 1991م) ج: 1، ص: 253.

3 - ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ج: 2، ص: 330/ الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ،

ج: 23، ص: 507/ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 8، ص: 482.

وقوله تعالى ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ ﴿٣٦﴾ [يونس : 26] ، فالحسنى كما فسرها المفسرون هي الجنة، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم،⁽¹⁾ وقد روى مسلم في صحيحه ما يشهد لهذا فعن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل " ⁽²⁾.

وقوله تعالى ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [المطففين : 15] ، أخبر الله . عز وجل . أن الكفار سيحجبون عن ربهم يوم القيامة، ومفهومه أن المؤمنين يرون ربهم، وليسوا بمحجوبين عنه، ولولا ذلك ما كان في الآية من فائدة. ⁽³⁾

. الأحاديث الصحيحة الصريحة في هذا الباب، بل إنَّ أحاديث الرؤية من الأحاديث القليلة التي قيل فيها أنها بلغت حد التواتر حيث رواها جمع كبير من الصحابة، وقد بين ابن قسيم أن أحاديث إثبات الرؤية متواترة، رواها أكثر من سبعة وعشرين صحابيا. ⁽⁴⁾

و اشتهر بين أهل الحديث أن أحاديث الرؤية والشفاعة والحوض من الأحاديث المتواترة، وفي ذلك يقول الناظم :

مما تواتر حديث من كذب "" "" ومن بنى لله بيتا واحتسب

¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ج: 12، ص: 156/ القرطبي، الجام لأحكام القرآن، ج: 10، ص: 482/ ابن قسيم ، حادي الأرواح، ج: 1، ص: 696.

² - أخرجه مسلم، الصحيح، كتاب: الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم . سبحانه وتعالى . رقم (297).

³ - ينظر: الطبري، جامع البيان في تفسير آي القرآن، ج: 24، ص: 206/ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 22، ص: 146.

⁴ - ينظر: ابن قسيم ، حادي الأرواح ، ج: 1، ص: 625.

المبحث الثاني: الموجب لدخول الجنة

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

- عن علي رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بقيع الغرقد⁽¹⁾ في جنازة، فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كتبت مقعده من الجنة، ومقعده من النار»، فقالوا: يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال: «اعملوا فكل ميسر» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾﴾ [الليل:

6] إلى قوله ﴿لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ [الليل: 10].⁽²⁾

. وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . أنها كانت تقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سددوا وقاربوا، وأبشروا، فإنه لن يدخل الجنة أحداً عمله» قالوا: ولا أنت؟ يا رسول الله قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمّدني الله منه برحمة، واعلموا أن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل»⁽³⁾.

1 - بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة فيه قبور أهلها، كان به شجر الغرقد، فذهب وبقي اسمه. ينظر: ابن الأثير، التّهاية في غريب الحديث والأثر، ج: 1، ص: 146.

2 - أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن ، باب: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَانْفَى ﴾ ، رقم (4945) ، ومسلم ، كتاب القدر ، باب: كيفية خلق الآدمي في بطن أمّه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (2647) .

3 - أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم (6467) / ومسلم واللفظ له كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: لن يدخل أحد الجنة بعمله ، بل برحمة الله، رقم (2818) .

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

يدلّ الحديثان دلالة واضحة أنّ العمل لا يكفي لدخول الجنة، وأنّ كلّ إنسان قد كتب مقعده من الجنة أو النار، ولهذا استشكل بعض المعاصرين متن هذا الحديث لتعارضه مع ظواهر النصوص القرآنيّة المصرّحة بأنّ العمل هو الموجب لدخول الجنة، كما أنه مصادم للعقل والمنطق، ومناف لصفات الله . عزّو جل . وقد استدلووا على ذلك .:

1. تعارضه مع القرآن: قالوا إنّ هذا الحديث مناقض للكثير من الآيات القرآنيّة منها :

. قوله تعالى ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٤٣) ﴿ [الأعراف:43] وقال

تعالى ﴿ الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿ [النحل:32] . قال زكريا أوزون: إذا كان الثواب في الآخرة لا يتوقّف على الأعمال، يتساءل

المرء عن قوله تعالى ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٣٢) .⁽¹⁾

قال إسلامبولي " فالعطاء والتّقوى والتّصديق أفعال يملك الإنسان أن يفعلها أو أن لا يفعلها وكون الأمر كذلك مما يدل أن مقعده من الجنة أو مقعده من النار إنما هو مرتبط باختييار الإنسان لأحد الطريقين وليس أمرا مفروضا عليه من أي جهة؛ لأنّ ذلك لو تم لانتفى التّكليف، وبطل الثواب والعقاب وانتفت صفة العدل والحكمة عن الله . عز وجل .⁽²⁾ .

¹ - ينظر: زكريا أوزون ، جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين، ص: 56.

² - سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 311.

وقال في تعليقه على الحديث الثاني: " هذا الحديث من وضع الزهاد العابدين الذين يمنعون الناس من العمل في الدنيا، فعلقوا الأمر برحمة الله فقط وسلبوا العمل قيمته، وهذا الحديث متصادم بشكل صريح مع عشرات النصوص القرآنية التي تجعل العمل الصالح هو سبب دخول الجنة" (1) ثم ذكر النصوص القرآنية السابقة.

. إن الحديث يدل على الجبر؛ أي أن الإنسان مجبور على سلوك طريق الإيمان أو طريق الكفر، وهذا مناقض لما دلت عليه الآيات الكثيرة من إعطاء الحرية التامة للإنسان في اختيار الإيمان أو الكفر، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُم مِّمَّنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا ﴾ [الكهف: 29] قال سامر إسلامبولي: " مما يدل على أن الأمر لم يحدد بعد، والحساب لم يتم، والطريق إلى الجنة وإلى النار موجود على حد سواء". (2)

2. تعارضه مع العقل: قالوا إن الحديث مناقض لحقائق العقل والمنطق:

لأن الحديث يدل على الجبر، فإذا كان الإنسان قد كُتِبَ مقعده من الجنة أو النار فهذا يعني بالضرورة أنه مجبور على سلوك طريق الإيمان إن كان مقعده في الجنة، وسلوكه طريق الكفر إن كان مقعده في النار، وبالتالي فهو ملزم بسلوك إحدى الطريقتين اللتين قد كتبه الله فيهما، وهذا منافٍ لحكمة الله . عزو جل . وعدله. قال نيازي عز الدين: "... فالله سبحانه بمشيئة منه سابقة، وبرغبة خاصة لديه، أراد ألا يعلم من من الناس سوف يختار الإيمان ومن من الناس سوف يختار الكفر؛ لأنه إذا افترضنا أصلاً معرفة الله لهذا الموضوع انتفت الحرية، وأصبح لزاماً أن الله سبحانه قد كذب علينا،

1 - إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 278.

2 - ينظر: المرجع السابق، ص: 311.

هذا غير صحيح على الإطلاق⁽¹⁾

وقال ابن قرناس: " ولو صدقنا هذا الحديث فهو يصور الله كطاغية ظالم يخلق البشر ثم يختار منهم من يدخل الجنة خالدا فيها متلذذا بنعيمها، ويختار البعض الآخر ليعذب في النار بلا نهاية تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، أما القرآن فيقول ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ

يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ [يونس: 44] والقرآن يبين أنه لا وجود لقضاء مسبق على العباد بحيث كتب على

أحدهم الشقاء وعلى الآخر السعادة؛ ولكن الإنسان هو من يختار طريقه".⁽²⁾

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

قبل مناقشة الطاعنين في هذا الحديث بحجة تعارضه مع الثوابت النقلية والعقلية، لا بد من الإشارة إلى أنّ مذهب أهل السنة أنه لا يستحق أحد دخول الجنة بمجرد العمل، بل لا بد من فضل الله ورحمته كما دلّ عليه الحديث⁽³⁾، وخالف في ذلك المعتزلة والقدرية و قالوا إنّ سبب دخول الجنة هو أعمال العباد وسعيهم وليس تفضلاً منه سبحانه،⁽⁴⁾ وقد نقل المعارضون على الحديث أدلة المعتزلة

1 - نيازي عز الدين، دين السلطان، ص: 196.

2 - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 427.

3 - ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقق: يحيى إسماعيل (المنصورة، مط: دار الوفاء، ط: 1، سنة :

1419هـ / 1998م) ج: 8، ص: 353/ أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، تحقق: يوسف علي بدوي

وأخرون (دمشق، بيروت، مط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط: 1، سنة : 1417هـ / 1996م)، النووي، المنهاج شرح

صحيح مسلم بن الحجاج، ج: 16، ص: 195.

4 - ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض الرياض، مط:

مكتبة العبيكان، ط: 1، سنة: 1418هـ / 1998م) ج: 2، ص: 444/ ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك

نعبد وإياك نستعين، تحقق: رضوان جامع رضوان، (القاهرة، مط: مؤسسة المختار، ط: 1، سنة : 1422هـ / 2001م) ج: 1،

ص: 94.

والقدرية، وعبروا عنها بما يدلّ على أنّها من معيّنهم، ولم يكلفوا أنفسهم عناء عزوها لأصحابها، وعليه يمكن مناقشة المعارضين على هذا الحديث بما يلي:

◀ أما قوله تعالى ﴿ وَنُودُوا أَنْ تَتَكَّمُ الْجَنَّةُ أُوْرِثْتُمْوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٤٣] ﴿ [الأعراف:

43]، وقوله ﴿ الَّذِينَ نُوْفِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ﴾ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿ [النحل: 32].

. إنّ الأحاديث الواردة في هذا الباب والتي تنفي دخول الجنة بالعمل هي صحيحة ثابتة ولا تعارض بينها وبين هذه الآيات القرآنية، فالإثبات الوارد في الآيات ليس هو النفي الوارد في الأحاديث، فالجنة تُنال برحمة الله سبحانه كما دلّ عليه الحديث، وأما ما نصّت عليه الآية من إثبات دخولها بالأعمال فقد اختلف العلماء في وجه الجمع بينها وبين الحديث على عدّة أقوال أشهرها:

. أنّ الجنة منّة من الله . عزّ وجل . وقد جعل الله الأعمال علامة لنيلها، فالباء في قوله تعالى "بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ" هي باء السببية، فكانت أعمالهم أسبابا لما ينالونه من جوده وكرمه، أما الباء التي نفت

دخول الجنة فهي باء المعاوضة، فنفي . ﷺ . كون الأعمال عوضا وثمنا لها، على هذا الوجه من الجمع

ابن تيمية ، وابن كثير ، وابن قيم ، والطاهر بن عاشور .⁽¹⁾

قال ابن تيمية: " فهذه باء السبب أي: بسبب أعمالكم والذي نفاه النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَاء

المقابلة كما يقال: اشتريت هذا بهذا أي: ليس العمل عوضا وثمنا كافيا في دخول الجنة بل لا بد من

¹ - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 8، ص: 44/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحق: مصطفى السيد محمد وأخرون (القاهرة، مط: مؤسسة قرطبة، ط: 1، سنة: 1421هـ / 2000م) ج: 6، ص: 303/ ابن قيم / مدارج السالكين، ج: 1، ص: 94/ الطاهر ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج: 8، ص: 134.

عفو الله وفضله ورحمته" (1).

قال ابن عاشور: والباء في قوله: بما كنتم تعملون سببية أي بسبب أعمالكم، وهي الإيمان والعمل الصالح... فالإيراث دلّ على أنّها عطية بدون قصد تعاوض ولا تعاقد، وأنّها فضل محض من الله تعالى (2)

. أنّ الباء في الآية سببية أي: بسبب أعمالكم، والتّوفيق لهذه الأعمال والهداية لها إنّما هو بفضل الله ورحمته، فالعمل بنفسه لا يستحقّ به أحد دخول الجنّة ولكن الله . سبحانه وتعالى . جعله بفضل الله ورحمته - سببا لنيل الجنّة، والعمل ذاته هو منّة ورحمة من الله . عزّ وجل . على عباده، وهذا المذهب قريب من الأول، وقد قال بهذا الوجه من الجمع القاضي عيّاض (3)، وأبو العباس القرطبي (4)، والنّووي، وابن رجب الحنبلي (5) وغيرهم. (6)

1 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 8، ص: 44.

2 - ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 8، ص: 134.

3 - هو عيّاض بن موسى بن عيّاض بن عمرو بن موسى اليحصبي، كان من أهل العلم والذكاء والفهم، له عدة تصانيف منها: ترتيب المدارك، مشارق الأنوار، توفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة (544هـ). ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ج: 2، ص: 661/ ابن خلّكان وفيات الأعيان، ج: 3، ص: 480.

4 - أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي، اشتهر بكتابه المفهم في شرح تلخيص مسلم، توفي سنة ست وخمسين وستمائة (656هـ) ينظر: ابن العماد، شذرت الذهب ج: 7، ص: 473.

5 - هو عبد الرحمن أحمد بن رجب البغداديّ الدمشقي الحنبلي، له مصنفات عظيمة منها: جامع العلوم والحكم، وفتح الباري شرح صحيح البخاري، ولم يتمه، توفي سنة خمس وتسعين وسبعمائة (795هـ) ينظر: ابن العماد، المصدر نفسه، ج: 8، ص: 578.

6 - ينظر: القاضي عيّاض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج: 8، ص: 353/ أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، ج: 1، ص: 139/ النّووي، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج: 16، ص: 196/ ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باحس (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 7، سنة: 1422هـ/ 2002م) ج: 2، ص: 136.

قال القاضي عياض: " لا تعارض بين هذا وبين قوله: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ ❁

[النحل:32]. وشبهه من الآيات؛ لأنّ الحديث يفسّر ما أجمل هنا ، وأنّ معنى ذلك مع رحمة الله وبرحمة الله؛ إذ من رحمة الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعات، وأنّه لم يستحقها بعمله؛ إذ الكلّ بفضل من الله تعالى" (1).

قال النووي(2): " معنى الآيات أنّ دخول الجنّة بسبب الأعمال ثمّ التّوفيق للأعمال والهداية للإخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصحّ أنّه لم يدخل بمجرد العمل وهو مراد الأحاديث ويصحّ أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي من الرّحمة" (3)

. أن دخول الجنّة لا يكون إلاّ برحمة الله وفضله كما دلّ عليه الحديث، وأنّ مراتب الجنّة ومنازلها تكون بأعمال العباد؛ لأنّ درجات الجنّة تختلف وتباين على قدر أعمالهم، قال ابن بطّال(4): " ومعنى الحديث غير معنى الآية، أخبر النبي ﷺ . في الحديث أنّه لا يستحق أحد دخول الجنّة بعمله، وإنّما يدخلها العباد برحمة الله، وأخبر الله تعالى في الآية أنّ الجنّة تنال المنازل فيها بالأعمال، ومعلوم أنّ درجات العباد فيها متباينة على قدر تباين أعمالهم، فمعنى الآية في ارتفاع الدّرجات وانخفاضها

1 - القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج: 8، ص: 353.

2 - محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، الفقيه الزاهد أحد الأعلام، صاحب التصانيف المشهورة منها المجموع شرح المهذب في الفقه، وشرح صحيح مسلم، توفي سنة ست وسبعين وسبعمائة (676هـ). ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 5، ص: 45.

3 - النووي، شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ج: 17، ص: 161.

4 - هو أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال القرطبي البلسني، كان من أهل العلم والعناية بالحديث، صاحب شرح صحيح البخاري، وقد أكثر شراح البخاري من النقل عنه خصوصاً الحافظ ابن حجر، توفي سنة تسع وأربعين وأربعمائة (449هـ) ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، تحقق: محمد سالم هاشم، (بيروت مط: دار الكتب العلميّة، ط: 1، سنة: 1418هـ/1998م)، ج: 2، ص: 365/ ابن بشكوال، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، ج: 2، ص: 603.

والتعميم فيها، ومعنى الحديث في الدخول في الجنة والخلود فيها، فلا تعارض بين شيء من ذلك⁽¹⁾.
 . أن الآية في العمل المقبول، أما الحديث فهو في العمل المردود قال ابن حجر "ويظهر لي في الجمع بين الآية والحديث جواب آخر وهو أن يحمل الحديث على أن العمل من حيث هو عمل لا يستفيد به العامل دخول الجنة ما لم يكن مقبولاً وإذا كان كذلك فأمر القبول إلى الله تعالى وإنما يحصل برحمة الله لمن يقبل منه وعلى هذا فمعنى قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون أي: تعملونه من العمل المقبول".⁽²⁾

— أما قوله تعالى ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ

نَارًا ﴿٢٩﴾ [الكهف: 29] المراد من الآية الكريمة ليس هو التخيير، وإنما المراد بها التهديد والتخويف.

والتهديد يمثل هذه الصيغة التي ظاهرها التخيير أسلوب من أساليب اللغة العربية، والدليل على ذلك

أنه أتبع ذلك بقوله ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۗ وَإِنْ يَسْتَعِثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ

كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۗ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ [الكهف: 29] وهذا أصرح دليل

على أن المراد التهديد، ولو كان المراد التخيير لما توعد فاعل أحد الطرفين المخير بينهما بهذا العذاب الأليم⁽³⁾.

. ولو فرض أن المراد بها التخيير فإن آيات القرآن الكريم تفهم بمجموعها، وإلا لزم مع رد الحديث رد

الآيات الكثيرة التي تدل على الجبر، وأن العبد لا يشاء إلا أن يشاء الله، قال تعالى ﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرٌ

1 - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج: 10، ص: 180.

2 - ابن حجر، فتح الباري، ج: 11، ص: 302.

3 - ينظر: محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، ج: 4، ص: 119، بتصرف.

﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾ (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾

[الإنسان: 29. 30] وقال تعالى ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢٩) ﴿ التكويد:

29] فالقرآن أثبت للعبد مشيئة، ولكنها مشيئة داخلية تحت مشيئة الله . عز وجل . قال ابن تيمية: " فأثبت مشيئة العبد، وجعلها لا تحصل إلا بمشيئة الله تعالى" (1)

◀ أما التلازم العقلي الذي استدلوا به على بطلان معنى الحديث، وأن حرية الإرادة تقتضي عدم علم الله بأفعال العباد قبل وقوعها؛ لأنه إذا كان يعلمها انتفت الحرية.

فالجواب عنه أن هذا التلازم الذي ذكره باطلا شرعا وعقلا:

. أما شرعا فقد تظافت النصوص القرآنية على أن علم الله سابق، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد

منها: قوله تعالى ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾ (٥١) ﴿ التوبة: 51] وقوله تعالى ﴿ مَا

أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى

اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (٢٢) [الحديد: 22] والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا دالة كلها على شمول علم الله . عز

وجل . قال الطاهر بن عاشور " ومن ذلك علمه وتقديره لأسباب حصولها، ووقت خلقها وترتب

آثارها... وهذا رد على اعتقاد المشركين المنافقين المذكور في قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا

مُتَلَوْا ﴾ [آل عمران: 156]. (2)

1 - ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحق: محمد رشاد سالم (الرياض، مط: محمد بن سعود

الإسلامية، ط: 1، سنة: 1406هـ / 1986م)، ج: 3، ص: 236.

2 - ينظر: الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 27، ص: 411.

. وأما عقلا فلا تلازم بين العلم بالفعل، وحرية اختياره من طرف العباد، لأن الله . عز وجل . علم السعيد من عباده، وعلم ما سيعمله من الأعمال الصالحة، فكتب مقعده في الجنة، وعلم الشقي من عباده بما سيعمله من الأعمال السيئة فكتب مقعده من النار، قال ابن تيمية: " وذلك أنّ المكتوب في القدم هو سعادة السعيد لما يسر له من العمل الصالح، وشقاوة الشقي لما يسر له من العمل السيئ، ليس المكتوب أحدهما دون الآخر؛ فما أمر به العبد من عمل فيه تعب أو امتناع عن شهوة هو من الأسباب التي تنال بها السعادة، والمقدر المكتوب هو السعادة والعمل الذي به ينال السعادة وإذا ترك العبد ما أمر به متكلا على الكتاب كان ذلك من المكتوب المقدر الذي يصير به شقيا... " (1).

المطلب الرابع: رفع الإشكال

. إن الحديث صحيح ثابت لا مطعن فيه بوجه من الوجوه، وقد تضافرت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على ذلك، وما استدلل به المنتقدون له لا تقوم به الحجة.

. لا تنافي بين الآية والحديث كما ادّعه المعترضون، وأنّ أولى الوجوه في الجمع بينهما هو أنّ الجنة لا تُنال إلا برحمة الله . عز وجل . وأنّ الأعمال جعلها الله سببا لدخول الجنة، كما أنّ الأعمال نفسها هي بفضل الله ورحمته (2)، فيكون الكل راجع إلى رحمة الله . عز وجل . وفضله والله أعلم.

1 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 8، ص: 171.

2 - أما ما ذكره ابن بطال من أنّ المراد بالآية نيل درجات الجنة، فالأعمال صحيح أنّها سبب في نيل درجات الجنة، ولكن الخلاف هنا في مسألة دخولها ابتداء، ولو كانت تنال بها مراتب الجنة فقط، لكان لغير العامل الحق في دخول الجنة اتكالا على رحمة الله، وإن لم يكن له الحق في نيل درجاتها العليا، وأما ما ذكره الحافظ ابن حجر من تفريق بين العمل المقبول وغير المقبول، ففيه ما فيه كذلك؛ لأنّ العمل غير المقبول لا اعتبار له أصلا، فكيف ينفي النبي . ﷺ . الدخول إلى الجنة به، كما أنه يعكّر عليه قول النبي . ﷺ - " ولا أنا إلا أن يتغمّدني الله منه برحمة" وهل عمل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يكون مقبولا؟.

. أن هذه المسألة من المسائل العظيمة المتعلقة بالقدر والخوض فيها ليس متيسر لكل أحد؛ فهو مطية للزلل، ومظنة إلى سوء المعتقد، وقد ضلّ فيها الكثير من الفرق كالقدرية والجبرية، قال ابن عبد البر⁽¹⁾: " قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب، وأكثر المتكلمون من الكلام فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها، وبالله العصمة والتوفيق... والقدر سرّ الله لا يدرك بجدال ولا يشفي منه مقال؛ والحجاج فيه مرتجة، لا يفتح شيء منها إلا بكسر شيء وغلقه؛ وقد تظاهرت الآثار وتواترت الأخبار فيه عن السلف الأخيار، الطيبين الأبرار، وبالاستسلام والانقياد والإقرار بأنّ علم الله سابق، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد"⁽²⁾.



¹ - هو يوسف بن محمد بن عبد الله بن عبد البر النّمري، يكنى أبا عمر ، الإمام العلم صاحب التصانيف المشهورة منها: التمهيد، الاستذكار، توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة (463هـ). ينظر: القاضي عياض ترتيب المدارك، ج: 2، ص: 352/ ابن بشكوال، الصلة ج: 3، ص 973.

² - ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، (المغرب، مط: وزارة عموم الوقاف والشؤون الإسلامية، د ط، سنة: 1387هـ / 1967م) ج: 6، ص: 12. 13.

المبحث الثالث : نزول الله - عز وجل - إلى السماء الدنيا

المطلب الأول : الحديث الوارد في المسألة

عن أبي هريرة . رضي الله عنه . أنّ رسول الله ﷺ . قال : " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول : من يدعوني ، فأستجيب له من يسألني فأعطيّه ، من يستغفري فأغفر له " (1)

. وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد . رضي الله عنهما . قالوا : قال رسول الله ﷺ . : " إنّ الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول ، نزل إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من مستغفر؟ هل من تائب؟ هل من سائل؟ هل من داع؟ حتى ينفجر الفجر " . (2)

. وله عن أبي هريرة . رضي الله . قال : قال رسول الله ﷺ . " إذا مضى شطر الليل ، أو ثلثاه ، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من سائل يُعطي؟ هل من داع يُستجاب له؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ حتى ينفجر الصبح " (3)

1 - أخرجه البخاري، كتاب: التهجد، باب: الصلاة والدعاء من آخر الليل، رقم (1145)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين

وقصرها ، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم (758).

2 - مسلم ، كتاب صلاة: المسافرين وقصرها ، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم (758).

3 - مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها ، باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم (758).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجزة للحديث

إنّ هذا الحديث يدلّ دلالة واضحة على أنّ الله . عزّ وجل . ينزل إلى السّماء الدّنيا كلّ ليلة فيستجيب لمن دعاه، ويعطي مسألة من طلبه، ويتوب على من طلب توبته ومغفرته، وقد استشكل هذا الحديث بعض المعاصرين بحجّة ضعفه من حيث الصّناعة الحديثيّة و معارضته للثّوابت الإيمانيّة وتعارضه مع العقل، ومخالفته الصّريحّة للعلم الحديث والواقع المشاهد.

1. من حيث الصّناعة الحديثيّة: وحجّتهم أنّ الحديث مضطرب في متنه، فقد ورد نزول الله في آخر الليل، وفي بعض الروايات عند أول الليل، وفي بعضها إذا ذهب شطر الليل أو ثلثاه، ولا يمكن الجمع بين هذه الروايات وفي تقرير ذلك يقول محمد صادق النّجّمي: "وترى جميعها مضطربة نصا وممتنا، ففي بعضها ورد نزول الله في الثّلت الآخر من الليل، وفي بعضها عند ذهاب ثلث من الليل، وفي البعض الآخر عند ذهاب ثلثي الليل، وورد في بعضها عند ذهاب شيء من الليل وكذا تلاحظ اضطرابات في ذيل الحديث من حيث العبارة، على هذا فلا يمكن أن نوحّد هذه الأحاديث السّتّة، بل حتى أنّ الجمع بين حديثين منها يبدو غير ممكن.⁽¹⁾

2. معارضته للعقل: قالوا إنّ تنزيه الله . عزّ وجل . يقتضي عدم إثبات هذا الحديث؛ لأنّ الله لا يوصف بالنّزول ولا بالصّعود، كما أنّه سبحانه لا يحتاج إلى النّزول لكي يجيب دعوة عبده وهو سبحانه عليم بذات الصّدور قال صالح أبو بكر: الله تبارك وتعالى مخالف للحوادث، فلا ينبغي أن يوصف بالنّزول أو الصّعود، ... والله تبارك وتعالى أعلى وأجلّ وأعلى من أن ينزل لتحقيق شيء يريد، لأنّ أمره إذا أراد شيئا لا يكلفه أكثر من كلمة كن فيكون.⁽²⁾

¹ - النّجّمي، أضواء على الصّحّاحين، ص: 164.

² - ينظر: صالح أبو بكر، الأضواء القرآنيّة في اكتساح الأحاديث الإسرائيليّة تطهير البخاري منها، (د ط، د ت)، ص: 185.

قال السبحاني: " فليس له سبحانه مكان خاص حتى ينتقل منه إلى السماء الدنيا، وليس له صوت ونداء، ومع غضّ النظر عن ذلك، فما هي فائدة هذا النزول إلى السماء الدنيا؟ إذ في وسعه أن يغفر لكلّ المستغفرين من دون أن يتحمّل أعباء الحركة، وما فائدة هذا النداء الذي لا يسمعه أحد من العباد؟ كلّ ذلك يجعل الحديث في عداد الموضوعات التي تسرّبت إلى الأحاديث الإسلامية" (1).

وقال زكريا أوزرن " هذا الحديث بسيط في ألفاظه واضح في معانيه، ويحق للمرء أن يتساءل فيه عن كيفية نزوله جلّ وعلا إلى الأرض السابحة في الفضاء الكوني والسماء فوقها وتحتها؛ وهل ينزل سبحانه بذاته أم بعلمه؟ وفي كلتا الحالتين هل يحتاج الله . سبحانه . إلى النزول إلى الأرض في الثلث الآخر من الليل كي يلبي دعوة عبده ليعطيّه ويغفر له؟ ! " (2).

3 . معارضته للعلم الحديث والواقع: وذلك لأنّ الليل يختلف بين البلدان، فالليل في بلد هو نهار في بلد آخر، فيكون ثلث الليل على مدار اليوم كلّ في أنحاء العالم، قال صالح أبو بكر: " إذا سألنا سائل عن القطر أو القارة التي ينزل الله في ثلث ليها الأخير، وقال أخبرني عن القارة التي تسعد بنزول الله، وعن القارة التي تحرم من هذا النزول على الأساس العلمي المحسوس بأنّ الليل في آسيا هو النهار في أمريكا، وأنّ الثلث الأخير في الشرق الأوسط، هو العشاء أو الغروب في بلاد أخرى؟" (3).

وقال نيازي عز الدين: "وما يناقض الحقيقة والواقع في هذا الحديث أنّ الذي وضعه كان يظن أنّه بمجرد حدوث الليل في المدينة، أو في دمشق، أو في بغداد، أو في البلدة التي كان يسكن فيها واضع الحديث، كان بكل بساطة يظنّ أنّ الليل كذلك في كل الأرض، وهذا غير صحيح" (4).

1 - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 387.

2 - أوزون، جناية البخاري، إنقاذ الدين من إمام المحدثين، ص: 49.

3 - صالح أبو بكر، الأضواء القرآنية، ص: 185.

4 - نيازي عز الدين، دين السلطان، ص: 276.

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

قبل مناقشة أدلة المعترضين على هذا الحديث لا بدّ من الإشارة إلى أنّ جمهور العلماء على صحّة هذا الحديث وقد رُوِيَ بطرق كثيرة في الصّحاح والسّنن والمسانيد، وإنّما اختلف العلماء في معنى النّزول هنا، هل هو نزول حقيقي، أم يؤوّل بما تحتمله اللغة؟

. فذهب جمهور أهل السنّة أنّه يؤمن بأنّها على حقيقتها، وأنّه . سبحانه وتعالى . ينزل كما أخبر به النبيّ . ﷺ . ولا يكتفون، وأنّ القول في كميّة النّزول كالقول في كميّة الاستواء والمحيء والحجّة في ذلك واحدة.

. وذهب أكثر المتكلّمين وبعض أهل الأثر من السلف أنّها تتأول على ما يليق بها، فتأولوا الحديث بتأويلات أشهرها نزول ملائكته وأمره ورحمته، وقيل إقباله على الدّاعين بالإجابة واللّطف. (1)

والقول الأوّل هو الذي عليه عامّة السلف كما أنّ تفسير نزوله . سبحانه . بنزول رحمته وملائكته بعيد وذلك من وجوه:

. لو كان المراد بالحديث الملك أو الرّحمة فإنّ رحمته وملائكته لا يزالان ينزلان بالليل والنّهار قال ابن عبد البرّ: " . وأنكره منهم آخرون وقالوا هذا ليس بشيء لأنّ أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبدا في الليل والنّهار وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمرا قال له كن فيكون في أي وقت شاء ويختصّ برحمته من يشاء متى شاء لا إله إلا هو الكبير المتعال ". (2)

1 - ينظر: ابن بطّال، شرح صحيح البخاري، ج: 3، ص: 138/ ابن عبد البر، التمهيد، ج: 7، ص: 143/ القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج: 3، ص: 109/ النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 6، ص: 37/ ابن حجر، فتح الباري، ج: 3، ص: 37/ القسطلاني، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، ج: 9، ص: 187.

2 - ابن عبد البر، التمهيد، ج: 7، ص: 143.

حديث متواتر عند أهل العلم بالحديث والذي لا شكَّ فيه إذا بقيَ ثلث الليل الآخر⁽¹⁾، بل إنَّ النووي بيّن أنّ هذه الروايات يمكن الجمع بينها فلا يرحح بعضها على بعض؛ لأنّها رويّت في صحيح مسلم قال النووي: "ويحتمل أن يكون النبي ﷺ . أعلم بأحد الأمرين في وقت فأخبر به ثمّ أعلم بالآخر في وقت آخر فأعلم به وسمع أبو هريرة الخبرين فنقلهما جميعا وسمع أبو سعيد الخدري خبر الثلث الأول فقط فأخبر به مع أبي هريرة كما ذكره مسلم في الرواية الأخيرة وهذا ظاهر"⁽²⁾. وقال ابن تيميّة: "فإن كان النبي ﷺ . ذكر "النزول" أيضا إذا مضى ثلث الليل الأوّل وإذا انتصف الليل؛ فقوله حق وهو الصادق المصدوق؛ ويكون النزول أنواعا ثلاثة: الأوّل إذا مضى ثلث الليل الأوّل ثمّ إذا انتصف وهو أبلغ ثمّ إذا بقيَ ثلث الليل وهو أبلغ الأنواع الثلاثة"⁽³⁾.

◀ أما معارضته للعقل : فغير مسلم من عدة وجوه :

. أما قولهم إنّ الله لا يوصف بالنزول، وتساؤلهم عن كيفية نزوله، فهذا ناتج عن قياسهم للخالق بالمخلوق، فالله - عزّ وجل - أثبت لنفسه النزول، ولا يلزم تشبيهه بنزول المخلوق قال الله تعالى ﴿ع

لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى: 11]

قال ابن عبد البر : "...كلّهم يقول ينزل ويتجلّى ويجيء بلا كيف لا يقولون كيف يجيء وكيف يتجلّى وكيف ينزل ولا من أين جاء ولا من أين تجلّى ولا من أين ينزل لأنّه ليس كشيء من خلقه وتعالى عن الأشياء ولا شريك له"⁽⁴⁾.

1 - ابن تيميّة، مجموع الفتاوى، ج: 5، ص: 280.

2 - النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 6، ص: 37.

3 - ابن تيميّة، مجموع الفتاوى، ج: 5، ص: 280.

4 - ابن عبد البر، التمهيد، ج: 7، ص: 153.

قال ابن تيمية: " قول السائل كيف ينزل؟ بمنزلة قوله: كيف استوى؟ وقد تقدّم الجواب عن مثل هذا السؤال من أئمة الإسلام ..؛ فإنه قد روي من غير وجه أن سائلاً سأل مالكا (1) عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: 5] كيف استوى؟ قال: فما رأينا مالكا وجد من شيء كوجده من مقالته، وعلاه الرضاء، وأطرق، وجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه. قال: ثم سري عن مالك، فقال: «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً. ثم أمر به فأخرج» (2).

. أما قول المعترض إنّ الله لا يحتاج إلى النزول لكي يجيب دعوة عبده، فجوابه أنّ الله لا يحتاج إلى الدّعاء ابتداءً لكي يجيب دعوة عبده وهو سبحانه يعلم السرّ وأخفى، فلازم هذا الاعتراض أن تعترضوا بمثله على قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60] وهو سبحانه وتعالى القائل ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: 19] فلماذا أمرنا الله . عزّ وجل . بدعائه إن كان يعلم ما في صدورنا؟ ! فإمّا أن تعترضوا على كتاب الله كما اعترضتم على حديث رسول الله ﷺ . أو تتناقضوا.

. أمّا قول أوزون هل يحتاج الله . سبحانه . إلى النزول إلى للأرض في الثلث الآخر من الليل، فهذا خطأ فاحش منه، فالله . عز وجل . ينزل إلى السماء الدنيا كما صرّحت به الأحاديث لا إلى الأرض كما ادّعه المعترض.

◀ وأما معارضته للعلم والواقع : واستشكالمهم لاختلاف ثلث الليل من بلد إلى بلد فالجواب عنه

1 - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 5، ص: 218 بتصرف.

2 - الدّارمي، الرد على الجهمية، تحق: بدر بن عبد الله البدر (الكويت، دار ابن الأثير، ط: 2، سنة: 1406هـ / 1995م) ج: 1، ص: 66.

من وجهين:

. إن هذا الأمر يتعلق بمشيئة الله . عز وجل . وقدرته فهو على كل شيء قدير، فهو قادر على أن ينزل على أهل كل بلد في ثلث ليلهم، فيستجيب لدعائهم بكيفية لا يعلمها إلا هو، ولو اعترضنا على هذا لزم الاعتراض على قوله تعالى ﴿ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ [السجدة: 11] فإذا حدث زلزال أو حرب وتوفي ملايين الناس فكيف يستطع

الملك أن يقبض ملايين الأرواح في لحظة واحدة؟

. إن الروايات المختلفة الواردة في هذا الحديث، والتي ادّعوا اضطراب الحديث من أجلها، هي نفسها مثبتة لصحة الحديث وشاهدة على إعجازه فالشبهة العقلية التي عارض بها المنتقدون الحديث تكون هذه الألفاظ قد تضمنت الجواب عنها، قال ابن قيم: "... أن يكون الثلث الأول والشطر والثلث الأخير على حسب اختلاف بلاد الإسلام في ذلك، ويكون النزول في وقت واحد، وهو ثلث الليل الأخير عند قوم ووسطه عند الآخرين، وثلثه الأول عند غيرهم، فيصح نسبه إلى أوقات الثلاثة، وهو حاصل في وقت واحد"⁽¹⁾، فيجمع بين الروايات بأن ذلك يقع بحسب اختلاف الأحوال لكون أوقات الليل تختلف في الزمان وفي الآفاق باختلاف تقدم دخول الليل عند قوم وتأخره عند قوم"⁽²⁾.

¹ - ابن قيم ، مختصر الصّواعق المرسلّة على الجهميّة والمعطلّة، تحق: سيد إبراهيم (القاهرة، مط: دار الحديث، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2001م) ج: 1، ص: 64.

² - ابن حجر، فتح الباري، ج: 3، ص: 37 / محمد بن عبد الباقي الزرقاني، شرح الزرقاني على الموطأ، تحق: طه عبد الرؤوف سعد (القاهرة، مط: مكتبة الثقافة الدنية، ط: 1، سنة: 1424هـ / 2003م) ج: 2، ص: 47.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

من خلال عرض الأدلة ومناقشتها يظهر جلياً أنّ حديث النّزول، ثابت صحيح لا مطعن فيه من حيث السند، وقد رواه الشّيخان وغيرهما في السنن والمسانيد ولم يطعن أحد من النّقاد في سنده. أما ما ادّعوه من اضطراب متنه، فإنّ هذه الروايات المحددة لوقت النّزل مروية في الصّحاح، فهيّ ثابتة، ولذا قال النّووي في معرض رده على من رجّح بينها: " وكيف يضعّفها وقد رواها مسلم في صحيحه بإسناد لا مطعن فيه"⁽¹⁾ وأنّ أولى الوجوه في الجمع بينها هو حملها على اختلاف اللّيل من بلد إلى بلد كما بيّن ذلك ابن قيم وابن حجر وغيرهما، فتكون هذه الروايات رداً على من ادّعى معارضة الحديث للواقع والعلم الحديث.

. أمّا ما ذكره من حجج عقلية في ردّ الحديث، فهي اعتراضات قد ذكرها المعتزلة والجهمية وقد أجاب عنها علماء الإسلام قديماً، ولو فُتح باب الاعتراضات العقلية على نصوص السنّة النبوية، لكانت سبباً للطعن حتى في كتاب الله. عزّ وجل. إذ لا فرق بينهما؛ فباب الأسماء والصفات يتوقّف فيه المسلم كما توقّف فيه الصّحابة والتابعون والأئمة من بعدهم، فلا يسأل الإنسان، كيف؟ ولماذا؟ وهذا المنهج هو الذي سطره مالك في إجابته على من سأل عن كيفية الاستواء، بقوله «الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"⁽²⁾ فلا فرق بين الاستواء والنّزول والقدرة والسّمع والرزق والله أعلم.



1 - النّووي، شرح صحيح مسلم، ج: 6، ص: 37.

2 - سبق تخريجه ص: 122.

المبحث الرابع: مخاطبة الله للجنة والنار وإثبات الرجل لله

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ . " تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرتُ بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم⁽¹⁾، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، و للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار: فلا تمتلي حتى يضع رجله فتقول: قط قط⁽²⁾، فهنالك تمتلي ويُزوى⁽³⁾ بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة: فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقا"⁽⁴⁾

. عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ . قال: " يلقى في النار وتقول: هل من مزيد، حتى يضع قدمه، فتقول قط قط"⁽⁵⁾

. وللبخاري من طريق صالح بن كيسان عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ " اختصمت الجنة والنار" وفي

1 - " سقطهم" بفتح السين والقاف السقط من كل شيء ما لا يعتد به وسقط المتاع رديّه والساقط الرجل السفلة من الناس والليثيم. ينظر: القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج: 1، ص: 313.

2 - " قط قط": بمعنى حسب، وتكرارها للتأكيد، وفيها ثلاث لغات، إسكان الطاء فيهما، والكسر مع التنوين، وبدونه. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج: 4، ص: 78، / النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 17، ص: 182.

3 - ينزوي "ب ينضم ويروي فيزوي تنضم وتجتمع على الكفار. ينظر: القاضي عياض، المشارق، ج: 1، ص: 313.

4 - أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى ﴿وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: 30]، رقم (4850)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (2846).

5 - أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله تعالى ﴿وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: 30]، رقم (4848)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم (2848).

أخره قال " فأما الجنة، فإن الله لا يظلم من خلقه أحدا، وإنه ينشئ للنار من يشاء، فيلقون فيها⁽¹⁾، فتقول: هل من مزيد، ثلاثا، حتى يضع فيها قدمه فتمتلي، ويرد بعضها إلى بعض، وتقول: قط قط قط⁽²⁾."

1 - " وإنه ينشئ للنار من يشاء" اختلف العلماء في هذه الرواية رغم رواية البخاري لها فذهب أكثر العلماء إلى تضعيفها وأنها انقلبت على الراوي، بدليل الرواية الأولى التي اتفق الشيخان على إخراجها من طريق معمر عن همام عن أبي هريرة، كما أن القرآن يشهد للرواية الأولى؛ لأن الله عز وجل لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله، وإلى هذا الرأي جرح ابن تيمية، وابن قيم وابن كثير، وعزه ابن حجر في الفتح إلى أبي الحسن القبيسي، قال ابن قيم " وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري حديث أبي هريرة وأنه ينشئ للنار من يشاء فيلقى فيها فتقول هل من مزيد فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه، والروايات الصحيحة ونص القرآن يردّه، فإن الله سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس واتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى: ﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتُمْ خَزَائِنَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾⁽⁸⁾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴾⁽⁹⁾ [الملك: 9/8] وقال ابن كثير " فإن هذا إنما جاء في الجنة لأنها دار فضل، وأما النار فإنها دار عدل، لا يدخلها أحد إلا بعد الإعذار إليه وقيام الحجة عليه. وقد تكلم جماعة من الحفاظ في هذه اللفظة، وقالوا: لعله انقلب على الراوي بدليل ما أخرجه في الصحيحين. ينظر: ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج: 15، ص: 101/ ابن قيم، حادي الأرواح، ج: 2، ص: 801/ ابن كثير، التفسير، ج: 8، ص: 446/ ابن حجر، فتح الباري، ج: 13، ص: 446.

. وذهب بعض العلماء إلى قبول الرواية منهم القاضي عياض وابن حجر قال القاضي عياض " قال بعض المتعقبين هذا وهم والمعروف في الإنشاء إنما هو للجنة قال القاضي رحمه الله لا ينكر هذا وأحد التأويلات التي قدمنا في القدم أنهم هم قوم تقدم في علم الله أنه يخلقهم لها مطابق للإنشاء وموافق معناه وهو أشهر التأويلات... ولا فرق للإنشاء للجنة أو النار. قال ابن حجر " ويمكن التزام أن يكونوا من ذوي الأرواح ولكن لا يعذبون كما في الخزنة ويحتمل أن يراد بالإنشاء ابتداء إدخال الكفار النار وعبر عن ابتداء الإدخال بالإنشاء فهو إنشاء الإدخال لا الإنشاء بمعنى ابتداء الخلق...." ينظر: القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج: 2، ص: 321/ ابن حجر، فتح الباري، ج: 13، ص: 446

والذي يظهر صوابه. والله أعلم. هو ضعف هذه الرواية لمعارضتها لأحاديث الثقات فقد روي الحديث في الصحيحين من عدة طرق، بألفاظ مخالفة لهذه الرواية، كما ثبت في كتاب الله عز وجل أن الله لا يعذب عباده حتى يقيم عليهم الحجة بإرسال الرسل قال تعالى ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾⁽¹⁰⁾ [الإسراء: 56]

2 - أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: ما جاء في قوله تعالى ﴿ إِنْ رَحِمْتَ اللَّهُ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾⁽¹¹⁾ [الأعراف: 56]، رقم (7449).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

يدلّ ظاهر الأحاديث الواردة في المسألة أنّ أكثر من يدخل الجنة ضعفاء الناس، وأنّها لا تمتلئ يوم القيامة حتى ينشأ الله لها خلقا فيدخلهم فيها برحمته، وأما النار فأوثرت بالمتكبرين وأنّها لا تمتلئ حتى يضع ربُّ العزة فيها رجله فتقول حسبي حسبي.

وقد تبين أنّ الرواية التي فيها "ينشئ الله للنار خلقا" قُلبت على الرّأوي إذ الإنشاء يكون للجنة؛ لأنّها دار رحمة، أمّا النار فإنّ الله - عزّ وجلّ - لا يظلم أحدا، وقد اعترض على هذا الحديث وما دلّ عليه من محاوره، ومن إثبات صفة الرّجل لله الكثير من المعاصرين؛ وذلك لمعارضته للقرآن والعقل.

1. أمّا معارضته للقرآن: فقالوا إنّ المساكين ليسوا دائما عظماء عند الله، رفقاء الدرجات يؤكّد ذلك

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ

قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٧﴾ [النساء:

97]. (1) قال ابن قرناس "أوردوا حديثا آخر يقول بأنّ لله قدما بينما الله يقول: ﴿يَوْمَ نَقُولُ

لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُرْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ

أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ [ق: 32/30] مما يعني أنّه لن يكون هناك تبادل للحديث بين الله ومخلوقته

النار، كما أنّ الآيات تصوّر كيف أنّ النار لن تضيق بمن يُلقى فيها من المكذّبين مهما بلغت أعدادهم". (2)

1 - ينظر: زكريا أوزون، جنابة البخاري، ص: 52.

2 - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 414.

2. أما معارضته للعقل: فقالوا إذا كان الله ينشئ لها خلقا جديدا فإننا لا ندرى ما الحكمة بالوعد بالجنة إذا كان خلقها جديدا⁽¹⁾، قال أبو رية: " فهذا الحديث ونظائره - وهي كثيرة - يبعد على المتكلم أن يقول بصحتها فضلا أن يجزم بها"⁽²⁾.

. أن الجنة والنار غير عاقلتين فكيف تتكلمان، كما أن الجنة أعدت للنبين والصدقين وليس لعجزة الناس وفي تقرير هذا الاعتراض يقول السبحاني: " أي فضل في المتكبرين حتى تفتخر بهم النار ، ثم من أين علمت الجنة بأن الفائزين بها من عجرة الناس مع أنه سبحانه أعدها للنبين والمرسلين والصدقين والشهداء والصالحين؟!.. ثم هل للجنة والنار عقل ومعرفة بمن حلّ فيهما من متجبر ومتكبر أو ضعيف وساقط من الناس"⁽³⁾.

. أن هذه الروايات متعارضة بشكل قطعي مع توحيد الله . عزّ ووجل . حيث أنّها تشبه الخالق بال مخلوق، وتجعل لله الرجل التي هي من صفات المخلوقين، فهي مزورة وموضوعة في مباحث التوحيد، والبراهين العقلية تأبي قبول هذا الرب الذي له آثار وعلامات المخلوقين⁽⁴⁾.

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

إنّ الأدلة التي استدللّ به المعارضون لا تقوى على رد هذا الحديث الثابت بالسند الصحيح، عن النبي ﷺ . كما أنه لم يعترض أحد على سنده، وإنما توجه كلامهم على متنه، وأنه معارض للآيات القرآنية والثوابت الإيمانية والعقلية، ويمكن مناقشة ما استدللوا به بما يلي:

1 - ينظر: زكريا أوزون، جناية البخاري، ص: 52.

2 - محمود أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، ص: 337.

3 - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 338.

4 - ينظر: النجمي، أضواء على الصحيحين، ص: 174. / إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 309.

◀ أما استدلالهم بقوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ (٩٧) ﴿ النساء: 97﴾،

وأنّ المساكين ليسوا دائما عظماء، فهو استدلال في غير موضعه، فدلالة الحديث على دخول الضّعفاء إلى الجنة هو باعتبار الغالب، قال الداودي⁽¹⁾ "يؤخذ من الحديث أنّ الأشياء توصف بغالبها؛ لأنّ الجنة قد يدخلها غير الضّعفاء، كما أنّ النار قد يدخلها غير المتكبرين"⁽²⁾، وأما إقحام الآية هنا فهو استدلال عجيب، لأنّ هؤلاء لم يكونوا مستضعفين حقيقة، وإمّا ادّعوا ذلك، كما يوضح ذلك سبب نزولها فقد روى البخاري عن ابن عباس . رضي الله عنهما . " أنّ أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرّون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فيأتي السّهم فيرمى فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضربه فيقتله، فأنزل الله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي

أَنْفُسِهِمْ ﴾ [النساء: 97] ⁽³⁾، ولو أكمل المعترض قراءة الآية لوجد فيها ما يجيب على تساؤله قال

تعالى ﴿ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ (٩٨)

فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَفْوًا غَفُورًا ﴾ (٩٩) ﴿ النساء: 99/98﴾ فلو كانوا

مستضعفين حقيقة لعفا الله عنهم، كما عفى عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

. أما ما استدلّ به ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ (٣٠) ﴿ ق: 30﴾

¹ - هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي الأسدي، من كبار أئمة المالكية بالمغرب، كان فقيها حافظا متقنا مؤلفا جيدا، ألف

النامي في شرح الموطأ، والنصيحة في شرح البخاري، كان درسه وحده ولم يتفقه على إمام مشهور، توفي بتلمسان سنة ثنتين وأربعمائة (402هـ). ينظر: ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحق: مأمون بن محي الدين الجنان (بيروت، مط: در الكتب العلميّة، ط: 1، سنة: 1417هـ / 1996م) ص: 94 / الذهبي تاريخ الإسلام، ج: 28، ص: 56.

² - ابن حجر، فتح الباري، ج: 13، ص: 447.

³ - أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب: من كره أن يكثر سواد الفتن والظلم، رقم (7085).

وأنّ النَّارَ واسعة ولن تضيق بمن يلقي فيها، كما أنّه لن تكون هناك محاورة بين الله والنَّار.

. أمّا قوله إنّ النَّارَ لن تضيق بمن يلقي فيها، فقد صرّحت بذلك الآية والحديث فجهنّم لا تزال تطلب

المزيد حتى يضع فيها ربّ العزّة قدمه فيزوي بعضها إلى بعض وتمتلى بما فيها قال ابن تيمية:

والصحيح أنّها تقول: "هَلْ مِنْ مَزِيدٍ" على سبيل الطلب أي هل من زيادة تزداد فيّ والمزيد ما يزيده الله

فيها من الجنّ والإنس كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: { لا

تزال جهنّم يلقي فيها وتقول: هل من مزيد حتى يضع ربّ العزّة فيها قدمه، ويروي "عليها قدمه

فينزوي بعضها إلى بعض وتقول: قط قط } . فإذا قالت حسبي حسبي كانت قد اكتفت بما ألقى

فيها ولم تقل بعد ذلك هل من مزيد بل تمتلى بما فيها لانزواء بعضها إلى بعض؛ فإنّ الله يضيّقها على

من فيها لسعتها فإنه قد وعدّها ليملأها من الجنّة والناس أجمعين، وهي واسعة فلا تمتلى حتّى يضيّقها

على من فيها"⁽¹⁾، فالآية والحديث متوافقان في ذلك صراحة، فلا سبب لادّعاء التعارض بينهما، كما

أنّ المحاورة بين الله والنَّار، صرّحت بها الآية كما صرح بها الحديث، فما وجه التفريق بينهما؟ ولا أدري

أين هو وجه الاستدلال من الآية على أنّه لن تكون هناك محاورة بين الله والنَّار، ثم ما المانع من نطق

النَّار إذا كان الله على كل شيء قدير؟ ! قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا

أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [فصلت: 21] قال ابن عبد البر: "وحمل كلام الله تعالى

وكلام نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحقيقة أولى بذوي الدّين والحقّ لأنّه يقص الحق وقوله الحقّ

تبارك وتعالى"⁽²⁾ قال النووي: "هذا الحديث على ظاهره وأن الله تعالى جعل في النَّار والجنّة تمييزا

تدركان به فتحاجتا ولايلزم من هذا أن يكون ذلك التّمييز فيهما دائما"⁽³⁾.

1 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 16، ص: 33.

2 - ابن عبد البر، التمهيد، ج: 16، ص: 5.

3 - النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 17، ص: 181.

◀ أما استدلالهم العقلي على ضعف الحديث، وتساؤلهم عن الحكمة من الوعد بالجنة إذا كان ينشئ لها خلقا جديدا، فإنّ النار دار عدل لهذا يضع ربّ العزة فيها رجله، وأما الجنة فدار رحمة فضل، فما المانع من أن ينشئ الله لها خلقا بعد دخول أهل الجنة الجنة قال تعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا

يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: 23] قال النووي: " هذا دليل لأهل السنة أنّ الثواب ليس متوقفا على الأعمال فإنّ هؤلاء يخلقون حينئذ ويعطون في الجنة ما يعطون بغير عمل ومثله أمر الأطفال والمجانين الذين لم يعملوا طاعة قط فكّلهم في الجنة برحمة الله تعالى وفضله" (1).

. أما قولهم إنّ الجنة والنار غير عاقلتين فكيف تتكلمان فالجواب عنه أنّه لا يوجد مانع من كلام الجنة أو النار، وهذا المنع الذي ذكره مبني على قياسهم أحوال عالم الغيب على عالم الشهادة وهذا باطل قطعاً، لأنّ الجنة والنار لم يحيطوا علماً بحقيقتهما إلا بما نصّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . وقد دلّ هذا الحديث على أنّهما يتحدّثان، ولا دليل ينفي ذلك.

ولو جاز قياس عالم الغيب على عالم الشهادة لم يكن فيه دليل على منع كلامهما فإنّ الله عزّ وجل على كل شيء قدير قال ابن المنير (2) : " نعتقد أنّ سؤال جهنّم وجوابها حقيقة، وأنّ الله تعالى يخلق فيها الإدراك بذلك بشرطه، وكيف نفرض وقد وردت الأخبار وتظاهرت على ذلك؟! منها هذا، ومنها: حجاج الجنة والنار (3)، منها: اشتكاؤها إلى ربّها فأذن لها في نفسين (4).

1 - النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 17، ص: 183.

2 - هو: أحمد بن محمد بن منصور الجذامي الحزوي الإسكندراني المالكي قاضي الإسكندرية وفاضلها المشهور، وُلد سنة عشرين وستمائة وبرع في الفقه والأصول والنظر والبلاغة له كتاب المتواري على أبواب البخاري، توفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة. ينظر الذهبي، العبر في خبر من غير، تحق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول - (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1405هـ/ 1985م) ج: 3، ص: 352/ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: 7، ص: 666.

3 - ينظر: سبق تخريجه، ص: 126.

4 - عن أبي هريرة. رضي الله عنه. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " اشتكت النار إلى ربّها فقالت: ربّ أكل بعضي

فهذه وإن لم تكن نصوصاً فظواهرها يجب حملها على حقيقتها؛ لأننا متعبدون باعتقاد الظاهر ما لم يمنع مانع، ولا مانع هنا؛ لأن القدرة سالحة والعقل يجوز، والظواهر قاضية بوقوع ما صورّه العقل، وقد وقع مثل هذا قطعاً في الدنيا، كتسليم الشجر، وتسبيح الحصى في كفّ النبي ﷺ . وفي يد أصحابه⁽¹⁾.

. أمّا قولهم إنّ الحديث يثبت الرّجل والقدم لله، فإنّ جماهير العلماء قبلوا التّصوص المثبته لصفات الله . عزّ وجل . إذا صحّ سندها وإن اختلفوا هل تحمل على حقيقتها كما ذهب إليه جمهور أهل السنّة، أو تصرف عن ظاهرها بما تحتمله اللغة من معان كما جنح إليه أكثر المتكلّمين،⁽²⁾ ولم يضعّفوا الحديث لإثباته ما لم تثبته الآية، أما اعتراضهم عليه فهو ناتج عن تشبيههم للخالق بالمخلوق، وهذا التشبيه يلزمهم أن يعترضوا به على الآيات الكثيرة المثبته لصفات الله . عزّ وجل . كقوله تعالى ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: 27] وقوله ﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ۗ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص: 75] وقوله ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: 42] أو يؤمنوا بجميع الآيات والأحاديث إذا صحّ سندها، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿ [الرحمن: 27] وقوله ﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ۗ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [ص: 75] وقوله ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: 42] أو يؤمنوا بجميع الآيات والأحاديث إذا صحّ سندها، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

= بعضاً، فأذن لها بنفسين: نفس في الشّتاء ونفس في الصّيف، فأشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير "

أخرجه البخاري، كتاب: بدأ الخلق ، باب صفة النّار وأثما مخلوقة، رقم (3260)/ ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة،

باب استحباب الإبراد بالظهر في شدة الحر لمن يمضي إلى جماعة ويمنعه الحر في طريقه، رقم (617)

¹ - ينظر: ابن المنير الإسكندري، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف مطبوع مع الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (بيروت، مط: دار الكتاب العربي، ط: 3، سنة: 1407 هـ) ج: 4، ص: 388.

² - ينظر: ابن بطال ، شرح صحيح البخاري، ج: 10، ص: 412/ ابن عبد البر، التمهيد، ج: 5، ص: 15/ النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 17، ص: 182.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

من خلال عرض أدلة المعارضين على هذا الحديث يظهر جلياً أنها مجرد أوهام لا يرد بمثلها نصوص الصادق عليه السلام، فالحديث جاء ليؤكد معنى الآية ويفسرها، وقد ثبتت صحته من حيث السند فلا معنى للاعتراض عليه.

. هذا الحديث من نصوص الصفات الكثيرة الواردة في الكتاب والسنة التي تلقتها الأمة بالقبول، والأولى أن تحمل على حقيقتها دون السؤال عن كيفيةها؛ لأن الله - عز وجل - لم يخبرنا عن كيفيةها، ولا بينها رسوله ﷺ . ، ولا ثبت أن الصحابة - رضي الله عنهم - سألوا عنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم . .

. أمّا محاوره الله للنار فإن الله - عز وجل - لا يعجزه شيء، وقد ثبت في الكثير من النصوص القرآنية التي تثبت نطق الجلود والأيدي والسمع والبصر يوم القيامة، ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا

أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴿يس:65﴾، فلا وجه للفريق بين ما نطق به كتاب الله، وما صرحت به سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم .

. إن حمل الألفاظ الشرعية على الحقيقة أصل لا يعدل عنه إلا بقريضة تصرفه عن ذلك إلى المجاز، ولا قريضة هنا، كما أنه لا يوجد مانع يمنع من كلام جهنم أو الجنة إلا في ذهن من يقيس عالم الغيبات على عالم المحسوسات وهو قياس ظاهر البطلان قال ابن عبد البر: "ومن حمل ذلك على الحقيقة قال جاز أن ينطقها الله كما تنطق الأيدي والجلود والأرجل يوم القيامة وهو الظاهر من قول الله عز وجل

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ ﴿ق: 30﴾ ومن قوله ﴿وَلِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا يَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ ﴿الإسراء: 44﴾ و﴿قَالَتْ نَمَلَةٌ

﴿ يَتَأْتِيهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَكِنَكُمُ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾

﴿ النمل:18﴾ وقوله عز وجل ﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾

﴿ الفرقان:12﴾ فأضاف إليها الرؤية والتغيّط إضافة حقيقية وكذلك كل ما في القرآن من مثل ذلك.

والاحتجاج لكلا القولين يطول وليس هذا موضع ذكره وحمل كلام الله تعالى وكلام نبيه . ﷺ . على

الحقيقة أولى بدوي الدين والحق لأنه يقص الحق وقوله الحق تبارك وتعالى علوا كبيرا. (1)



¹ - ينظر: ابن عبد البر، التمهيد، ج: 5، ص: 15.

المبحث الخامس : مراجعة الرسول ﷺ - لربِّه على فريضة الصلاة

ليلة الإسراء

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن أنس بن مالك . رضي الله عنه . في حديث الإسراء قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " ففرض الله على أمّتي خمسين صلاةً، فرجعتُ بذلك، حتّى مررت على موسى، فقال: ما فرضَ اللهُ لك على أمّتك؟ قلت: فرض خمسين صلاةً، قال: فارجعْ إلى ربِّك، فإن أمّتك لا تطيقُ ذلك، فراجعني، فوضَعَ شَطْرَها، فرجعتُ إلى موسى، قلت: وضع شَطْرَها، فقال: راجع ربّك، فإن أمّتك لا تطيقُ، فراجعْتُ فوضَعَ شَطْرَها، فرجعتُ إليه، فقال: ارجعْ إلى ربِّك، فإن أمّتك لا تطيقُ ذلك، فراجعته، فقال: هي خمسٌ، وهي خمسون، لا يُبدّل القولُ لديّ، فرجعتُ إلى موسى، فقال: راجع ربّك، فقلتُ: استحييتُ من ربّي، ثم انطلق بي، حتّى انتهى بي إلى سدرة المنتهى، وغشيتها ألوان لا أدري ما هي؟ ثمّ أدخلت الجنة، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ⁽¹⁾ وإذا تُرابها المسك⁽²⁾ .

¹ - ورد لجميع رواة البخاري في هذا الموضع " حبايل " وهذا تصحيف كما بيّنه الشراح، إنما هو " جنابذ " بالجيم المفتوحة، والنون المفتوحة، وبعدها ألف موحدة ثم باء موحدة، ثم ذال معجمة، كما وقع عند البخاري في بقية المواضع، وكذا عند مسلم " جنابذ "، والجنابذ واحدتها جنبذة وهي: القباب. ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج: 2، ص: 13 / ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج: 1، ص: 358 / النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 2، ص: 222 / ابن حجر، فتح الباري، ج: 1، ص: 552 / ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج: 1، ص: 305.

² - أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (349) / ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات، رقم (263).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

هذا الحديث جزء من حديث الإسراء الطويل المشهور عند العلماء، وقد انتقد المعاصرون الكثير من الأمور التي وقعت ليلة الإسراء والمعراج ، كحادثة شق صدره . ﷺ وغسله بماء زمزم، كذا رؤيته للنيل والفرات في الجنة، وسماع صوت صريف الأقلام، وأنّ في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت...⁽¹⁾ إلا أنّ المسألة محل البحث في هذا الباب هي مراجعة الرسول . ﷺ . لرّبه على فريضة الصلّاة، وقد رأوا أنّ هذه الرواية تطعن في حكمة الله، ورحمة الله بعباده، وتجعل موسى . عليه السّلام . أعلم من الله بما يطيقه العباد، وقد اعترض على هذا الحديث أبو رية، إسلامبولي، وأوزون بما يلي:

1. أنه معارض للعقل والثوابت الإيمانية : وذلك من عدّة وجوه:

. تساءل المنتقدون للحديث لطلب موسى . عليه السّلام . لنبينا محمد . ﷺ . بمراجعة ربّه، كيف لم يستطع أحدٌ من الرّسل أن يفقه عدم قدرة العباد على أدائها عدا موسى؟ وهل كان موسى أعلم من الله بمقدرة عباده، قال أبو رية " وفيها أنّه صلوات الله عليه كلما نزل بعدد منها من عند الله، أعاده موسى لرّبه لينقصها حتى رجعت إلى خمس صلوات، وكأنّ الله سبحانه وتعالى لما فرض الصلّاة على المسلمين كان لا يعلم مبلغ قوّة احتمال عباده على أدائها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"⁽²⁾.

. هل كان نبينا محمد . ﷺ - لا يعلم إن كان من أرسل إليهم يستطيعون أداء هذه العبادة، أو لا يستطيعون حتّى بصره موسى؟ وهل كان النبيّ موسى أعلم وأرحم من الله عزّ وجل، ومن النبيّ محمد . ﷺ . بحال الناس.⁽³⁾

1 - ينظر: أوزون، جناية البخاري، ص: 143.

2 - أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، ص: 135.

3 - ينظر: المرجع السابق، ص: 135/ إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 300.

. كما أنّ الحديث يدلّ على أنّ النبيّ ﷺ . ليس عنده قناعة بالفرائض؛ لأنّه استحي من طلب

التّخفيف في المرة الأخيرة، وهذا يدلّ أنّه ما زال يستكثر الفرائض⁽¹⁾!! .

. أنّ مقدار اليوم لا يكفي لأداء الصلوات الخمسين لو لم يتدخّل موسى ليطلب من نبيّنا محمد ﷺ .

أن يراجع ربّه ليخففها، قال أوزون " وكيف كان أحدنا سيجد الوقت الكافي ؛ لو لم يتدخّل موسى

ليصحّ عددها، ويخفف عتّا؟! "⁽²⁾.

2. أنّه من الإسرائيليّات: قال أبو ريّة " وهكذا ترى الإسرائيليّات تنفذ في ديننا، وتسري إلى معتقداتنا

فتعمل عملها ولا نجد أحدا إلا قليلا يُزيّمها أو يردها؛ بل نرى منا . وأسفاه . من يصدّقها ويعتقدتها

من حشويّة آخر الزّمان، الذين يتّجرون بالدين لا يهمهم أن ينسب الجهل لخاتم المرسلين، لا يزالون

يذكرون اسم كعب الأحبار مقرونا بالسيّادة"⁽³⁾.

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

إنّ الإسراء والمعراج معجزة خصّ بها نبيّنا محمد ﷺ . وقد دلّ عليها الكتاب والسنة المطهّرة، كما

أنّ الإيمان بها إجمالا يقتضي الإيمان بما دلّت عليه من أحكام، ومن ذلك الإيمان بأنّ الله فرض على

أمّته خمسين صلاة، ثمّ خففها عنهم إلى خمس صلوات، وهذا بعد طلب موسى عليه السّلام لنبيّنا

محمد ﷺ . أن يطلب من ربّه التّخفيف للتجربة التي عاشها مع بني إسرائيل، أمّا ما استدلّ به

المعتضون إنّما هي مجرد أوهام عقلية ليس لها حظ من النّظر ولا من الأثر وبيان ذلك :

◀ أمّا معارضة الحديث للعقل فالحديث قد قبلته عقول علماء الصحابة والتّابعين، والأئمّة

1 - ينظر: إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 300.

2 - أوزون، جناية البخاري، ص: 143..

3 - أبو رية، أضواء على السنة المحمدية، ص: 135.

الأربعة، ولا يوجد من أنكر ذلك من أهل السنة.

. أما قولهم إن موسى عليه السلام صحح لربه . عز وجل . وأنه يدل على أن الله لم يكن يعلم مقدرة عباده !! فأقول إن هذه إساءة وسوء أدب مع الله . عز وجل . فالله فرض خمسين صلاة وهو أعلم أهما ستكون خمس صلوات؛ لأنه سبحانه وتعالى عليم خبير، وفي ذلك حكمة منه سبحانه أراد الله تعالى أن يظهر رحمته بالعباد؛ ففرض عليهم في البداية خمسين صلاة ثم خففها عنهم مراعاة لمصالحهم، وتيسيرا للتشريعة عليهم، كما أن تخفيفها من الخمسين إلى الخمس يدفع المرء للمحافظة عليها أشد المحافظة، قال أبو شهبه " ولذلك سرّ وحكمة، وهي إظهار رحمة الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة ومنته عليها بالتخفيف عليها... كما أن فيها إظهار منزلة النبي عند ربه بقبول شفاعته في التخفيف عن أمته، وبيان رأفته ورحمته بأمته" (1)

. أما قولهم إن هذا يدل على أن الله لم يكن يعرف مقدرة عباده، فأقول إن الله . عز وجل . يعلم ما كان وما يكون، وقد علم أن نبينا سيسأله التخفيف وأنه سيخفف عن أمته بسبب سؤاله، يمكن أن يكون بوحي منه سبحانه، ونظير ذلك اعتراض الملائكة على أن يجعل الله في الأرض خليفة، وقولهم إنه سوف يفسد في الأرض ويسفك الدماء، فمن أين جاء الملائكة بهذا القول؟ وهل كانوا أعلم بما سيفعله الإنسان من الله . عز وجل .؟

ولو لم تكن بوحي فليس فيها ما يدل على أن الله لم يكن يعرف مقدرة عباده وقد سأل الله . عز وجل . عيسى . عليه السلام . ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾

1 - أبوشهبه ، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ، (القاهرة، مط: مجمع البحوث الإسلامية، ط: 2، سنة:

تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ [المائدة: 116] مع علمه المسبق أنّ عيسى لم يقل ذلك ولا يمكن له أن يقول ذلك، فهل يقول هؤلاء إنّ الله . عزّ وجل . لم يعلم أنّ عيسى لم يقل هذا حتى سأل عنه؟ فمعلوم أنّ الله . جلّ وعلا . محيط علمه بكلّ شيء، ولكن قال ذلك على سبيل التوبيخ والتّعظيم لهذه القول.

وأما تساؤلهم لماذا لم يفقه أحد من الرّسل عدم مقدرة العباد عدا موسى؟ فإنّ اختصاص موسى عليه السلام بهذا دون غيره لأنّه أول من تلقّاه عند الهبوط، ولأنّ أمّته أكثر من أمّة غيره، ولأنّ كتابه أكبر الكتب المنزّلة قبل القرآن تشريعا وأحكاما، كما أنّ أمّة موسى كانوا كلّفوا من الصّلاة ما ثقل عليهم فخاف موسى على أمّة محمد مثل ذلك.⁽¹⁾

. وقولهم إنّهم يدلّ على أنّ موسى كان أعلم وأرحم من نبينا ﷺ فالحديث لا يدلّ على ما ذهب إليه، ثمّ ما المانع أن يعلم موسى عليه السلام من خلال التجربة ما لم يعلمه نبينا محمد ﷺ ، وقد صرح الحديث بذلك قال رسول الله ﷺ "...أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال: إنّ أمّتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإني والله قد جرّبت الناس قبلك، وعاجلت بني إسرائيل أشدّ المعالجة، فارجع إلى ربّك فاسأله التّخفيف لأمتك ..." ⁽²⁾

ولو لم يكن هذا الأمر عن تجربة فلا مانع أن يعلمه موسى، وقد أعطى الله لبعض أنبيائه ما لم يعطه لنبينا محمد ﷺ قال تعالى ﴿وَلَسَلِمْنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغْوُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا

1 - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج: 13، ص: 496.

2 - أخرجه البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: المعراج، رقم (3887) / ومسلم، كتاب: الإيمان: باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات، وفرض الصلوات، رقم (2599).

لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ [الأنبياء: 81 / 82]، وهذا لا يدلّ أبداً على أفضليّة سليمان . عليه

السّلام . على نبينا محمد صلّى الله عليه وسلّم، وقد خصّ الله . عزّ وجل . بعض أنبيائه بصفات ومزايا لم يعط مثلها لنبينا محمد . ﷺ . مع أنّه خاتمهم أفضلهم .

. أمّا قولهم إنّ استحياء النبيّ . ﷺ . يدلّ على استكثاره للفرائض، فهل النبيّ . ﷺ . الذي رضيّ بالخمسين صلاة، وكان نازلاً بها يستثقل الخمس صلوات؟ إنّما ذكر الاستحياء والله أعلم اعتذرا لموسى . عليه السّلام . الذي بسببه خُفّفت الصّلوات، فلا يمكن لموسى أن يطلب منه الرجوع لطلب التّخفيف بعد هذا الجواب .

وقد أبدى ابن المنير نكتة على استحياء موسى فقال : " يحتمل أنّه صلّى الله عليه وسلّم تفرّس من كون التّخفيف وقع خمسا خمسا أنه لو سأل التّخفيف بعد أن صارت خمسا لكان سائلا في رفعها فلذلك استحيي " . (1)

. أمّا قولهم إنّ الوقت لا يكفي، فإنّ الله . عزّ وجل . لو فرض علينا خمسين صلاة لكان الوقت كافيا لأدائها، ولو أخذت من الصّلاة ربع اليوم، أو نصفه ما كان ذلك كثيرا في حقّها؛ لأنّ الله . عزّ وجل . لم يخلقنا إلّا من أجل عبادته قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ﴿٥٦﴾ [الذّريات

: 56]

◀ أما تشكيكهم في الحديث كونه من الإسرائيليات فهو ادّعاء يحتاج صاحبه إلى برهان أو دليل، وهل يردّ كلّ حديث فيه ذكر لقصة نبي من الأنبياء السابقين؟ ثم إنّ الحديث رواه أكثر من عشرين

¹ - ابن حجر، فتح الباري، ج: 1، ص: 552.

صحابيا وليس فيهم كعبا كما ادعى، وقد نقل ابن كثير عن الحافظ أبي الخطاب عمر بن دحية⁽¹⁾ أنه قال: "وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، وأبي ذر، ومالك بن صعصعة، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وابن عباس، وشداد بن أوس، وأبي بن كعب.... ثم ذكر أكثر من عشرين صحابياً وقال " وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، واعترض فيه الزنادقة الملحدون"⁽²⁾، قال أبو شهبه: "وعلى منطلق المؤلف تكون كل الأحاديث التي ذكرت فضيلة لموسى أو لنبي من أنبياء بني إسرائيل من الإسرائيليات، وأعتقد أن هذا لا يقوله عاقل فضلاً عن باحث... وَمَ أَرَّ - فيما أعلم - عن أحد من أهل العلم الموثوق بهم أنه ذكر أن مراجعة موسى لنبينا - عليهما السلام - دسيسة إسرائيلية، فهل خفي على علماء الأمة جميعهم ما تخيَّله هذا المؤلف؟!"⁽³⁾

المطلب الرابع: رفع الإشكال

إنَّ حادثة الإسراء والمعراج هي معجزة شاهدة على صدق نبيِّنا محمد ﷺ . وقد شهدت لها نصوص الكتاب والسنة المشهورة وأجمع عليها المسلمون، والمعجزات وخوارق العادات لا تحتكم إلى قياس العقول، ولا إلى منطق الرد والقبول، إنما يُحاكم فيها المنقول من حيث الثبوت فإن ثبت النقلُ سلّم له العقل، وقد ثبت المنقول من طريق الشَّيخين برواية الثقات الأثبات، بطرق مستفيضة بلغت حد التواتر، فالإيمان بها واجب، كما أنَّ الإيمان بها يقتضي الإيمان بما دلَّت عليه من قصص وأحكام،

¹ - هو: عمر بن الحسن بن علي بن محمد، أبو الخطَّاب، ابن دحية الكلبي: من أهل سبته بالأندلس كان بصيراً بالحديث، معروفاً بالضبط، له حضٌّ وافر من اللغة، من أهل سبته بالأندلس. ولي قضاء دانية. ورحل إلى مراکش والشام والعراق وخراسان واستقر بمصر، من مصنفاته: التنوير في مولد السراج المنير، "نهاية السؤل في خصائص الرسول، وغيرها، توفي بالقاهرة سنة ثلاث وثلاثين وستمائة (633هـ). ينظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج: 4، ص: 1421/ الزركلي، الأعلام، ج: 5، ص: 44.

² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 8، ص: 434.

³ - أبو شهبه، دفاع عن السنة، ص: 89.

ومن ذلك الإيمان بأن الله فرض خمسين صلاة على عباده، وأنه سبحانه علم أن موسى سيطلب من نبينا مراجعة ربه، وعلم أنه سيخففها عنهم، فلا يُنكر شيء منها، ولو فُتح باب ردّ النصوص بهذا المنطق لردّ من شاء ما شاء.



الفصل الثاني: الأحاديث المتعلقة بالغيب وأشراط

الساعة

- المبحث الأول: سجود الشمس عند العرش
- المبحث الثاني: طلوع الشمس من مغربها
- المبحث الثالث: السؤال عن وقت قيام الساعة
- المبحث الرابع: عذاب القبر ونعيمه
- المبحث الخامس: مفاتيح الغيب

لقد صرح القرآن الكريم أنّ علم الغيب كوقت قيام الساعة وأحوال الآخرة، وأجال الناس، وشقاوتهم وسعادتهم لا يعلمها إلا هو سبحانه، وقد نطقت بذلك الآيات الكثيرة قال تعالى

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مَرُّسَهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْفِهَا إِلَّا هُوَ نُقِلَتْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً يُسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ [الأعراف: 187] وقال تعالى ﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ [النمل: 65]، وقال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ

الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ

اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ [لقمان: 34]

وقد كان النبي ﷺ . يُسأل عن الساعة فلا يجيب عنها لعدم علمه بوقتها، ولكن الرسول ﷺ . لرحمته بأتمته قد بين لهم بعض ما أطلعه الله عليه من أمور الغيب، وأمّارات الساعة كأحاديث الدجال، وطلوع الشمس من مغربها، وسجودها عند العرش، وعذاب القبر، ووصف بعض ما في الجنة والنار من النعيم والجحيم وغير ذلك من الأخبار الثابتة بالسند الصحيح عنه . ﷺ .

ورغم رواية هذه الأحاديث في صحيح البخاري ومسلم، فقد أنكرها الكثير من المعاصرين بحجة معارضتها الصريحة لكتاب الله الذي صرح أنّه لا يعلم الغيب إلا الله، كما أنّ الحسّ والواقع ، والعلم التجريبي يكذب هذه الأحاديث، وأنّ من وضعها لم يكن يعلم أنّ العلم سوف يكشف كذب هذه الأحاديث !! قال صبحي منصور: " فكلّ الأحاديث التي رواها البخاري وغيره، وفيها ينسبون للنبي أقاويل عن علامات الساعة وأحداثها، والشّفاة وأحوال القيامة . كلّها أحاديث تُناقض القرآن صراحة فالقرآن يؤكّد في أكثر من موضع بأنّ النبي لا يعلم الغيب ولا يعلم شيئاً عن الساعة وموعدها

وتفصيلاً... وإذا كان النبي لا يعلم ماذا سيحدث له أو لغيره كيف نتظر منه أن يتحدث عن أحوال القيامة ، ثم ألا يكفينا قوله تعالى عن عدم علم النبي⁽¹⁾ بالغيب ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْرَثُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: 188]"⁽²⁾

وقد تكلموا على جلّ النصوص الواردة في هذا الباب، وسأتحدث في هذا الفصل عن جملة من الأحاديث المشهورة التي ردها المعاصرون، وبيان وجهات نظرهم فيها، ومناقشة أدلتهم مناقشة علمية.

¹ - ذكر هذا المؤلف اسم النبي ﷺ. أربع مرات ولم يصلّ عليه. عليه الصلّاة والسّلام. ، بل إنّ المؤلف في جميع ثنايا كتابه لا تجده يصلّي على النبي ﷺ. إلا نادراً فلا يُستغرب منه بعد ذلك طعنه في أحاديثه الصحيحة الثابتة.

² - ينظر: أحمد صبحي منصور، القرآن وكفى مصدراً للتشريع، ص: 109.

المبحث الأول: سجود الشمس تحت العرش

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟»، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد، فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها: ارجعي من حيث جئت، فطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا^ع

ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ [يس: 38].⁽¹⁾

وفي رواية عن أبي ذر، قال: دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس، فلما غربت الشمس قال: «يا أبا ذر، هل تدري أين تذهب هذه؟»، قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: "فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فطلع من مغربها"⁽²⁾

. وفي رواية لمسلم عنه قال صلى الله عليه وسلم "ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من

¹ - أخرجه البخاري، كتاب: بدأ الخلق، باب: صفة الشمس والقمر ﴿مُحْسَبَانِ﴾ ﴿٥﴾ [الرحمن: 5]، رقم (3199)، مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (159).

² - أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ﴿٧﴾ [هود: 7]، رقم (7424)، مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (159).

مغربها "، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ

تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ [الأنعام: 158] (1)

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

أخبرنا النبي ﷺ . أنّ الشّمس تذهب حين تغرب حتى تسجد عند عرش الرّحمن، وأنّها تستأذن ربّها في طلوعها فلا تطلع حتى يأذن لها، ولا تزال على ذلك إلى أن يشاء الله، حتى يأتي يوم فلا يؤذن لها ويُقال لها ارجعي فتطلع من مغربها كعلامة من علامات السّاعة الكبرى التي أخبرنا بها النبي ﷺ . وقد أنكر هذا الأمر الغيبي جملة من المعاصرين؛ لتعارضه مع العقل والمنطق، ورأوا أنّه يتصادم مع الواقع المشاهد، ويعارض العلم التجريبي، ويمكن تلخيص أهم ما اعتمدوا عليه من حجج في ردّ الحديث كما يلي:

1. تعارضه مع العقل:

قالوا إنّ الشّمس لا تملك عقلاً فكيف يمكنها أن تسجد، كما أنّها غير مكلفة فكيف يُقبل منها السّجود أو يرفض، قال إسلامبولي: " إنّ الشّمس من المخلوقات التي لا تملك عقلاً، ولا إرادة وبالتالي فهي لا تسجد سجود العاقل، وهي غير مكلفة ومسؤولة حتى يُقبل منها السجود أو يرفض" (2).

2. تعارضه مع الواقع:

قالوا إنّ الحديث موضوع، وأنّ واضعه كان يظن أنّ الشّمس بمجرد غروبها تغيب عن جميع الأرض

1 - أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، رقم (159).

2 - سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 306.

وينقطع نورها عنها مدة الليل؛ لأنها تكون تنتظر الإذن بالشروق مرة أخرى، بينما الشمس لا تغيب عن الأرض في أي لحظة، وإنما تغيب عن بعض البلاد وتطلع على غيرها، قال رشيد رضا: ومنه ما كان يتعذر عليهم العلم بموافقته أو مخالفته للواقع، كظاهر حديث أبي ذر عند الشيخين وغيرهما أين تكون الشمس بعد غروبها؟ فقد كان المتبادر منه للمتقدمين أنّ الشمس تغيب عن الأرض كلّها وينقطع نورها عنها مدة الليل؛ إذ تكون تحت العرش تنتظر الإذن لها بالطلوع ثانية، وقد صار من المعلوم القطعي لمئات الملايين من البشر أنّ الشمس لا تغيب عن الأرض في أثناء الليل وإنما تغيب عن بعض الأقطار وتطلع على غيرها، فنهارنا ليل عند غيرنا وليلنا نهار عندهم.

فنحن بعد العلم القطعي الثابت بالحسّ في مثل هذه المسألة وما في حكمها لا مندوحة لنا عن أحد أمرين، إما الطعن في سند الحديث وإن صحّحوه؛ لأن رواية ما يخالف القطعي من علامات الوضع عند المحدثين أنفسهم... وإما تأويل الحديث بأنه مروى بالمعنى، وأنّ بعض رواية لم يفهم المراد منه فعبّر عما فهمه كعدم فهم راوي هذا الحديث الذي ذكرنا على سبيل التمثيل.⁽¹⁾

قال ابن قرناس: " وبطبيعة الحال فالיום التّلميز في المرحلة الابتدائية، يعرف بأنّ الشمس لا تغيب عن الأرض أبداً وفي كلّ لحظة من لحظات الليل والنّهار هناك شروق في مكان، وفي نفس الوقت غروب في مكان آخر من الأرض"⁽²⁾، قال سامر إسلامبولي: " من المعلوم أنّ الشمس لها نظام ومسار تسير بموجبه، فهي ما إن تغرب من مكان إلا وتكون في الوقت نفسه تشرق على آخر، ولا تغرب عن الأرض أبداً ولا تخرج عن مسارها"⁽³⁾.

¹ - ينظر: رشيد رضا، مجلة المنار، ج: 27، ص: 610.

² - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 465.

³ - إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 306.

3. تعارضه مع العلم:

وحجتهم أنّ العلم الحديث بيّن أنّ الشّمس ثابتة في مكانها ولا تذهب لعرش ولا لغيره، فلا يعلم مستقرّها إلا الله - عزّ وجل - . قال إسماعيل الكردي: "فإنّه من المعلوم لكل طالب درس الجغرافيا أنّ الشمس مستقرّة في مكانها في مركز المجموعة الشمسية، لا تذهب لعرش ولا لمكان آخر، ولا تأتي منه، وأنّ شروقها ومغيبها ليس بسبب حركتها هي بل سببه دوران الأرض حول نفسها وأنّ هذا الشّروق والمغيب مستمرّان على مدار الـ (24) ساعة، وفي كل لحظة تكون في حالة شروق بالنسبة لمكان في الأرض، وفي الوقت نفسه في حالة غروب بالنسبة للمكان المقابل من الأرض . وهذا أصبح في علوم اليوم من البديهيات؛ بل من المشاهدات بالمحسوس !"⁽¹⁾ وقال أوزون: " لا تتوافق معظم الأحاديث التي تتطرّق للأمور الكونية مع الثّوابت والمعطيات العلميّة... فالشّمس تذهب كلّ يوم تحت عرش ربّها، وقد ثبت أنّ الأرض بدوارها حول الشّمس يتعاقب الليل والنّهار"⁽²⁾.

وقال نيّازي: " محاولة أخرى فاشلة لتأويل وتفسير آية من المتشابهة الذي نُهي الله عن تأويلها، وما هي النتيجة ؟ كلام لا ترابط فيه ولا علم ولا منطق، واليوم بعد معرفة أمور كثيرة لم تكن معروفة من قبل عن حقائق الأرض والشّمس ظهر أنّ هذا التأويل بدائي، يرفضه العلم، ولا يُعلم حتى الآن إلى أين تجري الشّمس، وأين هو مستقرّها، وهي كلها ما زالت في غيب الله الذي لم يطلّع عليه إنس ولا جانّ، لا حتى ملك "⁽³⁾

¹ - إسماعيل الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث ، ص: 180.

² - أوزون، جناية البخاري، ص: 25.

³ - نيّازي، دين السلطان، ص: 297.

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

إنّ هذا الحديث متعلّق بأمر غيبي، لا يمكن للرّسول ﷺ . أن يعلمه إلا بوحي منه سبحانه، وقد اتّفق الشّيخان على إخراجهم من طريق أبي ذر . رضي الله عنه . فهو حديث ثابت صحيح من حيث السند والإيمان به واجب، وأمّا ما تعلّقوا به من أدلّة عقلية وعلمية على ضعف متن الحديث فيجاب عنها بما يلي:

◀ ما ذكره إسلامبولي بأنّ الشّمس ليس لها عقل وبالتالي فهي لا تسجد، كما أنّها غير مكلفة فكيف يقبل منها السجود؟، فهذا الاعتراض الغريب في الحقيقة فيه تكذيب للحديث، وتكذيب لكتاب الله عزّ وجل الذي نطق صراحة بسجود الشّمس والقمر وغيرها من المخلوقات قال تعالى

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ

وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ، مِنْ مُّكْرِمٍ

إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ [الحج: 18] قال ابن كثير " يخبر تعالى أنّه المستحقّ للعبادة وحده لا

شريك له، فإنه يسجد لعظمته كل شيء طوعا وكرها وسجود كل شيء مما يختصّ به، كما

قال: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَنْفِيوْا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ

﴿٤٨﴾ [النحل: 48] . وقال هاهنا: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ﴾

أي: من الملائكة في أقطار السموات، والحيوانات في جميع الجهات، من الإنس والجنّ والدواب والطيّر" (1).

1 - ابن كثير، التفسير، ج: 10، ص: 24.

فالخلاف قد يكون في تأويل معنى السجود، أمّا أن يكون في أصل السجود فالسجود ثابت في كتاب الله - عزّ وجل - فكيف يُنكر ما ورد في كتاب الله؟!، ثم إن هذا القول الذي أنكر به صاحبه ما ورد في الكتاب والسنة هو ناتج في الحقيقة عن سوء فهمه للحديث، بحيث فهم من سجود الشمس أنّها تسجد كما يسجد البشر، ولا يلزم من إثبات السجود لها أن يكون كسجود الأدميين قال النووي: "وأما سجود الشمس فهو بتمييز وإدراك بخلق الله تعالى فيها" (1) قال الإمام الطوفي (2): "ووصف الشمس بالسجود، وخطابها من الحقائق الإلهية التي لا يستقلّ العقل بدركها فيجب تلقّيها عن أصحاب الشرائع بالقبول" (3).

◀ وأما قولهم إنّ الحديث يعارض الواقع والحقيقة؛ لأنّ الشمس لا تغيب عن الأرض، لأنّها ما إن تغرب في قطر من أقطار الأرض إلا وتشرق على قطر آخر، فهي لا تغيب عن الأرض أصلاً كيف نقول أنّها تسجد عند العرش؟

فالجواب عنه أنّ عدم العلم بالشيء لا يعني عدم وجوده، وقد أخبرنا الله أنّ الشمس تسجد، والأشجار تسجد، والجبال تسجد، ومع أنّنا لا ندرك ذلك فإننا نؤمن به، فهل سجود الشمس التي لم ندرك حقيقتها أغرب من سجود الأشجار التي بين أيدينا؟، ومع ذلك لم ندرك كيفية سجودها، وقد أوجب القرآن الإيمان بما أخبرنا به ولم نفقه معناه قال تعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ

1 - ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 2، ص: 197.

2 - هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطّوّبي الصّرصري، أبو الرّبيع، نجم الدّين أصله من طوف قرية ببغداد ثم قدم الشام فسكنها ثم أقام بمصر مدة واشتغل في الفنون من علماء الحنابلة، له عدّة مصنّفات، منها: الذّريعة إلى معرفة أسرار الشّريعة، الأشباه والنظائر، توفي سنة ست عشرة وسبعمائة (716هـ). ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (بيروت، مط: دار الجيل، د ط، د ت) ج: 2، ص: 154/ الأعلام، الزركلي، ج: 3، ص: 127.

3 - نجم الدين الطوفي، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النّصرانية، تحق: سالم بن محمد القرني (الرياض، مط: مكتبة العبيكان، ط: 1، سنة: 1419هـ) ج: 1، ص: 150.

وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نفَقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾

﴿الإسراء: 44﴾ فكل شيء يسبحه سبحانه ولكننا لا ندرك ولا نفقه هذا التسبيح، فهل عدم معرفتنا بهذا التسبيح يوجب علينا رد الآية؟ فكذلك الشمس والقمر والنجوم والجال، تسجد له ولكننا لا نعرف كيفية هذا السجود ولا حقيقته، والأمور المتعلقة بالله سبحانه لا تُقاس بالعقل؛ لأنّ العقل قاصر عن إدراكها، كما أنّ سجودها لا يلزم منه توقّفها عن الحركة، بل هي مستمرة في حركتها" فليس في الحديث ذكر أنّ الشمس تغيب وتنقطع عن الأرض كلّها، ولا استقرارها عن الحركة كلّ يوم بذاك الموضع الذي كُتب عليها أن تستقرّ فيه ⁽¹⁾.

. أما قولهم إنّ الشمس لا يعلم مستقرّها إلا الله وأنها من أمور الغيب التي لم يطّلع عليها إنس ولا جان، فجوابه أنّ أمور الغيب لا يعلمها إلا الله إلا ما أطلعنا الله عليه في كتابه، أو بواسطة رسوله ﷺ. ، فلا يكون من أمور الغيب بعد أن أعلمنا به بل يصير من المعلوم الواضح حتّى ولو لم تتصوّر عقولنا كيفيته، قال تعالى ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَسُولٍ

فَأَنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ ﴿الجن: 26/27﴾

وأما دعوى أنّ الحسّ يشهد لدوران الشمس فحسبُ القارئ العاقل الحُكم عليها! فإنه لا يُعلم أنّ عالماً فلكياً معتبراً ممن يقول بصحة النموذج الشمسي قال إنّ دليل صحّة ما ذهب إليه هو الحسّ والمشاهدة، فالحسّ والمشاهدة يدلّان على دوران الشمس وثبوت الأرض لا العكس كما ادّعه ⁽²⁾.

¹ - عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، (بيروت، مط: عالم الكتاب، د ط، د ت) ص: 295.

² - ينظر: عيسى النعمي، دفع دعوى المعارض العقلي عن الأحاديث المتعلقة بمسائل الاعتقاد، ص: 687.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

1. يتبين من خلال ما سبق أن حديث سجود الشمس تحت العرش، وغيرها من الأحاديث المتحدثة عن الأمور الغيبية، إذا ثبتت بالسند الصحيح عنه . ﷺ . يجب الإيمان بها والتصديق والإذعان لها، وقد اتفق الشيخان على إخراج الحديث، فلا يجوز معارضة الحديث بحجج عقلية، ومعلوم أن العقول تختلف وتتفاوت، والعقل لا إدراك له في أمور الغيب، كيف وقد شهدت له آيات كثيرة من كتاب الله عز وجل قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج:18] وقال تعالى ﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [الرحمن: 6]، فمن صدق هذه الآيات عليه التصديق بما ثبت عن . ﷺ . .

2 أننا لو قلنا إنَّ السجود هاهنا المراد به الخضوع والانقياد لأمر الله كما ذهب إليه بعض المفسرين⁽¹⁾ فإنَّ هذه الاعتراضات لا ترد على الحديث؛ لأنَّ الشمس تخضع لله لا تحتاج إلى المغيب ولا إلى الذهاب، والذي يظهر أنَّ السجود سجود حقيقي خاص بها قال ابن كثير: " وسجود كل شيء مما يختص به"⁽²⁾ ، وقال النووي: " وأما سجود الشمس فهو بتميز وإدراك بخلق الله تعالى فيها"⁽³⁾ ، وعليه فحمل الحديث على المعنى الحقيقي أولى وذلك من عدة وجوه:

¹ - ينظر: الرّازي، مفاتيح الغيب، (بيروت، مط: دار الفكر، ط: 1، سنة: 1401هـ / 1981م)، ج: 23، ص: 20/ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 17، ص: 226/ العصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، (باكستان، مط: المجلس العلمي السلفي، د ط، سنة: 1406هـ / 1986م) ص: 112.

² - ابن كثير، تفسير القرآن، ج: 11، ص: 24.

³ - النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 2، ص: 197.

. أن حمل اللفظ على الحقيقة متى أمكن ذلك، أولى من حمله على المجاز، ولا مانع هنا من حمله على الحقيقة.

. يشهد لهذا قوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغْ بِمَجْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا

غَفُورًا ﴿٤٤﴾ [الإسراء: 44] فإذا كنا لا نفقه التَّسْبِيحَ، فلا نفقه حقيقة السَّجود وكيفيته، وكأن الآية تشير إلينا بعدم البحث في معاني هذه الأشياء لأننا لن نفقهها.

. ومما يشهد أيضا لإرادة المعنى الحقيقي ما ورد في الحديث من ألفاظ صريحة منها قوله . ﷺ . " تذهب " وتستأذن " وتسجد تحت العرش " ولو أراد المجاز لكتفي بلفظ السَّجود.

. أن الشمس والقمر والنجوم وغيرها خاضعة لله في كل وقت وحين، فلما خصَّص الشمس بالسجود عند العرش دلَّ على أنه معنى زائد على الخضوع والانقياد.

. قوله ﷺ كما ورد في رواية مسلم "ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا" فيه إشارة إلى أن هناك من يستنكر هذا الأمر، وهذا دليل واضح على أن ذهابها وسجودها حقيقة، ولو لم يكن كذلك لما أشار إليه، إذ الخضوع لا يمكن أن يستنكره أحد.

3 . أن الشمس تذهب وتسجد دون أن يقتضي ذلك توقُّفها أو تواربها عن الأعين، إذ مقياس الآخرة غير مقياس الدنيا، ومما يشهد لهذا التوجيه حادثة الإسراء والمعراج، وقد أُسريَّ به . ﷺ . إلى المسجد الأقصى، وعُرج به إلى سبع سموات يقظة لا مناما، ورأى ما رأى من مناظر في الجنة، والتقى

بالأنبياء عليهم السلام بحسب منازلهم⁽¹⁾، ولو كان مقياس الوقت هو نفسه ما كفته آلاف السنين

للقيام بهذه الحادثة العظيمة، ومما يزيد هذا وضوحاً قوله تعالى ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ

لِمَمَّا تَعُدُّونَ﴾ ﴿٤٧﴾ [الحج: 47].



¹ - قال ابن كثير "والدليل على هذا قوله عز وجل ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ ﴿١﴾ [الإسراء: 1] فالتسبيح إنما يكون

عند الأمور العظام، ولو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظماً، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتد جماعة

من كان قد أسلم. وأيضاً فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد قال جل شأنه ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ ينظر: ابن كثير

، تفسير القرآن، ج: 8، ص: 432.

المبحث الثاني: طلوع الشمس من مغربها

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

. عن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله ﷺ . قال: " لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون، فيومئذ ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا حَيْرًا﴾ [الأنعام : 158] ⁽¹⁾

. عن عبد الله بن عمرو، قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول الآيات خروجا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبها، فالأخرى على إثرها قريبا» ⁽²⁾

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

هذا الحديث متعلق بأشراط الساعة الكبرى، وهو من أشهر الأحاديث المنتشرة بين علماء المسلمين وعامتهم في هذا الباب، ومع اشتهاره من طرق كثيرة، من رواية الثقات الأثبات في مصنفات الإسلام المشهورة كالصحيحين والسنن وغيرها من كتب السنة إلا أن بعض الكتاب المعاصرين ردّ هذا الحديث بحجة أنّ فيه ما يخالف القرآن وأنه معارض للحقيقة والواقع.

¹ - أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، سورة الأنعام، باب قوله تعالى ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾، رقم (4636)، وأخرجه مطولا

في كتاب: الرقاق، باب: طلوع الشمس من مغربها، رقم (6506)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب الزمن الذي لا يقبل الإيمان، رقم (157).

² - أخرجه ومسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في خروج الدجال ومكته في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور رقم (2941).

1. معارضة الحديث للقرآن الكريم:

قالوا إنّ الآية الواردة في نهاية الحديث، من المتشابهات التي لا يعلمها إلا الله، قال نيازي: " وهذا الكلام ليس مصدره رسول . ﷺ . لأنه يعلم أنّ الآية التي نحن بصددّها من الآيات التي لا يؤوّها المؤمنون، بل يحاول تأويلها الذين يقول عنهم الله في الآية الكريمة ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ ۗ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: 7].

2. أنه معارض للواقع والعلم الحديث:

وذلك لأنّ العلم أثبت أنّ الشمس ثابتة في مكانها لا تتحرك، ومن وضع الحديث ونسبه إلى الرسول . ﷺ . كان يعتقد أنّ الشمس هي التي تدور من الشرق إلى الغرب، فتخيّل أن يعكس هذا القرص الصّغير حركته من الغرب إلى الشرق، قال نيازي عز الدين: " إذا فكيف تعود الشمس من المشرق إلى المغرب إذا كانت من الأساس لم تتحرك، المحدث أوقع نفسه في ورطة كبيرة، لكن على الأقل كشف لنا عن دليل كذبه على الرسول لأنّه كان يقول كلاماً لا يدرك مداه، وأنّه مع استمرار الأيام تقدّم العلوم ظهور المكتشفات الحديثة سينكشف أمره".⁽¹⁾

ثم جزم بعد ذلك باستحالة نسبة هذا الحديث إلى الرسول . ﷺ . فقال متسائلاً " إذا هل تريدونا أن نصدّق أنّ الرسول . ﷺ . قال عكس الحقيقة وعكس العلم، وخالف ربّه وحاول أن يؤول آية من

¹ - نيازي، دين السلطان، ص: 295.

الآيات المتشابهة، فأدخل نفسه من ضمن الذين في قلوبهم زيغ، أستغفر الله من كلّ ذنب عظيم ولا حول ولا قوّة إلا بالله، هناك استحالة تامة أن يكون الرسول هو صاحب هذا الحديث. (1)

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

إنّ حديث طلوع الشمس من مغربها في آخر الزّمان من أشهر أحاديث علامات الساعة الكبرى، ولا يمكن الطعن فيه بمجرد توهمات عقلية، أما ما استدلّ به الطّاعن في الحديث فيمكن مناقشته بما يلي:

◀ أما قوله إنّ الآية الواردة في نهاية الحديث من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله، فإنّ أهل العلم اختلفوا في الآيات المتشابهة هل يعلم تأويلها الرّاسخون في العلم أو لا يعلمون؟ وذلك لاختلافهم في الوقف على قوله تعالى ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران: 7]. هل "الراسخون" معطوف على اسم الله، فيكون الرّاسخون يعلمون تأويل المتشابه منه، أم أنّه رفع بالابتداء فيكون مقطوعاً عن الكلام الأوّل فيكون الله . عزّ وجل . المنفرد بعلم المتشابه. (2)

. وعلى القول بأنّ متشابه آي القرآن لا يعلم تأويله إلا الله وحده فإنّ هذه الآية خارجة عن الخلاف لأنّ الذي بيّن معناها ليس الرّاسخون في العلم، بل هو الرسول . ﷺ . بوحى من الله . عزّ وجل . ومعلوم أنّ السنّة وحي مثلها مثل القرآن فالواجب قبول الأحاديث المفسّرة لمتشابه القرآن إذا ثبت

1 - نيازي، دين السلطان ص: 296.

2 - ينظر: الخلاف في المسألة في : الطبري، تفسير لطبري، ج: 5، ص: 217/ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج: 1، ص: 403/ القرطبي، تفسير القرطبي، ج: 5، ص: 25/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 3، ص: 13/ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 3، ص: 164/ الشنقيطي، أضواء البيان، ج: 1، ص: 192.

سندها إلى رسول الله ﷺ . الذي لا ينطق عن الهوى، وهذا القول في الحقيقة ناتج عن إنكار نيازي للسنة ابتداء، فلا يُستغرب منه ؛ لأنه من فرقة من يسمّون أنفسهم بالقرآنيين الذين ينكرون جميع ما ورد في السنّة ممّا لم يرد في القرآن ابتداء، ثمّ يبحثون عن حجج عقلية، أو نقلية لرد كل حديث ورد فيه ما لم يرد في كتاب الله .

◀ وأما قوله إنّ الشمس لا تتحرّك، فكيف يُتصوّر طلوعها من مغربها؟ فالجواب عن هذا من وجوه:

. أنّ مسألة دوران الأرض و استقرار الشمس لا تعدّ أمراً متفقاً عليه، وقد قال الكثير من العلماء بضدّ ذلك، وقد بينت وكالة الفضاء الأمريكية أنّ للشمس حركة حول نفسها تدور بنفس اتجاه دوران الأرض، وأنّ لها حركة حول مركز المجرة، كما ذكرت الموسوعة الأمريكية أنّ الشمس وكل النجوم تدور حول مركز المجرة⁽¹⁾، بل إنّ القرآن يشهد بعكس ما ادّعه قال تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ [يس: 38] وقال سبحانه ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس: 40] قال ابن كثير: "كلّهم يسبحون أي: يدورون في فلك السماء. قاله ابن عباس، وعكرمة، والضّحّاك، والحسن، قتادة، وعطاء الخراساني"⁽²⁾. وقد أضاف القرآن الكريم للشمس عدّة أفعال منها: الطلوع، الشروق والغروب وأنها تجري وأنها دائبة، قال تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۗ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: 33] قال القرطبي: "أي في إصلاح ما يصلحانه من التّبات وغيره، والدّؤوب مرور الشيء في العمل على عادة جارئة.

¹ - ينظر: أحمد يوسف الحاج، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم السنة المطهّرة (دمشق، مط: مكتب ابن حجر، ط:

2، دت) ص: 368.

² - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 11، ص: 364.

وقيل: دائبين في السير امثالاً لأمر الله، والمعنى يجريان إلى يوم القيامة لا يفتران⁽¹⁾. وقال تعالى

﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ﴿٢٩﴾

[لقمان:29] وقال تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ۚ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ﴿٣٨﴾

[يس: 38] قال ابن كثير: قيل المراد أنهما يجريان إلى انقطاعهما بقيام الساعة،..وقيل إلى مستقرهما وهو تحت العرش⁽²⁾. وقال السعدي أي: كل من الشمس والقمر، يسيران في فلكهما ما شاء الله أن يسيرا، فإذا جاء الأجل، وقرب انقضاء الدنيا، انقطع سيرهما، وتعطل سلطانهما، وحسف القمر، وكورت الشمس، وانتشرت النجوم⁽³⁾.

وقال تعالى ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوُّرًا عَنْ كُهُفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِمَّ

ذَاتَ ﴿١٧﴾ [الكهف: 17] فالحاصل أنّ هذه الأفعال التي أُسندت إلى الشمس من شروق

وغروب وجريان وطلوع كلّها دالة على الحركة وعدم الثبات، وفي المقابل لا يوجد آية تدلّ على ثبوتها وعدم حركتها، فلا يصحّ العدول عن ظواهر الكتاب والسنة إلا بدليل قاطع يصرفها عن ظاهرها.

ثمّ إنّ هذه النظرية - دوران الأرض وثبوت الشمس - لم تصل إلى رتبة القطعيّات المسلّم بها؛ باعتراف الفلكيين أنفسهم، يقول الإيطالي فابريسيو بونولي⁽⁴⁾: (بالرغم من كلّ ما تمّ الكشف عنه في حقل البحوث العلميّة؛ فإنّ الحوارات والمناقشات التي تناولت كلا النظريّتين " مركزية الأرض ، ومركزية

1 - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 9، ص: 367.

2 - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 8، ص: 103.

3 - ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص: 1432.

4 - فابريسيو بونولي: أستاذ تاريخ العلوم الفلكية في جامعة بولونيا - إيطاليا يشغل منصب مدير متحف الإسبيكولا، ومنصب

نائب رئيس المجمع الفلكي الإيطالي، ورئيس تحرير مجلة العلوم الفلكية الصادرة باللغة الإيطالية. اهتم بدراسة الفيزياء الفلكية =

الشمس " قد شغلت فترة طويلة من الزمن، كما أنّ الصّراع القائم بين النظامين لم يكن وليد أسباب سياسية ودينية فقط ؛ بل كان في المقام الأوّل منحصرًا في صعوبة إثبات تفوّق أحد النظامين على الآخر ، وخاصةً تفوّق النظام الجديد على ذلك النظام الذي ظلّ مسيطرًا لفترةٍ طويلةٍ من الزمن ، والذي اعتمد في صياغة التوقعات، إضافةً إلى أنّ النظام الجديد لم يتمكّن بعدُ من إزاحة النظرية الفيزيائية القديمة التي اعتمدها النظام الأوّل . وحتى الفلكي المعروف " تيكوبرينج " الذي اهتم بشكل خاص بدراسة الآلات والوسائط الفلكية لدى القدماء...فضّل هو الآخر أن يختار طريقًا وسطًا بين النظامين أكثر تطابقًا والواقع العلمي للبحوث . لذلك بقيت الأرض تحتلّ مركز الكون ثابتة دون حركة ؛ بينما تقوم الشمس بالدوران حولها⁽¹⁾.

. لو افترضنا أنّ الشمس ثابتة لا تتحرك فإنّ هذا الأمر . طلوع الشمس من مغربها . هو علامة من علامات الساعة الكبرى، والله . عز وجل . الذي جعل لنا الشمس تطلع من المشرق قادر على جعلها من المغرب، فإنه سبحانه وتعالى القائل ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: 117].

وقد جاء في كتاب الله ما يدلّ على هذا الحديث قال تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا

إِيمَانُهَا تَكُنَّ ءَامَنَةً مِّن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام : 158]

= مختصر تاريخ الفلك (79) نقلا من عيسى النعيمي، دفع دعوى المعارض العقلي عن الأحاديث المتعلقة بمسائل الاعتقاد، ص: 686.

¹ - ينظر: مختصر تاريخ الفلك . فابريسيو (93 - ضمن قراءة في سطوح السماء لمجموعة من الباحثين الإيطاليين) نقلا من دفع دعوى المعارض العقلي عن الأحاديث المتعلقة بمسائل الاعتقاد، ص: 687.

وقد بينت الآثار الصحاح عند الشيخين وغيرهما أنّ الآية التي معها هذا الشرط هي طلوع الشمس من المغرب، وهذا يدلّ على أنّ الإشارة بقوله "أو يأتي بعض آيات ربك" إنّما هي إلى طلوع الشمس من مغربها. (1)

وإذا كان سجد الشمس من مغربها مستغرباً أو مستحيل؛ لأنها ثابتة لا تتحرك فلماذا لم تستغربوا قوله تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا

يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ [النمل: 82] أليس كلام الدابة من أشراط الساعة الكبرى؟ أليس كلامها من خوارق العادات المألوفة!!؟ فلماذا لم تقولوا كيف تتكلم الدابة؟ أم أنّ إنكار السنة بالكلية هو من جعل أوزون وأمثاله ينكرون كلّ هذه النصوص انطلاقاً من أصلهم في الاكتفاء بالقرآن في تقرير الأحكام الشرعية.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

إنّ حديث طلوع الشمس من مغربها علامة عظيمة من علامات الساعة الكبرى، التي يؤمن بها كل مؤمن، وخروج الشمس على نظامها المألوف لدى البشر هو أمر غريب بالنظر إلى عقول البشر، أما بالنظر إلى قدرة الله - عزّ وجل - فلا يعتبر شيئاً لأنه القائل ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: 117].

¹ - ينظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج: 2، ص: 366/ ابن كثير، تفسير القرآن، ج: 6، ص: 227/ الطاهر ابن عاشور، ج:

. فالحديث صحيح في أعلى درجات الصحة، بل بين ابن كثير أنه متواتر فقال معلقاً عليه "فهذه الأحاديث المتواترة مع الآية الكريمة دليل على أن من أحدث إيماناً أو توبة بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل منه، وإنما كان كذلك والله أعلم لأن ذلك من أكبر أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على اقترابها ودنوها".⁽¹⁾

. إن هذا الأمر لا يعتبر مستحيلاً في قدرة الله فمن خلق الشمس وجعلها تطلع من المشرق لا يعتبر طلوعها من المغرب شيئاً بالنسبة إلى قدرته سبحانه، وبهذا يتبين موافقة الحديث للنقل والعقل، ولو كان في الحديث ما يمكن أن يستنكر عقلاً أو حساً لما جاز رده لأنه متعلق بأشراط الساعة التي لا علم لنا بها، فكيف يستنكر العقل ما ليس له به علم أصلاً؟!!



¹ - ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تحقق: محمد أحمد عبد العزيز (بيروت، مط: دار الجيل، د ط، سنة: 1408هـ/ 1988م) ج: 1، ص: 222.

المبحث الثالث: السؤال عن وقت قيام الساعة

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

. عن عائشة . رضي الله عنها . قالت : كان رجال من الأعراب جفاةً، يأتون النبي . صلى الله عليه وسلم . فيسألونه : متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول : «إن يعيش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم» ، قال هشام : يعني موتهم⁽¹⁾

. وفي رواية لمسلم " عن أنس . رضي الله عنه . أن رجلاً سأل . رسول الله صلى الله عليه وسلم . : متى تقوم الساعة؟ وعنده غلام من الأنصار، يقال له محمد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن يعيش هذا الغلام، فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة»⁽²⁾

. وعن عبد الله بن عمر . رضي الله عنهما . قال : صلى بنا رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ذات ليلة، صلاة العشاء، في آخر حياته، فلما سلم قام فقال : «أرأيتم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد» قال ابن عمر : فَوَهَل النَّاسُ فِي مَقَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث، عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن⁽³⁾

1 - أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت، رقم (6511) / ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، رقم (2952).

2 - أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قرب الساعة، رقم (2953).

3 - أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب السمر في العلم، رقم (116) / ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قوله . ﷺ . : «لا تأتي مائة سنة، وعلى الأرض نفس منقوسة اليوم»، رقم (2537) واللفظ لمسلم.

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

اعترض على هذا الحديث الكثير من المعاصرين، ورأوا أنه كذب صريح على رسول الله ﷺ . فكيف يُتصوّر أن يحدّد النبي ﷺ . وقت قيام الساعة ومعلوم لدى كلّ مسلم أنّ الله . عزّ وجل . أكّد في كتابه الكريم أنّ أمر الساعة لا يعلمه إلا الله، ولو لم يذكر الله . عزّ وجل . ذلك صراحة في كتابه لكان الواقع المشاهد كافياً في تكذيب هذا الحديث، أما ما استدلوا به من أدلّة على ضعف هذا الحديث فهي:

1. تعارضه مع القرآن:

قالوا : إنّ الحديث يعارض الكثير من الآيات القرآنيّة الصّريحة الدّلالة على أنّ النبي ﷺ . لا علم له بالسّاعة، منها قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: 34] وقال تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْدُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [فصلت: 47] وقال ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف: 85]

قال صبحي منصور: " كلّها آيات تؤكّد أنّ النبي لا يعلم الغيب، وأنّ علم الساعة لله وحده وكانت تكفي آية واحدة ولكنهم سألوا النبي مرّة ومرّات عن الساعة ومع ذلك لم يبادر بالإجابة بأن يقرأ

عليهم الآيات السابقة، وإنما انتظر الوحي، وكان الوحي ينزل دائماً بنفس الإجابة، وهي أن علم الساعة لله وحده وأن النبي لا يعلم الغيب". (1)

ثم قال مستهزئاً: " هذه الأحاديث الضالّة تضعنا في موقف اختبار أمام الله تعالى، فإمّا أن نصدّق القرآن ونكذّبها، وإمّا أن نكذّبها ونصدّق الله وقرآنه ولا مجال للتوسّط". (2)

قال إسلامبولي " من المعلوم بالضرورة أنّ علم الساعة قد اختصّ الله به لنفسه فلم يخبر به أحداً قال

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ ﴿٣٤﴾ ﴿لقمان: 34﴾. وقد علّم الله رسوله الجواب فقال له:

عندما يسألك أحد عن وقت قيام الساعة فقل ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ ﴿٣٤﴾ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ

﴿[الأحزاب: 63]﴾. ممّا يؤكّد أنّ هذا الحديث وأيّ حديث يتعلّق بتحديد علم الساعة فهو

باطل وكذب وافتراء على الله ورسوله... ولماذا أخرجه مسلم في قرب الساعة". (3)

وقال نيازي عز الدين تعليقا على النصوص السابقة: فهل تحتاجون إلى دليل على أن الرسول لا يمكن أن يكون صاحب هذه الأحاديث؟ ونصّ القرآن أمامكم يقول علنا بلسانه لكلّ الناس وفيه

الخبر اليقين: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْ قَهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ ﴿[الأعراف: 187]﴾.

2. تعارضه مع الواقع: قالوا إنّ ربط قيام الساعة بوفاة الغلام، أو بمرور مائة سنة يستلزم قيامها

منذ زمن بعيد وإلاّ كان الحديث كذباً وافتراءً على الله ورسوله قال أوزون: " إذا كان ذلك الحديث

1 - صبحي منصور، القرآن وكفى مصدرا للتشريع، ص: 52.

2 - المرجع السابق، ص: 53.

3 - إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 280.

يتحدث عن ساعة أولئك الأعراب فلا حاجة لنا به . خصوصا أنه لم يتمّ التحقق من حال أولئك الأعراب بعده . وإذا كان يفيد قيام الساعة للناس أجمعين فإن فيه من الخطأ ما كان يتوجب على الإمام البخاري عدم اعتماده في صحيحه احتراما للعلم والعقل!!⁽¹⁾

قال إسلامبولي: " فمن الملاحظ من الجواب أنّ الحديث قد حدّد قيام الساعة خلال فترة زمنية لا تتجاوز أن يبلغ الغلام سنّ الهرم أي ما يقارب ستين عاما !! وقد مضى على قول الحديث ألف وأربعمئة عام ولم تقم الساعة!! فهناك احتمالان :

أ. أنّ الغلام لم يبلغ إلى الآن سنّ الهرم!!

ب. أو أنّ الساعة قامت ولم ندر نحن ، ونكون قد نفذنا من الحساب!! ".⁽²⁾

قال صبحي منصور : " وعلى ذلك فليدّ أنّ الساعة قد حدثت في حياة ذلك الغلام دون أن ندري .. أو ربّما يكون ذلك الغلام حيا حتّى الآن .. ".⁽³⁾

قال أبورية: " وبذلك يكون قيام الساعة قبل انقضاء القرن الأول الهجري كما نصّ الحديث! فما قول عبّاد الأسانيد؟! لعل أحدهم ينبري فيقول: وما يدريك لعلّ الغلام لم يدركه الهرم إلى الآن!! ".⁽⁴⁾

¹ - أوزون، جناية البخاري، ص: 148.

² - إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 280.

³ - صبحي منصور، القرآن وكفى مصدرا للتشريع، ص: 110.

⁴ - أبورية، أضواء على السنة المحمدية ، ص: 201.

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

إنَّ أمر قيام الساعة ممَّا استأثر الله بعلمه باتِّفاق العلماء، لا يعلمها نبيُّ مرسل، ولا ملك مقرب، وقد نطق القرآن بذلك صراحة في الكثير من الآيات، بل إنَّ أفضل الملائكة جبريل عليه السلام قد سأل عنها أفضل الخلق محمد ﷺ. فأجاب بقولته المشهورة " ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".⁽¹⁾، ولمعرفة الصحابة رضي الله عنهم . باللغة وفهمهم لكلام الله ، وكلام رسوله ﷺ . لم يسألوا عنها ، وإنَّما كان يسأل عنها الأعراب كما بيّنت ذلك عائشة رضي الله عنها . فكان النبي ﷺ يجيبهم بما يفقهون، والحديث الذي رواه الشيخان في ذلك صحيح لا مطعن فيه، ولا تعارض بينه وبين النصوص القرآنيّة، ولا بينه وبين الحسنّ والواقع، وإنَّما الخلل في فهم المعترضين على الحديث وبيان ذلك ما يلي:

◀ أن الآيات القرآنيّة التي استدلّوا بها على اختصاص علم الساعة بالله وحده، هي مسألة متفق عليها بين أهل العلم سلفاً وخلفاً، والحديث لم يأت بما يناقضها حتى نستدلّ بها على ضعفه، والمراد بالساعة في الحديث ساعة أولئك الأعراب يدلّ على ذلك:

. رواية عائشة عند الشّيخين «إنَّ يعيش هذا لا يدركه الهرمُ حتى تقوم عليكم ساعتكم» وهي صريحة في ذلك، فتحمل رواية أنس «إنَّ يعيش هذا الغلامُ، فعسى أن لا يدركه الهرمُ حتى تقوم الساعة». على رواية عائشة، قال ابن كثير: " وهذا الإطلاق في هذه الروايات محمول على التقييد بـ "ساعتكم" في حديث عائشة، رضي الله عنها".⁽²⁾ وقال القاضي عيّاض: " وهذا يدلّ على أنّ المراد

1 - جزء من حديث عمر المشهور أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر، وعلامة الساعة، رقم (8).

2 - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 6، ص: 474.

بساعتكم : موتكم ".⁽¹⁾ فالآية تتكلم عن الساعة الكبرى، بينما الحديث يُحمل على ساعة أولئك الأعراب، وكأنّ النبي ﷺ . أراد أن ينبّههم على أن يشتغلوا بساعتهم، وأن يحرصوا على ما ينفعهم، لأنهم إن ماتوا فقد قامت قيامتهم، وأما الساعة الكبرى فهي في علم الله . عز وجل . وحده كما أنها أقرب من لمح البصر كما نطقت به الآيات، ولا شك أنّ الذي يسمع هذه الآيات الصريحة الدلالة ثم

يسأل عن الساعة بعد قوله تعالى ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ ۗ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ۗ﴾ ﴿٦٣﴾

[الأحزاب: 63] وقوله تعالى ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٧٧﴾ [النحل: 77] لا بدّ أن يُجاب عنه بجواب من الواقع ليكون أقرب

للفهم ، وأدعى للامتنال.

. ومما يدلّ أيضا على أنّ النبي ﷺ . لم يكن يقصد الساعة الكبرى كما فهمه المعترضون على الحديث رواية عائشة . رضي الله عنها . أنّ الذين كانوا يسألون النبي ﷺ . هم أعراب جفاة، فكان يجيبهم النبي ﷺ . بذلك، قال **الداودي**: " هذا الجواب من معارض الكلام فإنّه لو قال لهم لا أدري ابتداء مع ما هم فيه من الجفاء وقبل تمكن الإيمان في قلوبهم لارتابوا، فعدل إلى إعلامهم بالوقت الذي ينقضون هم فيه، ولو كان تمكن الإيمان في قلوبهم لأفصح لهم بالمراد"⁽²⁾ قلت: يدلّ على هذا الجمع أنّ جبريل . عليه السلام ؟. لما سأله عنها أجابه النبي ﷺ . بقوله . "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".

. بل مما يزيد ذلك وضوحا تفسير عبد الله بن عمر وهو راوي الحديث قال ابن عمر: فَوَهَّلَ النَّاسَ فِي مقالة رسول الله . صلى الله عليه وسلم . تلك، فيما يتحدّثون من هذه الأحاديث، عن مائة سنة،

¹ - القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، ج: 8، ص: 508.

² - ابن حجر، فتح الباري، ج: 11، ص: 371.

وإنما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» يريد بذلك أن ينحرم ذلك القرن، فهذا الصحابي الجليل يفسر مراد النبي ﷺ. وبنبه على الفهم الخاطئ الذي قد ينقذ في فهم السامع له، وهذا التنبيه منه. رضي الله عنه. كان قبل رواية البخاري له، فلم يبق من مجال ليقول لنا إسلامبولي أنّ الشراح قد تعسّفوا في تأويل الحديث تفاديا للطعن في الصحيحين، وهل عبد الله بن عمر تعسّف في تأويل الحديث أيضا لصالح الشيخين؟!!

◀ وأما قولهم إنّ الحديث يكذّبه الواقع والحسن، بدليل أنّ القيامة لم تقم على رأس مائة سنة، ولا بعد هرم الغلام. فهل البخاري الذي روى هذا الحديث بعد أكثر من قرنين على الأقل من قوله جاهل وغبيّ إلى هذا الحد، ألم يكن يعلم أنّ المائة سنة قد مرت وأنّ الغلام هرم، فلماذا لم يسقط هذا الحديث من صحيحه حتى يتجنّب هذه الأقاويل؟ ولو كان الشيخان من أكذب المؤلّفين لأسقطا هذه الروايات من كتبهم لأنّ كذبهم سيتجلّى لكل من له عقل!! ثمّ لو أخطأ الشيخان ورواه الحديث كيف لعلماء الإسلام قاطبة أن يشرحوا هذا الحديث ويبينوا معناه دون أن ينبّه أحد منهم على ضعفه خصوصا أنّ وضعه بالمعنى الذي ذكره يظهر حتّى لمن له أدنى فهم، أم أنّ علماء الإسلام اجتمعوا على تصديق الحديث وتكذيب الآيات القرآنيّة الكثيرة الدالة على خلافه.

فالحديث رواه الشيخان وغيرهما مع علمهما بكلّ هذا؛ لأنّ الحديث ثابت من حيث السند برواية الثقات الأثبات، وأما متنه فالمراد بالحديث الأول ساعة أولئك الأعراب، والمراد بالثاني انحرام قرن الصحابة. رضي الله عنهم. ففي الحديث الثّاني معجزة على نبوة محمد ﷺ. قال النووي: " هذه الأحاديث قد فسّر بعضها بعضها وفيها علم من أعلام النبوة والمراد أنّ كلّ نفس منفوسة كانت تلك الليلة على الأرض لا تعيش بعدها أكثر من مائة سنة سواء قل أمرها قبل ذلك أم لا وليس فيه نفي عيش أحد يوجد بعد تلك الليلة فوق مائة سنة".⁽¹⁾ وقال ابن حجر: " قلت ووقع في الخارج كذلك

¹ - النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 16، ص: 90.

فلم يبق مَن كان موجوداً عند مقاتله تلك عند استكمال مائة سنة من سنة موته أحد وكان آخر من رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موتاً أبو الطفيل عامر بن واثلة كما ثبت في صحيح مسلم⁽¹⁾.
 . وأما قول إسلامبولي لماذا أخرجه مسلم في قرب الساعة إن كان المراد بالساعة في الحديث ساعة السائل؟ فجوابه أن ساعة السائل قريبة، كما أن الساعة الكبرى قريبة، ألم يقل الله . عز وجل .

وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

[النحل: 77] فهل يكذب إسلامبولي ما نطقت به الآية صراحة، وغيرها من النصوص القرآنية الدالة على قرب قيام الساعة، أم يكتفي بتكذيب الحديث فقط؟! !!

المطلب الرابع: رفع الإشكال

. إن العلم بوقت قيام الساعة أمر غيبي قد استأثر الله بعلمه سبحانه وحده، لا يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب، كما دلت عليه النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الكثيرة، وإنما أخبرنا النبي . ﷺ . بعلماتها الدالة على قربها، وهذا من رحمة الله . عز وجل . ورأفته بعباده.

. الحديث الوارد في السؤال عن الساعة متفق على صحته، فقد رواه الشيخان وغيرهما، وله شواهد كثيرة، كما أن منته لا يعارض القرآن ولا الواقع كما ادّعه المعارضون عليه، وقد فهم معناه الصحابة والتابعون والأئمة المهتدون، بل قد نبّه عبد الله بن عمر على هذا الفهم الخاطئ للحديث وبيّن معناه الصحيح فلا مجال لردّه ولا للتشكيك فيه.

. أن جواب النبي . ﷺ . فيه تعليم للدعاة على التفريق في الإجابة عن السؤال الواحد وذلك باختلاف الأشخاص، وأحوالهم فقد أجاب النبي . ﷺ . جبريل لما سأله عن الساعة بقوله " ما المسؤول عنها

¹ - ابن حجر، فتح الباري، ج:10، ص: 572.

بأعلم من السائل" بينما أجاب الأعراب بقوله «إن يعيش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم»، فقد وردت آيات كثيرة تدلّ على عدم علم النبي ﷺ . بوقت الساعة ومع ذلك بقي الأعراب يسألونه عنها، فأجابهم بذلك الجواب لعلمه بجفائهم، وقلة إيمانهم ولو قال لهم لا أعلم لارتابوا في دينهم والله أعلم.



المبحث الرابع: عذاب القبر ونعيمه

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنه حدثهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنَّ العبد إذا وُضع في قبره وتولَّى عنه أصحابه . وإنه ليسمع قرع نعالهم . أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد صلى الله عليه وسلم، فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً - قال قتادة: وذكر لنا: أنه يفسح له في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس - قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين" (1)

. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال» (2)

. عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال مرَّ النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما فكان

1 - أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ما جاء في عذاب القبر، رقم (1374) / ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت في الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم (2870). مختصراً.

2 - أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: التعوذ من عذاب القبر، رقم (1377) / ومسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يستعاذ منه في الصلاة، رقم (588).

لا يستتر من بوله»، ثم أخذ عودا رطبا فكسر باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: لعله يُخَفَّفُ عنهما ما لم يببسا»⁽¹⁾

. وعن البراء بن عازب . رضي الله عنه . عن النبي ﷺ . قال: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: 27] قال: " نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول:

ربي الله، ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم، فذلك قوله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا

بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: 27]⁽²⁾

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

لقد وردت أحاديث كثيرة في عذاب القبر ونعيمه، ومع ذلك قد أنكر عذاب القبر الكثير من المعاصرين الذين يعولون على الحس ورأوا أنه خرافة تناقلتها الأجيال، أما النصوص الحديثية الواردة فيه فرأوا أنها معارضة لكتاب الله، ومتعارضة فيما بينها، كما أنّ الحسّ والعقل يكذبها، وقد تمسك المبطلون لأحاديث الباب بما يلي:

1. تعارضها مع كتاب الله :

وحتّتهم أنّ الله - عزّ وجل - لم يذكر عذاب القبر في كتابه، بل إنّ النصوص القرآنية تدلّ على ضدّ

¹ - أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب لقبر من الغيبة والبول، رقم (1378)/ ومسلم، كتاب الطهارة، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (292).

² - أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: 27]، رقم (

4699)/ ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت في الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم (2871)، واللفظ لمسلم.

ذلك قال ابن قرناس: "وأهم من ذلك أنه لا يوجد في كتاب الله لا تصريحاً ولا تلميحاً أي ذكر لعذاب القبر، وتأكيد القرآن أنّ الحساب يأتي أولاً ثم يتقرّر مصير الإنسان إما لجنّة أو النار، يجعل من المستحيل أن يكون هناك عذاب في القبر، لأنّ الحساب لا يكون قبل يوم الحساب".⁽¹⁾ وقال نيازي: "ولم يقل الله تعالى عن أي عذاب في القبر أو بعد الموت، للنفس أو للجسد، عن الحياة والبعث مرة أخرى، لأنّ الميّت بحسب منطق الله فقد أصلاً وسائل الإحساس كلّها فينعدم عنده الإحساس بالألم والعذاب أو الوقت أو أيّ إحساس"⁽²⁾ وقد استدللّ لتقرير ذلك بعدة نصوص منها:

. قوله تعالى ﴿كَانَتْهُمْ يَوْمَ يُرَوَّنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ ﴿٣٥﴾ ﴿الأحقاف: 35﴾

لأنّ الإحساس بالوقت ينعدم عند الميّت، فقد يلبث في الموت ملايين السنين وعند البعث يظنّها كانت ساعة من نهار"⁽³⁾.

. وقوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الضَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ ﴿النمل: 80﴾ فلا

الميّت قادر على السّمع ولا الذي فقد حاسة السمع كلاهما لا يسمعان، ثمّ نقول نحن لا بل إنّ الميّت يسمع أصوات نعالهم.⁽⁴⁾

. وقال تعالى ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ﴿١٣﴾ ﴿الأعلى: 13﴾ الله تعالى يقول لا يموت فيها، حتّى

يبقيه في العذاب الدائم، لأنّه إن مات توقّف العذاب.⁽⁵⁾

¹ - ينظر: ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 313.

² - ينظر: نيازي، دين السلطان، ص: 923.

³ - ينظر: المرجع السابق ص: 924.

⁴ - ينظر: المرجع السابق، ص: 924.

⁵ - ينظر: المرجع السابق، ص: 924.

﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ ﴿٣٦﴾ ﴿[النمل: 80] لَآئِهٖ إِنْ قَضَىٰ عَلَيْهِمْ فَمَاتُوا تَوَقَّفَ عَذَابُهُمْ فَلَا يُمَيِّتُهُمْ. (1)

2. تعارض أحاديث الباب:

وذلك لأنَّ أحاديث عذاب القبر تدلُّ على أنَّ الميِّت لا يسمع صرخته الجنَّ والإنس، بينما يدلُّ حديث ابن عباس أنَّ النبيَّ ﷺ سمع صوت الرجلين يعذَّبان في قبورهما قال ابن قرناس: كلَّ الأحاديث التي تقول بعذاب القبر تؤكِّد أنَّ المعذَّب لا يسمعه الثقلان، أي الجنَّ والإنس وليس هناك استثناء لا لرسول ولا لغيره، بينما هذا الحديث يقول أنَّ الرسول سمع صوت "إنسانين يعذَّبان في قبورهما" الحديث يقول بأنَّ الرسول عرف بأتهما يعذَّبان، ولماذا يُعذَّبان، مع أنَّ هذا من علم الغيب والله سبحانه وتعالى ينفي أن يكون الرسول على علم بالغيب ﴿قُلْ لَآ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [الأنعام: 50]. (2)

3. معارضتها للعقل:

قالوا إنَّ الإنسان بعد أن تذهب روحه إلى خالقها، من المحال عقلا أن يشعر بالنعيم أو العذاب، أو أن يُسأل أسئلة فيجيب عنها كما ذكرت الأحاديث فامتنع عقلا ما دلت عليه هذه النصوص، ولتقرير ذلك قال نيازي: "الإنسان الذي يتمَّ تخديره أو ضربه على رأسه يتوقَّف إحساسه بالألم، لأنَّ مركز إحساس الألم قد توقَّف عنده مع أنَّه حيٌّ ولم يمِت بعد، فكيف بالميت الذي زال عنه جلده

1 - ينظر: نيازي، دين السلطان ص: 924.

2 - ينظر: ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 312.

وزالت مراكز الإحساس عنه ، ولم يبق إلا عظاما نخرة، لم يعد فيه شيء حتى يتألم، فالحياة أساس من أجل تواجد الألم، والموت إيقاف له...".⁽¹⁾

4. تعارضها مع الحسّ والعلم المعاصر:

فقد استشكل الذين يعولون على الحسّ والمادّة عذاب القبر وقالوا : إننا نشاهد الميّت جثّة هامدة لا حراك، ولا شعور، ولا إحساس، ولا أثر لشيء من ذلك، فكيف ينالها ذلك؟ وكيف يمكن أن يصحّ ما ذكرت روايات عذاب القبر أنّ الملائكة يجيئون الميّت ويقعدونه، ويسألونه، ويجاوبهم، قالوا : ونحن لو حفرنا على الميّت ما وجدنا شيئاً من ذلك، وهل هذا إلا مخالفة للمشاهدة والحسّ؟ ولا نظنّ دين الإسلام - دين العقل والبرهان - يُجوّز مخالفة الحسّ⁽²⁾ قال أوزون: " وإذا افترضنا أنّ الإنسان حيّ في قبره لأنه يُعذب؛ علماً أنّ ذلك لا يؤيده كتاب الله أو العلم المعاصر؛ فلماذا لا يُنقل لنا ثواب وسرور الصّالحين من أهل القبور؟! ولماذا لا نسأل الله الفرح والغبطة في القبر؟! أم أنّ عذاب القبر والقهر هو مصير كلّ ميّت وعليه الاستعاذة منه؟!؟"⁽³⁾

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

لقد نطقت النصوص النبويّة صراحة على ثبوت عذاب القبر ونعيمه، وهذا من مقتضى عدله سبحانه ورحمته بعباده أن ينعم أبدان أوليائه وأرواحهم ويعذب أبدان أعدائه وأرواحهم، فلا بدّ أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النّعيم واللذة ما يليق به ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقّه، هذا موجب عدله وحكمته وكمال المقدّس، ولما كانت هذه الدار دار تكليف

¹ - نيازي، دين السلطان، ص: 923.

² - ينظر: القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، (باكستان، مط: دار الدعوة السلفية، د ط، سنة: 1406هـ/

1986م) ص: 7.

³ - أوزون، جنابة البخاري، ص: 81.

وامتحان لا دار جزاء لم يظهر فيها ذلك، وأما البرزخ⁽¹⁾ فأول دار الجزاء فظهر فيها من ذلك ما يليق بتلك الدار وتقتضى الحكمة إظهاره فإذا كان يوم القيامة الكبرى وفي أهل الطاعة وأهل المعصية ما يستحقونه من نعيم الأبدان والأرواح وعذابهما فعذاب البرزخ ونيمة أول عذاب الآخرة ونيمةها.⁽²⁾

وقد روى أحاديث عذاب القبر الكثير من الصحابة . رضي الله عنهم . كما في الصحيحين وغيرهما، ونصّ الكثير من أئمة الإسلام على تواترها، وجعلوها من عقائد المسلم التي لا يجوز إنكارها.

وأما جواب ما ادّعوه من اعتراضات على أحاديث عذاب القبر فجوابها كما يلي :

◀ أما قولهم "إنّ القرآن لم يذكر عذاب القبر لا تصريحاً ولا تلميحاً" فليس صحيحاً، فقد أشارت الكثير من الآيات القرآنية إلى عذاب القبر كما بيّن ذلك المفسّرون، في ذلك قال تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ عِيرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١٣] ﴿ الأنعام:

[93]

قال ابن قيّم: "وهذا خطاب لهم عند الموت وقد أخبرت الملائكة وهم الصادقون أنهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخّر عنهم ذلك إلى انقضاء الدّنيا لما صحّ أن يقال لهم اليوم تجزون".⁽³⁾

1 - " البرزخ " : لغة: هو الحاجز بين الشيئين، ينظر: ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث، ج: 1، ص: 118، وفي الاصطلاح: هو ما بين الدّنيا والآخرة وسمى عذاب القبر ونيمة وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ. ينظر: ابن قيّم ، الرّوح (بيروت، مط: دار الكتب العلمية ، د ط، د ط) ص: 73.

2 - المصدر السابق، ص: 74.

3 - المصدر السابق ، ص: 75.

وقال تعالى ﴿ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: 46/45]

وقد احتجوا بهذه الآية على إثبات عذاب القبر وقالوا الآية تقتضي عرض النار عليهم غدوا وعشيا، وليس المراد منه يوم القيامة لأنه قال: "ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب" وليس المراد منه أيضا الدنيا لأن عرض النار عليهم غدوا وعشيا ما كان حاصلًا في الدنيا، وقد ثبت في الدنيا عذابهم وهو الغرق، فثبت أن هذا العرض إنما حصل بعد الموت وقبل يوم القيامة، وذلك يدل على إثبات عذاب القبر في حق هؤلاء، وإذ ثبت في حقهم ثبت في حق غيرهم⁽¹⁾

وقال تعالى ﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [التوبة: 101]

قال الرازي⁽²⁾: "المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه، وعذاب القبر. وقوله: "ثم يردون إلى عذاب عظيم" المراد منه العذاب في الحياة الثالثة، وهي الحياة في القيامة.⁽³⁾

قال الرازي⁽²⁾: "المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه، وعذاب القبر. وقوله: "ثم يردون إلى عذاب عظيم" المراد منه العذاب في الحياة الثالثة، وهي الحياة في القيامة.⁽³⁾

قال الرازي⁽²⁾: "المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه، وعذاب القبر. وقوله: "ثم يردون إلى عذاب عظيم" المراد منه العذاب في الحياة الثالثة، وهي الحياة في القيامة.⁽³⁾

قال الرازي⁽²⁾: "المراد منه عذاب الدنيا بجميع أقسامه، وعذاب القبر. وقوله: "ثم يردون إلى عذاب عظيم" المراد منه العذاب في الحياة الثالثة، وهي الحياة في القيامة.⁽³⁾

¹ - ينظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب (بيروت، مط: دار إحياء التراث، ط: 3، سنة: 1420هـ). ج: 21، ص: 521/

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 18، ص: 364/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم المتان في تفسير كلام

الرحمن، تحق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1423هـ / 2002م) ص: 739/

الشنقيطي، أضواء البيان، ج: 9، ص: 479.

² - هو فخر الدين، محمد بن عمر بن الحسين القرشي، الأصولي، المفسر، كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، له مصنفات كثيرة

منها مفاتيح الغيب في التفسير، والمحصل في أصول الفقه، توفي سنة ست و ستمائة (606هـ). ينظر: السبكي، طبقات

الشافعية الكبرى، ج: 5، ص: 81/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 21، ص: 500.

³ - فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج: 16، ص: 131.

وقال تعالى ﴿وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١)

[السجدة: 21] ففي هذه الآية دلالة ظاهرة على إثبات عذاب القبر، فإنه قال: "وَلَنذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ" أي: بعض وجزء منه، فدلّ على أن ثمّ عذاباً أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار. (1)

قال ابن قيّم: "من فقهه في القرآن ودقّه فهمه فيه - يعني ابن عبّاس رضي الله عنهما - فهم منها عذاب القبر فإنّه سبحانه أخبر أنّ له فيهم عذابين أدنى وأكبر فأخبر أنّه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا فدلّ على أنه بقي لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدّنيا ولهذا قال من العذاب الأدنى ولم يقل ولنذيقنّهم العذاب الأدنى فتأمله". (2)

فهذه الآيات وغيرها تدلّ على إثبات عذاب القبر في القرآن الكريم، وليس كما ادّعه المعارض أنّ عذاب القبر لا ذكر له في القرآن لاتصريحاً ولا تلميحاً، ثمّ لو لم يذكر عذاب القبر في القرآن فالإيمان به واجب إذ لا فرق بين الوحيين، وهذا القول من ابن قرناس دليل على تمسّكه بمذهب القرآنيين الرافضين للسنة، فما الدّاعي لكل هذه الاعتراضات على الحديث إن كان يرفض السنة بالكلية. أمّا ما استدلّ به نيازي من الآيات القرآنية على نفي عذاب القبر فهو استدلال في غير موضعه، وبيان ذلك:

. أنّ المراد بقوله تعالى ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ (٢٥)

[الأحقاف: 35] مدة لبثهم في الدّنيا، أو مدّة لبثهم في الدّنيا والقبر معاً، وليس في القبر وحده حتى يستدلّ به المعارض على انعدام الإحساس لدى الميّت، فمع إحساس الإنسان بالوقت في هذه الدّنيا،

¹ - ينظر: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، المصدر السابق، ص: 656.

² - ينظر: ابن قيّم، الروح، ص: 75.

ولكن لهول ما يرى في الآخرة يظنّ كأنه لم يلبث غير ساعة، والمعنى أنهم إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا أو في الدنيا والبرزخ، كأنه ساعة من النهار، أو كأن لم يكن لهول ما عاينوا. (1)

. أما استدلاله بقوله تعالى ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ﴿٨٠﴾ [النمل:

80] وقوله فلا الميت قادر على السمع ولا الذي فقد حاسة السمع كلاهما لا يسمعان، ثم نقول نحن لا بل إن الميت يسمع أصوات نعالمهم. فهذا الاستدلال غير صحيح لأنّ المراد بالأموات في الآية الكفار الذين هم بمنزلة الأموات والسمّ في إعراضهم عن قبول المواعظ، فإذا دعوا إلى الله أعرضوا وولوا كأنهم لا يسمعون، ولو كان المراد بالموتى الذين فارقت أرواحهم أبدانهم لم يكن في الآية تسليّة للنبيّ. ﷺ (2) ولو قلنا أن المراد بالآية الأموات حقيقة لم يصحّ الاستدلال بها؛ لأنّ الآية تتكلّم عن انقطاع التّواصل بين البرزخ والدنيا، وليس فيها نفي لعذاب القبر الذي هو متعلّق بالله عزّ وجلّ وقدرته.

. وأما استدلاله بقوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ﴿١٣﴾ [الأعلى: 13] وقوله ﴿لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ

فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ ﴿٣٦﴾ [فاطر: 36] لأنّه إن قضى عليهم فماتوا توقّف

عذابهم. لم يقل أحد أنّ الأموات يعدّون عذاب القبر وهم أموات بدون شعور حتّى يستدلّ المعترض بالآيتين على نفي عذاب القبر، وإنما يعدّون في القبر بإحساس بعد أن تعاد إليهم أرواحهم، قال ابن تيمية: "فاعلم أنّ مذهب " سلف الأمة وأئمّتها " أنّ الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب وأنّ ذلك يحصل لروحه ولبدنه وأنّ الرّوح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معدّبة وأنها تتصلّ بالبدن

¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج: 21، ص: 178 / الرازي، مفاتيح الغيب، ج: 28، ص: 30 / الشنقيطي، أضواء البيان، ج: 2، ص: 570.

² - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 16، ص: 205 / الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 20، ص: 34 / الشنقيطي، أضواء البيان، ج: 6، ص: 463.

أحيانا فيحصل له معها التّعيم والعذاب. ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى أجسادها وقاموا من قبورهم لربّ العالمين" (1)

كما أنّ الآية التي استدللّ بها متعلّقة بعذاب الآخرة، ولا يمكن أن نقيس علم البرزخ الذي هو جاهل به، بدار الآخرة التي لا علم له بها أيضا.

◀ وأما دعوى التعارض بين الأحاديث الدالة على أنّ المعذب لا يسمعه الثّقلان، بينما حديث ابن عباس يقول أنّ الرّسول سمع صوت "إنسانين يعذبان في قبورهما"، فجوابه:

. أنّ الذي نفى الحديث سماعه من الجنّ والإنس هو الصّيحة التي يصيحها المنافق والكافر عندما يوضع في قبره، فيأتيه الملكان ويسألانه فلا يجيب، أمّا الذي ذكره حديث ابن عبّاس . رضي الله عنهما هو ما يكون بعد ذلك من العذاب إلى يوم القيامة، وليس في الحديث نفي لسماع هذا العذاب.

. لم يذكر النبي . ﷺ . أنّه سمعهما يعذبان حتى يدعى التعارض بين الحديثين وإنما لفظ الحديث أنّه "مرّ على قبرين فقال إنّهما ليعذبان...." وهذا لا يكون إلا بوحي من الله . عزّ وجلّ ..

. وأمّا قوله إنّ هذا من علم الغيب والله سبحانه وتعالى ينفي أن يكون الرّسول على علم بالغيب، فجوابه أنّ أمور الغيب لا يعلمها إلا الله إلا ما أطلع الله رسله عليها، فلا تكون من أمور الغيب، بل

تصير من المعلوم الواضح حتّى ولو لم تتصوّر عقولنا كيفيتها ومعناها، قال تعالى ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا

يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾

﴿ [الجن: 26 / 27] قال القرطبي: " فيه دليل على أنّه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثمّ استثنى من ارتضاه

¹ - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 4، ص: 175.

من الرّسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم".⁽¹⁾

◀ وأما ما تعلّق به المعترضون على أحاديث عذاب القبر من حجج عقلية فالجواب عنه من وجهين
جواب مجمل، وجواب ومفصل:

. أما المجمل فالأخبار الثابتة عن الرّسل عليهم السلام بالسند الصحيح قسمان: ما تشهد به العقول والفطر، وما لا تدركه العقول بمجرد ما كالإخبار عن الغيبات، وتفاصيل البرزخ واليوم الآخر، ولا يكون خبرهم محالا في العقول أصلا، وكل خبر يظنّ أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين إما يكون الخبر كذبا عليهم أو يكون ذلك العقل فاسدا وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنّها معقول صريح.⁽²⁾

وقد امتنع أن يكون الخبر كذبا هنا لوروده من طرق متواترة عن جمع كبير من الصحابة منهم: عائشة وابن عمر وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري والبراء بن عازب وابن عباس وغيرهم، كما أنّ القرآن الكريم يشهد لهذه النصوص بإشارات واضحة كما مرّ معنا، فلم يبق غير فساد عقل المعترضين على الحديث، خصوصا وقد أقرّ بهذه الأخبار الصحابة والتابعون والأئمة من بعدهم، وأجروها على حقائقها وآمنوا بها، وقد أثنى الله على الذين يؤمنون بالغيب بقوله ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: 3]، وليس هناك ما يحيل هذه الأخبار لا عقلا ولا نقلا، فوجب الإيمان

بها.

. أما الجواب المفصل على القياس الأولي الذي ذكره نيازي من قوله " أنّ الإنسان الذي يتمّ تخديره يتوقّف إحساسه بالألم، فالميت لا يحس من باب أولى لأنّه فقد وسائل الإحساس " فهذا القياس

¹ - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 21، ص: 308.

² - ينظر: ابن قيم، الرّوح، ص: 62.

فاسد ومعلوم البطلان؛ لأنّ أحكام دار الدنيا غير أحكام الحياة البرزخيّة، فلا يقاس حاضر معلوم على غائب مجهول، وذلك لأنّ تعلق الرّوح بالجسد في دار الدنيا ليس هو تعلق الرّوح بالجسد في البرزخ وقد بيّن ابن قيّم أنّ الدّور ثلاث دار الدّنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار أحكاما تختص بها وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل أحكام دار الدّنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها ولهذا جعل أحكامه الشرعيّة مرتبة على ما يظهر من حركات اللّسان والجوارح وان أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبع لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألّمت بألمها والتذت براحتها وكانت هي التي باشرت أسباب النّعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنّعيم والعذاب على الأرواح والأجساد معا، ومتى أعطيت هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرّسول من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمّه وكونه حفرة من حفر النّار أو روضة من رياض الجنّة مطابق للعقل وأنّه حق لا مرية فيه وإن من أشكال عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه أي. (1)

◀ وأما الاعتراض على الحديث بحجّة معارضته للعلم المعاصر فغير مسلمّ من وجوه:

. لا مدخل للعلم في المسائل الغيبية حتى يشبّتها أو ينفيها، وهل استطاع العلم التجريبي أن يحيط علما بالموجودات حتى يتكلّم عن الغيبات؟!!

. وهل العلم المعاصر يصدّق ما ورد في كتاب الله من غيبات لا يتصوّرهما العقل أم يكذّبها؟ هل يوافق العلم على أنّ النّار قد تكون بردا وسلما إذا أراد الله ذلك كما في قصة الخليل . عليه السّلام . ؟ ! وهل يصدّق العلم أنّ موسى . عليه السّلام . ضرب البحر بعصاه فانفلق فكان كل فرق كالطّود العظيم ؟ ! فإن كان يصدّق ما ورد في كتاب الله فوجب عليه التصديق بما في سنة رسوله . ﷺ . من أخبار الغيب، إذ لا قائل بالفرق بينهما متى صحّ النقل، وإن كان العلم الذي يستدلّ به يكذب ما ورد في كتاب الله من غيبات فلا شكّ في بطلانه وفساده.

¹ - ينظر: ابن قيّم، الرّوح، ص: 63/64 بتصرف.

. إن العلم لا يمكن أن ينفى عذاب القبر مجرد عدم الإحساس به وما قال عاقل إن الموجودات منحصرة كلها في المحسوسات وإن ما ليس محسوسا ليس موجوداً، لنفرض أن الله لم يخلق للإنسان حاسة السمع فلم يسمع مسموعاً فهل يكون فقداننا للمسموعات دليلاً على عدمها وعلى أنها غير موجودة؟! اللهم لا، وهل الأصم - ينكر وجود الأصوات؟! إن إنكار الأصم للأصوات لأنه لم يسمعها كإنكار هؤلاء عذاب القبر لأنهم لم يحسوه و لم يروه. (1)

ومما يشهد لذلك أن النائم يكون نائماً وتقعده روحه وتقوم وتمشي وتكلم وتفعل أفعالا وأمورا بباطن بدنه مع روحه ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب؛ مع أن جسده مضطجع؛ وعينيه مغمضة وفمه وأعضائه ساكنة ، وقد يقوم ويمشي ويتكلم ويصيح لقوة الأمر في باطنه؛ كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره؛ فإن روحه تقعد وتسال وتنعم وتعذب وتصيح؛ مع كونه مضطجعا في قبره والأخبار بذلك متواترة. لكن المقصود أن ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من إقعاد الميت مطلقا هو متناول لتعودهم ببواطنهم وإن كان ظاهر البدن مضطجعا. (2)

. أما قول أوزون " فلماذا لا يُنقل لنا ثواب وسرور الصالحين من أهل القبور؟" فقد نُقل لنا في كتب السنة ثواب وسرور الصالحين كما ذكر لنا عذاب الكفرة والظالمين، كما في حديث أنس بن مالك المتقدم ، "فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراها جميعا - قال قتادة: وذكر لنا: أنه يفسح له في قبره". (3) وفي السنن والصحاح أحاديث كثيرة عن سرور المؤمنين ونيعمهم في قبورهم، وليس هذا مقام بسطها.

¹ - ينظر: القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، ص: 12.

² - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 5، ص: 313.

³ - سبق تخريجه في ص: 172.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

تظاهرت الدلائل من الكتاب والسنة على ثبوت عذاب القبر حتى قال غير واحد من الأئمة إنها متواترة⁽¹⁾ لا يصحّ عليها التواطؤ وإن لم يصحّ مثلها لم يصحّ شيء من أمر الدين، وقد أجمع عليه العلماء، ولا مانع في العقل أن يعيد الله الحياة في جزء من الجسد، أو في جميعه وإذا لم يمنعه العقل وورد به الشرع وجب قبوله، واعتقاده. ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تفرقت أجزاؤه، كما يشاهد في العادة، أو أكلته السباع والطيور وحيثان البحر، كما أن الله تعالى يعيده للحشر، وهو سبحانه وتعالى، قادر على ذلك.⁽²⁾ قال القرطبي: "وبالجملة: فأحوال المقابر وأهلها على خلاف عادات أهل الدنيا في حياتهم فليس تنقاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا، وهذا مما لا خلاف فيه، ولولا خبر الصادق بذلك لم نعرف شيئاً مما هنالك".⁽³⁾

فعذاب القبر ونعيمه دلّت عليه آيات الكتاب تلميحاً، وبَيّته السنة النبوية تصريحاً، كما أنّ العقل لا يحيله، وعدم المشاهدة لا يقتضي عدم الوجود كما أنّ الحسّ لا مدخل له في إثبات أو إنكار الغيبات، وما ورد به الشرع ولم يمنعه العقل وجب قبوله، والتّصديق به.



¹ - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 4، ص: 175 / ابن قيم، الروح، ص: 52 / السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، (القاهرة، مط: المدني، د ط، د ت) ص: 117 / الشوكاني، نيل الأوطار، تحق: عصام الدين الصبابي (مصر، مط: دار الحديث، ط: 1، سنة: 1413هـ / 1993م) ج: 1، ص: 121 / العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحق: عبد الرحمن محمد عثمان (المدينة المنورة، مط: المكتبة السلفية، ط: 2، سنة: 1388هـ / 1968م) ج: 3، ص: 274 / الكتاني، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، تحق: شرف حجازي (مصر، مط: دار الكتب العلمية، ط: 2، د ت) ص: 123.

² - ينظر: القسطلاني، إرشاد الساري، ج: 2، ص: 460.

³ - القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحق: الصادق بن محمد بن إبراهيم (الرياض، مط: دار المنهاج، ط: 1، سنة: 1425هـ) ص: 373.

المبحث الخامس: مفاتيح الغيب خمس

- علم ما في الأرحام -

المطلب الأول: الحريث الوارد في المسألة

• عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: " مفاتيح الغيب خمس، ثم

قرأ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا

تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: 34] ⁽¹⁾

. وأخرجه مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - بلفظ " وفي خمس لا يعلمهن إلا الله " ثم تلا: ﴿...﴾ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ... ﴾ ⁽²⁾.

. وفي رواية لابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: " مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا

الله: لا يعلم ما تعيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد

إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله " ⁽³⁾

¹ - أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ ^(٣٤)، رقم (4778).

² - أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان ما هو وبيان خصاله، رقم (9).

³ - أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ ^(٦١)، رقم (7379).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجزة للحديث

لقد نطقت الآيات القرآنية أن الله - عزّ وجل - عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو، قال تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، وقد بين النبي ﷺ أن المراد

بجده المفاتيح ما ورد في سورة لقمان في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ

وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ

عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: 34] وأن هذه الخمس ممّا استأثر الله بعلمها، فلا يعلمها نبي مرسل

ولا ملك مقرب، ولا يمكن لأي مخلوق مهما بلغ علمه أن يصل إلى شيء منها، وما يهمننا في هذا الحديث مسألة اختصاص علم الله بما في الأرحام حيث اعترض عليه الكثير من المعاصرين بحجة معارضته للعلم الحديث الذي أثبت بزعمهم بما لا يدع مجالاً للشك أن معرفة ما في الأرحام أصبحت ممكنة عند الأطباء، وقد أوردوا على الحديث جملة من الاعتراضات الدالة على ضعفه، ومن أهم تلك المعارضات ما يلي:

1. معارضة الحديث للقرآن:

وحجّتهم أن الآية تدلّ على انحصار الغيب في ثلاثة أمور: وهي علم الساعة، والعلم بما يكسبه الإنسان في غده، والعلم بالأرض التي تموت فيها كل نفس، فهذه الثلاثة هي التي استأثر الله بعلمها، وأما الأمران الباقيان فلا دلالة في الآية على أنّهما من الغيب قال السبحاني: "وأما الثاني أعني قوله

تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ فهو بصدد إثبات العلم لله سبحانه لا بصدد النفي عن غيره، واستفادة النفي منه تحتاج إلى دليل قاطع".⁽¹⁾

وقال نيازي: " كذلك لم يقل سبحانه لن تستطيعوا أن تعلموا إذا حاولتم، ولم يحصرها بنفسه، ولم يقل كما هو نصّ الحديث (ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام)، نص الآية يناقض ما ورد في نص الحديث؛ لأنّ الفهم للآية خاطئ من أساسه".⁽²⁾

قال جواد عفانة: " أما متن هذا الخبر فتفسير خاطئ لآية كريمة، قال تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ فكيف حصرها الراوي بخمسة فقط، ومن أين علمها".⁽³⁾ وقال: " وهذا الخبر مردود متنا؛ لأنه يناقض القرآن، فعلم ما في الأرحام لا هو من الغيب ولا من مفاتيح الغيب".⁽⁴⁾

2. معارضة الحديث للعلم :

قالوا: إنّ العلم الحديث استطاع أن يكشف عما في الأرحام، وأنّه أصبح يمكن معرفة نوع الجنين في بطن أمه إن كان ذكراً أم أنثى قبل ولادته، بينما الحديث نصّ على أنّ ذلك من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله. قال جواد عفانة ترى لو كانت الآية تقول: ولا ينزل الغيب إلا الله، ولا يعلم ما في

¹ - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 416.

² - نيازي، دين السلطان، ص: 323.

³ - جواد عفانة، صحيح البخاري مخرج الأحاديث محقق المعاني، ج: 3، ص: 1841.

⁴ - المرجع السابق، ج: 2، ص: 1172.

الأرحام إلا الله، فما سيكون موقف المسلمين من القرآن هذه الأيام بعد أن صاروا هم أنفسهم يستطيعون إنزال الغيث، ومعرفة ما في الأرحام؟! (1)

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

قد تقرر أن الله - عز وجل - عالم الغيب والشهادة، وأنه سبحانه المتفرد بعلم الغيب دون سواه، وقد يطلع عباده على كثير من الأمور الغيبية، وهذه الخمس قد طوى علمها على جميع مخلوقاته قال تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59]، وقد بين النبي ﷺ أن للراد

بمفتاح الغيب في سورة الأنعام ما ورد في سورة لقمان في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ

وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ

تَمُوتُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٢٤﴾ [لقمان: 34] وما ذكر للشككون في الحديث من اعتراضات

متعلقة بمعارضته لكتاب الله، وتناقضه مع العلوم المعاصرة مجرد شبهات لا تقوى على ردّ الحديث ويمكن مناقشة ما اعتمدوا عليه بما يلي:

◀ أما قولهم إنّ الحديث معارض للآية؛ لأنّ الآية فيها إثبات العلم لله ولا تدلّ على نفيه عما سواه بخلاف الحديث، فجوابه من وجهين:

. أنّ الآية نفسها فيها إشارة إلى استئثار علم الله بما في الأرحام؛ لأنّ العطف بالواو يدلّ على الاشتراك في الحكم بين المعطوف والمعطوف عليه⁽²⁾، ولم يخالف أحد في دلالة المعطوف عليه على

¹ - ينظر: جواد عفانة، دور السنة في إعادة بناء الأمة، (عمان، مط: جمعية عمال المطابع التعاونية، ط: 1، سنة: 1419هـ/1999م) ص: 231.

² - ينظر: ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، (القاهرة، مط: دار التراث، ط: 20، سنة: 1400هـ/1980م)، ج: 1، ص: 26. / عبد المنعم الجوجري، شرح شذور الذهب، تحق: نواف بن جزاء الحارثي (المدينة المنورة، مط: الجامعة الإسلامية، ط: 1=

الحصر، وقد تضافرت نصوص الكتاب والسنة على اختصاص المعطوف عليه وهو علم الساعة بالله وحده، وهذا يقتضي دلالة المعطوف وهو " علم ما في الأرحام " على الاختصاص أيضا، قال الطاهر بن عاشور: " وفي كلمة "عنده" إشارة إلى اختصاصه تعالى بذلك العلم؛ لأنّ العنديّة شأنها الاستثثار، وتقديم عند وهو ظرف مسند على المسند إليه يفيد التخصيص... وعطف عليه " **وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ** " أي: ينفرد بعلم جميع أطواره من نطفة وعلقة ومضغة ثم من كونه ذكرا أو أنثى وإبان وضعه بالتدقيق وجيء بالمضارع لإفادة تكرّر العلم بتبدل تلك الأطوار والأحوال. والمعنى: ينفرد بعلم جميع تلك الأطوار التي لا يعلمها الناس لأنه عطف على ما قصد منه الحصر فكان المسند الفعلي المتأخّر عن المسند إليه مفيدا للاختصاص بالقربة"⁽¹⁾

"و لو لم يكن معناه النفي لقلت فائدته لأنّه تعالى عنده علم كل شيء فلا معنى لتخصيص هذه الأمور بالذكر إلا اختصاصه بعلمها."⁽²⁾

. لو لم يكن في الآية دليل على استثثار علم الله بهذه الخمس، فقد دلّت على حصرها السنة النبويّة

الثابتة، فقد قال النبي ﷺ. " **مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ**

اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ **والقول بحجية السنة يقتضي قبول ما دلّت عليه إذ لا قائل بالفرق بينهما**

متى صحّ سندها إلى النبي ﷺ. ولم يعترض أحد على حديث الباب من حيث السند، ومعلوم أنّ السنة أكثرها بيان للقرآن وتفسير له قال ابن تيمية: " إنّ أصحّ الطرق في ذلك أن يفسر القرآن

= سنة: 1424هـ/ 2004م) ج: 21، ص: 800/ شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحق: علي عبد الباري عطية (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1415هـ) ج: 11، ص: 106.

¹ - الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 21، ص: 197.

² - العراقي، طرح الشريب، ج: 8، ص: 255.

بالقرآن، فما أُجْمِلَ في مكان فإنه قد فُسِّرَ في موضع آخر، وما اختُصِرَ من مكان فقد بُسِّطَ في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له⁽¹⁾

. أما قولهم إنَّ النَّفْيَ يحتاج إلى دليل قاطع: فأبي دليل أقطع من سنة المصطفى . ﷺ . بعد كتاب الله؟ ولا يجوز أن ينازع في حجية السنة منازع أو أن يتوقف فيها متوقف، ولا فرق بين السنة والقرآن في إثبات الأحكام، قال ابن عبد البر: "وأما أصول العلم فالكتاب والسنة، وتنقسم السنة قسمين أحدهما تنقله الكافة عن الكافة فهذا من الحجج القاطعة للأعداء إذا لم يوجد هنالك خلاف، ومن رد إجماعهم فقد رد نصا من نصوص الله يجب استتابته عليه وإراقة دمه إن لم يتب؛ لخروجه عما أجمع عليه المسلمون العدول وسلوكه غير سبيل جميعهم والضرب الثاني من السنة أخبار الآحاد الثقات الأثبات العدول والخبر الصحيح الإسناد المتصل منها يوجب العمل عند جماعة الأمة الذين هم الحجّة والقدوة"⁽²⁾.

وقال ابن حزم⁽³⁾: "فصح لنا بذلك أن الوحي ينقسم من الله . عز وجل . إلى رسوله . ﷺ . على قسمين أحدهما وحي متلو مؤلف تأليفا معجز النظام وهو القرآن والثاني وحي مروى منقول غير مؤلف ولا معجز النظام ولا متلو لكنه مقروء وهو الخبر الوارد عن رسول الله . ﷺ . وهو المبين عن الله عز وجل مراده ... قد أوجب طاعة هذا الثاني كما أوجب طاعة القسم الأول الذي هو القرآن ولا

¹ - ابن تيمية، مقدمة أصول التفسير (بيروت، مط: دار مكتبة الحياة، د ط، سنة: 1390هـ / 1980م) ص: 39.

² - ابن عبد البر، جامع بيان العلم فضله، تحق: أبو الأشبال (السعودية، مط: دار ابن الجوزي، ط: 1، سنة: 1414هـ /

1994م) ج: 1، ص: 780.

³ - هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الإمام الواحد ذو الفنون والمعارف، نشأ في رفاهية وتنعم، ورزق ذكاء مفرطاً وذهناً سيّلاً، له مصنّفات عظيمة منها: المحلى شرح المجلى، التقريب لحد المنطق، الإحكام في أصول الأحكام، الفصل في الملل والنحل وغيرها، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة (456هـ). ينظر: ابن بشكوال، الصلة، ج: 2، ص: 605 / الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 18، ص: 184.

فوق فقال تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: 59] فكانت الأخبار التي ذكرنا أحد الأصول الثلاثة التي ألزمتنا طاعتها في الآية الجامعة لجميع الشرائع أولها عن آخرها". (1)

فحجّة السنّة (2) بمنزلة الأمر البديهي المتقرّر عند كل مسلم، وإنكار الاحتجاج بها هو إنكار للقرآن الذي لم ينقل إلينا إلا بواسطة الرسول ﷺ. ثم عن طريق أصحابه. رضي الله عنهم. فوجب تصديق الوحيين، أو تكذيبهما معا!.

. وأما قولهم كيف حصرها الراوي في خمسة ومن أين علمها؟: هذا سؤال محير لا ندري أصحابه جاداً أم هازل، فهل الراوي حصرها أم نقلها عن النبي ﷺ. فليست وظيفة الرواة سوى النقل عن المصطفى ﷺ. الذي لا ينطق عن الهوى.

. ليس في الحديث حصر لجميع الغيوب بل فيه بيان لمفاتيح الغيب ومعلوم عند أهل الأصول أنّ دلالة العدد مختلف فيها(3)، فعلم الله الذي استأثر به دون خلقه لم ينحصر في خمس، وذلك كعلمه بعدد

1 - ينظر: ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، ج: 1، ص: 97

2 - ينظر: المصدر السابق، ج: 1، ص: 97/ تاج الدّين السبكي، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقق: محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود (بيروت، مط: عالم الكتاب، ط: 1، سنة: 1419هـ/ =1999م) ج: 1، ص: 135/ محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحقق: أبو حفص سامي بن العربي الأثري (الرياض، مط: دار الفضيلة، ط: 1، سنة: 1412هـ / 2000) ص: 187.

3 - ينظر: الخلاف في دلالة مفهوم العدد: أبو الحسن البصري، المعتمد في أصول الفقه تحقق: خليل الميس (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1403هـ) ج: 1، ص: 146/ الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام، تحقق: عبد الرزاق عفيفي (السعودية، دار الصمعي، ط: 1، سنة: 1424هـ/ 2003م) ج: 3، ص: 93/ الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى =

خلقه ، وكعلمه بأسمائه وصفاته⁽¹⁾ قال تعالى: ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي

ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ [الأنعام: 59] قال تعالى: ﴿ وَلَا

يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ﴿ [طه: 110] وفي الحديث " أو استأثرت به في علم الغيب عندك".⁽²⁾

وأجيب عن ذكر الخمس مع أنّ المغيّبات عنا كثيرة؛ لأنّ هذه الخمس هي التي كانوا يدعون معرفتها، أو لحاجة الناس لمعرفة استئثار الله بعلمها، لأنّها الأمّهات إذ الأمور إما أن تتعلق بالآخرة وهو علم السّاعة أو بالدنيا وذلك إما متعلق بالجماد المأخوذ من الغيب أو بالحيوان في مبدئه وهو ما في الأرحام أو معاشه وهو الكسب أو معاده وهو الموت.⁽³⁾ فالحديث بيان للآية وتفصيل لها فلا معنى لادّعاء التعارض بينهما.

◀ لعلّ أهم ما تعلق به المشكّكون في الحديث معارضته للعلم الحديث حيث أصبح بالإمكان معرفة جنس الجنين في بطن أمه، وهذا الاعتراض ساقط من وجوه:

= بناء الفروع على الأصول، تحق: محمد علي فركوس (مكة المكرمة، مط: مؤسسة الريان، ط: 1، سنة: 1419هـ / 1998م) ص: 676 / لشوكاني، إرشاد الفحول، ص: 776.

¹ - ينظر: ابن رجب الحنبلي، تفسير ابن رجب، تحق: طارق بن عوض الله بن محمد (لسعودية، مط: دار العاصمة، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2002م) ج: 1، ص: 467.

² - أخرجه أحمد، المسند، تحق: أحمد شاكر (القاهرة، دار الحديث، ط: 1، سنة: 1414هـ / 1996م) رقم (198)، ج: 4، ص: 215. وضححه ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحق: شعيب الأرنؤوط (بيروت، مط: الرسالة، ط: 2، سنة: 1414هـ / 1993م) كتاب: الرّقائق، باب لأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله رقم (972) وقال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم" المستدرک على الصّحیحین (القاهرة، مط: دار الحرمين، ط: 1، سنة: 1417هـ / 1997م) كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل والذكر، رقم (1929)، وقال أحمد شاكر " صحيح الإسناد. ينظر: المسند، ج: 4، ص: 215. وضححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (الرياض، مط: مكتبة المعارف، ط: 1، سنة: 1415هـ / 1995م) رقم (1929)، ج: 1، ص: 383.

³ - ينظر: عبد الرؤف المناوي، فيض القدير شرح لجامع الصغير (مصر، مط: المكتبة التجارية، سنة: 1356، د ت) ج: 5 =

. أن الآية جاءت بصيغة العموم "وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ" فهي شاملة لجنس الجنين، شقاوته وسعادته، رزقه وأجله، طول وقصره، وهل يولد حيا أو ميتا.. وغيرها من الصفات الخلقية والخلقية فما الذي جعلكم تقصرون علم ما في الأرحام على الذكورة والأنوثة ومعلوم أن "حَمَلُ اللَّفْظِ الْعَامِّ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِهِ تَرْكٌ لِظَاهِرِ الْعُمُومِ مِنْ غَيْرِ دَلِيلٍ وَهُوَ بَاطِلٌ إِجْمَاعًا"⁽¹⁾ قال ابن عاشور: "ينفرد بعلم جميع أطواره من نطفة وعلقة ومضغة ثم من كونه ذكرا أو أنثى وإبان وضعه بالتدقيق. وجيء بالمضارع لإفادة تكرر العلم بتبدل تلك الأطوار والأحوال، والمعنى: ينفرد بعلم جميع تلك الأطوار التي لا يعلمها الناس".⁽²⁾

. لو كان المراد بعلم ما في الأرحام معرفة جنس الجنين فقط ما كان الحديث معارضا للعلم بالحديث، وذلك لأن العلم لا يمكنه أن يعلم ما في الأرحام إلا بعد أن يخلقه الله فلماذا لا يحدد العلم جنس الجنين عندما يكون نطفة، ثم عندما يكون علقة، ثم يكون مضغة؟ فالعلم لا يستطيع تمييزه إلا إذا خلق الله فيه علامات الذكورة أو علامات الأنوثة، بينما علم الله سابق لذلك، قال ابن كثير: "وكذلك لا يعلم ما في الأرحام مما يريد أن يخلقه تعالى سواه، ولكن إذا أمر بكونه ذكرا أو أنثى، أو شقيًا أو سعيدا علم الملائكة الموكلون بذلك، ومن شاء الله من خلقه"⁽³⁾ فمعرفة العلم بجنس الجنين ليست من عالم الغيب بل هي من عالم الشهادة، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ نُطْفَةٌ، يَا رَبِّ عَلَقَةٌ، يَا رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ

= ص: 525/ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج: 4، ص: 356/ ابن رجب الحنبلي، تفسير ابن رجب، ج: 1، ص: 467/

القسطلاني، إرشاد الساري، ج: 7، ص: 118.

¹ - ينظر: القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، بتحقيق محمد أحمد سراج، علي جمعة محمد (القاهرة، مط: دار السلام، ط: 1،

سنة: 1421هـ/ 2001م) ج: 1، ص: 264.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 21، ص: 197.

³ - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 11، ص: 82.

خلقه قال: أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد، فما الرزق والأجل، فيكتب في بطن أمه⁽¹⁾ فعلم الملك بجنس الجنين دليل على أنه لم يعد من عالم الغيب بل أصبح من عالم الشهادة، وقد قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 59] ولو كان تمييز جنس الجنين من عالم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ما علمه الملك الموكل بالرحم؛ لأن الله نفى العلم بمفاتيح الغيب عن جميع خلقه.

. لا يعدّ تحديد العلم بجنس الجنين أمراً قطعياً يقينياً بدليل أنّ الكثير من النساء أُخبرن بجنس الجنين ثمّ وضعت بخلاف ما أخبر به الأطباء، بل المرأة كانت ولا زالت تستطيع تعيين ما في بطنها . خصوصاً من سبق لها إنجاب الذكور والإناث . من خلال عادات وعلامات يتميّز بها كل نوع حتى ولو لم تكن تلك العلامات قطعياً، قال ابن رجب: "وأما الاطلاع على شيء يسير من أفرادها بطريق غير قاطع، بل يحتمل الخطأ والإصابة هو غير منفي، لأنه لا يدخل في العلم الذي اختصّ الله به ونفاه عن غيره"⁽²⁾ فهل تحديد المرأة لجنس جنينها من خلال تجربتها يعتبر من الغيب؟ فالظن الغالب لا يعدّ علماً يقينياً.

. بناء على الوجه السابق لو كان الظنّ الغالب كافياً في إثبات علم ما في الأرحام لكان في الإمكان الاعتراض على بقية مفاتيح الغيب التي نفاها القرآن صراحة عن أي أحد ومن ذلك قوله تعالى "وَمَا

تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا "فباستطاعة تاجر من خلال تجربته أن يحدّد الفائدة التي سيحصل عليها في بعض الأيام، وقد يكون ما ذكره مطابقاً للواقع، بل إنّ الأستاذ الذي خبر تلاميذه لسنوات يستطيع تحديد نتائجهم ومن يستحقّ الانتقال ممن لا يستحقّ في بداية السنّة، أو في بداية الفصل

¹ - أخرجه البخاري، كتاب الحيض، باب مخلّقة وغير مخلّقة، رقم (318)/ ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (2646).

² - ابن رجب الحنبلي، تفسير ابن رجب، ج: 1، ص: 467.

وقد يكون ما حدّده موافقا للواقع أو قريبا منه فهل يعدّ هذا من علم الغيب الذي نفاه الله . عزّ وجل . ؟ ! أم أنّه هو مجرد حدس وتخمين مبني على التجربة وقد يخطئ وقد يصيب، فلا مجال لادّعاء التعارض بين الحديث والعلم.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

يتبيّن من خلال النظر في حديث مفاتيح الغيب مع ما ادّعوه من المعارضة مع النصّ القرآني والعلم المعاصر:

. أنّ الحديث صحيح ثابت لا مطعن فيه بأيّ وجه من الوجوه، وأنّه متوافق تماما مع النصّ القرآني في الدلالة على استئثار الله . عزّ وجل . بعلم مفاتيح الغيب.

. لو لم يدلّ النصّ القرآني على استئثار الله بعلم ما في الأرحام لكان في بيان السنّة لذلك البرهان الكافي، إذ السنّة النبويّة في غالبها بيان للقرآن وتفصيل له، وإذا كانت السنّة المطهّرة مستقلة بتشريع الأحكام، فهل يمكن أن يتوقّف متوقّف في بيانها للقرآن وتفصيلها له؟ !

. ادّعاء المعارضة بين الحديث والعلم التجريبي دعوة عارية عن الدليل، وسببه الفهم الخاطئ أو المخطئ لمعنى الآية، وغاية ما يعلمه العلم الحديث عن الأجنّة هو تحديد الذكورة والأنوثة، ومعنى الآية أوسع من ذلك بكثير، كما أنّ تعيين العلم لجنس الجنين لا يكون إلا بعد أن يخلقه الله ويعلم به ملائكته فلم يعد عندئذ من عالم الغيب حتى يُعترض عليه بمعارضة العلم التجريبي والله أعلم.



الفصل الثالث: الأحاديث المتعلقة بالأنبياء - عليهم السلام -

السلام -

- المبحث الأول: حديث سحر النبي - ﷺ -
- المبحث الثاني: شفاعته النبي - ﷺ -
- المبحث الثالث: سهو النبي - ﷺ - في الصلاة
- المبحث الرابع: طواف سليمان - عليه السلام - على نساءه في ليلة

واحدة

- المبحث الخامس: قصة موسى - عليه السلام - وملك الموت

من بين أهم الأبواب التي تناولها المعترضون المعاصرون وخصّصوا لها فصولا كاملة الأحاديث المتعلقة بمقام النبوة والأنبياء . عليهم السلام . كالمعجزات، و عصمة الأنبياء، وبعض ما صدر عنهم باعتبار بشريتهم، وقد اعتبر المنتقدون أنّ أحاديث الصحيحين شوّهت الصورة الحقيقية للأنبياء وأنّ هذه الأحاديث فيها صورة مناقضة تماما لما كان عليه الأنبياء . عليهم السلام . قال محمد صادق النجفي " فهما . البخاري ومسلم . عندما يأتیان على ذكر الأنبياء . عليهم السلام . يسطران الأساطير والقصص، التي كان يرويها قصاصو اليهود وغيرهم، وينسبونها إلى الأنبياء . عليهم السلام . ودسوها بعد ذلك بين أوساط المسلمين بعنوان الأحاديث الصحيحة . والأطمّ من ذلك إنّ الصحيحين لم يشوها الصورة الحقيقية للأنبياء عليهم السلام عامة و حرفوها فحسب بل إنهما بدّلا الصورة الواقعية والحقيقية للنبي محمد صلى الله عليه وآله من كونها شخصية روحية ذات السمات الأخلاقية والربانية إلى شخصية منافية للواقع ومباينة لما ورد في آيات الذكر الحكيم⁽¹⁾ واعتبر القرآنيون أنّ ما ورد من أحاديث في الصحيحين حول الأنبياء منافٍ تماما لما ورد في القرآن الكريم قال ابن قرناس: " لقد رسمت الأحاديث صورا لتصرفات الرسول وصفاته وأقواله وتشريعاته تختلف عما تحدّث به القرآن عنه، وما كان عليه فعلا، فكتب الحديث تصوّر الرسول أنّه يُفسد في الأرض، ولا يعدل، وينهى عن الشيء ويأتي مثله، ويصلي بدون وضوء، ولا يهتمّ لصلاة الفجر .. وغير ذلك كثير⁽²⁾ .

ولا أدري أين وجد ابن قرناس هذه الأحاديث الدالة على هذه الأفعال الشنيعة، ولعلّ ما أوقعه في ذلك اعتماده على فهمه السقيم، وعدم رجوعه إلى علماء الحديث المتخصّصين وما أصدق قول الشاعر: **وكم من عائب قولا صحيحا " " " " " وآفته من الفهم السقيم⁽³⁾**

1 - ينظر: النجفي، أضواء على الصحيحين، ص: 212.

2 - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 209.

3 - أبو القاسم الطالقاني، الأمثال السائرة من شعر المتنبي، تحق: محمد حسن آل يسين (بغداد، مط: النهضة، ط: 1، سنة:

1385هـ / 1965م) ص: 35.

وقد تكلموا على أكثر النصوص الواردة في هذا الباب، وسأتحدث في هذا الفصل عن جملة من الأحاديث المشهورة التي ردها المعاصرون بحجة تناقضها مع مقام النبوة وعصمة الأنبياء - عليهم السلام - . ثم بيان وجهات نظرهم واعتراضاتهم عليها، مع مناقشتها ورفع الإشكالات عنها.

المبحث الأول: حديث سحر النبي ﷺ -

المطلب الأول: الحديث الواردة في المسألة

عن عائشة - رضي الله عنها - ، قالت: "سحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي، دعا الله ودعاه، ثم قال: «أشعرت يا عائشة أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ قلت: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: جاءني رجلان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، ثم قال أحدهما لصاحبه: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب⁽¹⁾، قال: ومن طبّه؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودي من بني زُرَيْقٍ، قال: فيما ذا؟ قال: في مُشَطِّ ومُشَاطَة⁽²⁾ وجُف طلعة⁽³⁾ ذكر، قال: فأين هو؟ قال: في بئر ذي أروان⁽⁴⁾" قال: فذهب النبي صلى الله عليه وسلم في أناس من أصحابه إلى البئر، فنظر إليها وعليها نخل، ثم

1 - "مطبوب": أي مسحور والطب السحر وهو من الأضداد والطب علاج الداء وقيل كنوا بالطب عن السحر تفاؤلاً بالبرء ينظر: القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج: 1، ص: 317/ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج: 3، ص: 110.

2 - "مُشَطِّ ومُشَاطَة" هي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية، عند التسريح بالمشط، والمشط: الآلة التي يمتشط بها ينظر: القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ج: 1، ص: 388/ ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج: 4، ص: 334.

3 - الجف: وعاء الطلع، وهو الغشاء الذي يكون فوقه. ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج: 1، ص: 278.

4 - "بئر ذروان" بئر في بستان بني زريق بالمدينة، وقد ورد في رواية مسلم ذي أروان وكذا بقية روايات البخاري والأصل ذي أروان ثم لكثرة الاستعمال سهّلت الهمزة فصارت "ذروان" وكلاهما صحيح. ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 14، ص: 177/ ابن حجر، فتح الباري، ج: 10، ص: 240.

رجع إلى عائشة فقال: «والله لكأنّ ماءها نقاعة الحنّاء»⁽¹⁾ ، ولكأنّ نخلها رؤوس الشياطين» قلت: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أتور على الناس منه شرا» وأمر بها فدفنت»⁽²⁾

وفي رواية للبخاري عن عائشة، رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحْر، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن، قال سفيان: وهذا أشد ما يكون من السحر، إذا كان كذا فقال: " يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه، أتاني رجالان..» الحديث⁽³⁾

1 - "نقاعة الحنّاء" النقاعة بضم النون الماء الذي ينقع فيه الحنّاء والحنّاء ممدود وهي جمع حنّاء. ينظر: القاضي عيّاض، مشارق الأنوار على صحيح الآثار، ج: 1، ص: 202/ النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 14، ص: 177.

2 - أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: السحر، رقم (5766)/ ومسلم، كتاب: السلام، باب: السحر، رقم(2189)

3 - أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب هل يُستخرج السحر؟ رقم (5765).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

من الأحاديث المشهورة التي اتفق الشّيخان وغيرهما على إخراجها حديث سحر النبي . ﷺ . وقد أثيرت حول هذا الحديث الكثير من الشّبّهات قديما فأنكر المعتزلة⁽¹⁾ أن يكون للسّحر وجودا وحقيقة وتبعهم أبو منصور الماتريدي⁽²⁾، وأبو بكر الجصاص⁽³⁾ الذي قال: وقد أجازوا من فعل السّاحر ما هو أظمّ من هذا وأفطع وذلك أنهم زعموا أن النبي عليه السّلام سحر وأنّ السّحر عمل فيه حتى قال فيه إنّه يتخيّل لي أني أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله وأن امرأة يهودية سحرته ... ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدّين تعليقا بالحشو الطّغام واستجرارا لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدرح فيها وأنه لا فرق بين معجزات الأنبياء وفعل السحرة وأنّ جميعه من نوع واحد⁽⁴⁾.

وهذا الذي قاله المعتزلة وغيرهم . إنكار حقيقة السّحر ووجوده . مخالف لما تواترت به الأخبار، واتفق عليه أهل الحديث والتّفسير، ونقل عليه الإجماع غير واحد من أئمة الإسلام، مستنديين للآيات

1 - ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج: 32، ص: 368.

2 - ينظر: أبو منصور الماتريدي، التوحيد، تحق: فتح الله خليف (الإسكندرية، مط: دار الجامعات المصرية، د ط، د ت)ص: 209. والماتريدي هو: محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي من كبار العلماء كان يقال له إمام الهدى له كتاب التوحيد وكتاب المقالات وكتاب بيان أوهام المعتزلة وكتاب تأويلات القرآن وله كتب شتى مات سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مائة. ينظر: أبو محمد محي الدين، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (كراتشي، مط: مير محمد ، د ط، د ت) ج: 2، ص: 130/ ابن قطلوبغا، تاج التراجم، تحق: محمد خير رمضان يوسف (دمشق، مط: دار القلم، ط: 1، سنة: 1413هـ/ 1993م) ج: 1، ص: 249.

3 - أحمد بن علي الرّازي، أبو بكر الجصاص: فاضل من أهل الري، سكن بغداد ومات فيها، انتهت إليه رئاسة الحنفية. وخوطب في أن يلي القضاء فامتنع. اشتهر بكتاب (أحكام القرآن)، توفي سنة 370هـ . ينظر: الزركلي، الأعلام، ج: 1، ص: 171.

4 - ينظر: الجصاص، أحكام القرآن، تحق: محمد الصادق قمحاوي (بيروت، مط: دار إحياء التراث العربي، د ط، سنة: 1412هـ/ 1992م) ج: 1، ص: 60.

القرآنية والنصوص النبوية والبراهين العقلية والحسية الدالة دلالة صريحة على وجوده⁽¹⁾ وقد تعجب ابن قتيبة ممن ينكر حقيقة السحر مع كل هذه البراهين فقال: ونحن نقول: إن الذي يذهب إلى هذا، مخالف للمسلمين واليهود والنصارى وجميع أهل الكتب، ومخالف للأمم كلها، الهند، وهي أشدها إيماناً بالرقى، والروم والعرب في الجاهلية وفي الإسلام، ومخالف للقرآن معاند له بغير تأويل؛ لأن الله جلّ وعزّ قال لرسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤﴾ [الفلق: 1/4]⁽²⁾

وقد حاول الكثير من المعاصرين على اختلاف مشاربهم ردّ هذا الحديث بحجة أنه يتنافى مع عصمته . ﷺ . ومقام النبوة، فالحديث عندهم معارض للقرآن، ومناقض للقواعد العامة للإسلام، كما أنه مخالف لثوابت العقل وقواعده وجملة ما استدلّوا به على إبطال الحديث ما يلي:

1. تعارضه مع القرآن:

قالوا إنّ الحديث خبر آحاد مناقض لكتاب الله . عزّ وجلّ . الذي نهي المشركين ووبّخهم لوصفهم للرّسول . ﷺ . بالمسحور، والقرآن هو الذي يجب الاعتقاد بما يثبتته وما ينفيه، فكيف يحتج بالقرآن على ثبوت السحر ويعرض عن القرآن في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وسلم وعدّه من افتراء المشركين عليه، ويؤول في هذه ولا يؤول في تلك!! مع أن الذي قصده المشركون ظاهر؛ لأنهم كانوا يقولون: إنّ الشيطان يلبسه عليه السلام، وملايسة الشيطان تعرف بالسحر عندهم وضرب من

¹ - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 2، ص: 276/ ابن قتيبة، بدائع الفوائد، تحق: علي بن محمد العمران (جدة، مط: دار عالم الفوائد، د ط ، د ت) ص: 746/ ابن كثير، تفسير القرآن، ج: 1، ص: 547/ ابن حجر، فتح الباري، ج: 10، ص: 33.

² - ينظر: ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، ص: 262.

ضروبه، وهو بعينه أثر السحر الذي نسب إلى لبيد، والذي يجب اعتقاده أنّ القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر... وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام⁽¹⁾ قال تعالى ﴿ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الإسراء:

47]، وقال تعالى ﴿ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴾ [الفرقان: 8]. وفي تقرير ذلك قال سامر

إسلامبولي " فالكفار هم الذين اتهموا النبي بصفة السّاحر الكذاب، وهم الذين وصفوه بالرجل المسحور، وفعلوا ذلك كله ليشككوا في دعوته بأنّه رسول الله حقاً وصدقاً، ولكن فما بال المسلمين يصفون نبيهم العظيم بذلك سبحانه هذا بهتان عظيم"⁽²⁾.

قال صبحي منصور: واتّهام الرسول بالسّحر أو أنّ بعضهم سحره فيه تشكيك في الرّسالة وطعن في الدّين، وقبل هذه الروايات التي جاء بها المصدر الثاني فإنّ مشركي مكّة اتهموا النبيّ محمداً بأنّه مسحور ثم ذكر الآيات السابقة. واستدلّ كذلك على بطلان الحديث بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا

الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ

اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة: 67] فكيف يكون الله تعالى حافظاً له من الناس ويستطيع ذلك اليهودي المزعوم أن يسحره.⁽³⁾

1 - ينظر: رشيد رضا، مجلة المنار، ج: 33، ص: 33 بتصرف.

2 - ينظر: سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 299.

3 - ينظر: صبحي منصور، القرآن وكفى مصدراً للتشريع، ص: 101 / 102.

وقال إسماعيل الكردي مستدلاً بالآية السابقة " أُنكروا قول الله تعالى بأنه عصم رسوله من أيّ تأثير للناس عليه؟ ويثبتون حديثاً ملفقاً لا لشيء، إلا لأنه في البخاري ومسلم؟! (1)

2. تعارضه مع العقل:

قالوا هذا مما يزيل الثقة بجميع الوحي الذي جاء به رسول الله ﷺ . فإذا كان يُسحر ويُخَيَّل إليه أنه يفعل الشيء وهو لم يفعله فمن الجائز عقلاً أن يُخَيَّل إليه أنه أوحى إليه وهو لم يوح إليه، أو أنه بلغ وهو لم يبلغ، أو أنه صلى وهو لم يصلّ وعليه إن أمكن أن يقع من مثل ذلك في كل أمور الدين، فلا يكون في فعله ولا قوله حجة.

قال ابن قرناس: " الرّسول كان يُخَيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله... وقد جاءه الرّجلان وأخبراه أنه مسحور ومكان السّحر، ولو صدقنا الحديث بأنّ الرّسول كان يتخيّل بأنه فعل الشيء ولم يفعله، فقد يكون الرّسول تخيّل أنه جاءه رجلان، ولم يأتيه، والدليل أنه كان عند أمّ المؤمنين عائشة، ولم تر أحداً دخل عليه" (2).

قال النّجمي: " ولازم ذلك أن يكون قد فقد رشده، ومن الجائز عليه في تلك الحالة أن يتخيّل أنه قد صلّى ولم يصلّ، وأن يتخيّل شيئاً يتنافى مع نبوّته بل مع إنسانيّته فيفعله.. والمسحور قد يقول غير الحق ويفعل ما لا يجوز فعله على سائر النّاس، وقد يخرج عن شعوره وإدراكه" (3).

كما قالوا إنّ تصديق الحديث يؤدّي إلى بطلان عصمة الأنبياء الثّابتة قطعاً، فالحديث يحطّ من منصب النبوة ويقدم فيها ويتعارض مع عصمة الأنبياء . عليهم السلام . فالسّحر من عمل الشّياطين، والنّفوس الخبيثة وهؤلاء لا يمكن أن يتسلّطوا إلا على من غفل قلبه عن الله، وقصّر في طاعته أما من

1 - إسماعيل الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، ص: 160.

2 - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 342.

3 - النّجمي، أضواء على الصحيحين، ص: 274. وقد نسب هذا القول لأحد المحققين المعاصرين.

تحصّن بعبادة الله، واشتغل بذكره لا يمكن أن يؤثر عليه ذلك ولا يشكّ عاقل أنّ محمداً ﷺ . هو أشدّ الناس عبادة وذكرًا لله، بل إنّه أقوى نفس بشريّة على عبادة الله فكيف يصيبه السحر؟ قال إسلامبولي: " وهذا السحر في العقل يتصادم بشكل صريح مع مقام النبوة؛ لأنّ النبيّ معصوم عن أيّ شيء يصيب عقله من تحريف وهلوسة وهذيان وجنون وغير ذلك من الأمراض التي تصيب العقل، وهذا الحفظ الرّباني هو ضرورة لازمة لحفظ مادة الوحي من الضياع"⁽¹⁾.

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

إنّ الشّبه التي تعلق بها المعترضون على الحديث لا تقوى في رده، فالحديث الصحيح الثابت المتلقّى بالقبول عند علماء الإسلام لا يُردّ لمجرد توهم شبهة حوله ولو كان الحديث يردّ لأدنى مناسبة لردّ من شاء ما شاء، كما أنّ الإحالة على العقل في القبول والردّ إحالة على مضطرب، وإذا كانت عقولكم قد رفضته فقد اعترف بصحته من هو أرسخ منكم علماء، وأرجح عقلا، أما ما استدلوّوا به من شبهات في تعليل الحديث فهي ضعيفة عند التّظن والتأمّل وبيان ذلك:

◀ أما قولهم إنّ الحديث يخالف قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا

﴿ ٨ ﴾ [الفرقان: 8]. فغير مسلمّ من وجوه:

. إنّ المشركين لم يريدوا بقولهم: { إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا } أنّه - عليه الصّلاة والسّلام - سحر حتى أدركه بعض التّغيير أيّما ثم شفاه الله وإنما أرادوا أنّ أمر النبوة كلّه سحر وأنّ جميع ما يصدر عنه خيال وجنون في كل ما يقول ويفعل وأنّ ما جاء به ليس من الوحي، وأنّه ليس رسولا، وأنّ القرآن ليس من عند الله فإذا آمنّا بما دل عليه الحديث و قلنا : إنّ الرّسول سحر بضعة أيام ، لم

¹ - سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 299.

نكن مصدّقين للمشركين، ولا موافقيهم فيما أرادوا وعنوا ، لأنّ الذي عناه الحديث ، ومن صحح الحديث ، غير الذي عناه هؤلاء الظالمون . فغرضهم إنكار رسالته، ورميه بالجنون وهذا أمر واضح جلي لكل من تتبع النصوص القرآنيّة التي تعرضت لهذا، فالغرضان مختلفان والموضوعان متباينان. (1)

. لو افترضنا أنّ مراد المشركين بالسحر في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا

مَسْحُورًا ﴿٨﴾ [الفرقان: 8] الحالة التي أصابت النبيّ ﷺ . فلا يرّد الحديث بمجرد صدق الكفّار في

قولهم، وقد كان الكفار يقولون ﴿ وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۗ

﴿٧﴾ [الفرقان: 7] فهل نكذبهم؟ فالمشركون كانوا يقولون أقوالا صادقة فهل نكذبهم فيها حتى

ولو كانت صحيحة حتى لا نصدّق الكفّار؟" فليس تكذيبهم في كلّ شيء قالوه لازما، بل لا يكذبون إلا في ما قام البرهان أنّه كاذب .. ولا يلزم تكذيب الظالمين في مقالاتهم حتى تقوم الحجة من العقل أو النقل أنّهم كاذبون وما علمنا أحدا قبل هؤلاء يستدلّ على خطأ القول بأنّ قالته طائفة من الناس ، ولا علمنا من قال إنّ الكفّار لا يصدّقون في شيء ما" (2)

فالظالمون كانوا ينسبون للنبيّ ﷺ . كلّ ما يظنونه قادحاً في رسالته فقد ظنوا أنّ سحره أو أكله أو شربه أو مشيه في الأسواق يقدح في رسالته، وهو خطأ منهم، وجملة القول أنّه لا يجب علينا تكذيب جميع ما نطق به المشركون حتى ولو ثبت في ديننا ما يوافقه أو يدلّ عليه.

وأما استدلالهم بقوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿١٧﴾ ﴾ ليس المراد بعصمته ﷺ .

1 - ينظر: أبو شهبة، دفاع عن السنة، ص: 252/ القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، ص: 40.

2 - القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، ص: 39.

أن لا يصيبه أيّ أذى ومن له أدنى اطلاع على سيرته . ﷺ . يعلم أنّه قد أصابه من الأذى ما أصابه وقد كسرت رباعيّته وشج وجهه، ونال من السخرية والاستهزاء ما نال، فإذا ثبت ذلك فإنّ السّحر من جملة الأذى الذي تعرّض له النبيّ . ﷺ . "فالذي عصم منه هو إزهاق الرّوح ونحوه لا مطلق الإيذاء، لأنّه لم يزل يؤذى إلى آخر حياته زيادة في إعلاء ربه وتشريفاً للسالكين"⁽¹⁾.

◀ أمّا معارضة الحديث لثواب العقل فغير مسلّم :

. لأنّ قولهم: إذا جاز أن يتخيّل ما ليس بواقع في غير أمور الدّين لجاز ذلك في أمور الدّين فهذا مردود فالسّحر أثر في جسمه لا في عقله ولو سلّمنا لهم ما تدلّ عليه الرّواية بحسب ظاهرها لما تمّ لهم ما قالوا، لأنّ قياس أمور الوحي والرّسالة على أمور الدّنيا قياس مع الفارق، فإنّه بالنسبة لأمر الدّين معصوم من الخطأ والتّغيير والتّبديل ولا عصمة له في أمور الدنيا فللرّسول اعتباران: اعتبار كونه بشرا، واعتبار كونه رسولا، فبالاعتبار الأول يجوز عليه ما يجوز على سائر البشر ومنه أن يسحر، وبالاعتبار الثاني لا يجوز عليه ما يخل بالرسالة لقيام الدّليل على العصمة منه، ثم ما رأي المنكرين للحديث فيما ثبت في القرآن الكريم منسوباً إلى موسى - عليه السّلام - من أنّه تخيّل في حبال السّحرة وعصيمهم أنّها حيات تسعى، فهل ينكرون القرآن المتواتر؟ وإذا كان لا مناص لهم من التّسليم بما جاء به القرآن فلم اعتبروا التّخيّل في حديث السّحر منافياً للعصمة ولم يعتبروه في قصّة موسى - عليه الصّلاة والسّلام - منافياً للعصمة؟⁽²⁾

قال القاضي عياض " فاستبان من هذه الرّوايات أنّ السّحر إنّما يسلّط على جسده وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده"⁽³⁾.

¹ - محمد علي الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (بيروت، مط: دار المعرفة، ط: 4، سنة: 1425هـ/

2004م) ج: 6، ص: 382/ المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، د ط، د ت) ج: 8، ص: 326.

² - ينظر: أبو شهبة، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، ص: 253.

³ - القاضي عياض، إكمال المعلم ج: 7، ص: 88.

قال المازري: ⁽¹⁾ "وزعموا أنّ تجويز هذا يعدم الثقة بما شرعوه من الشرائع ولعله يتخيل إليه جبريل عليه السلام وليس ثمّ ما يراه، أو أنّه أوحى إليه وما أوحى إليه، وهذا الذي قالوه باطل؛ وذلك أنّ الدليل قد قام على صدقه فيما يبلغه عن الله . سبحانه . وعلى عصمته فيه، والمعجزة شاهدة بصدقه، وتجويز ما قام الدليل على خلافه باطل، وما يتعلّق ببعض أمور الدنيا التي لم يُعث بسببها، ولا كان رسولا مفضّلا من أجلها، وهو في كثير منه عرضة لما يعترض البشر فغير بعيد أن يُخيّل إليه في أمور الدنيا مالا حقيقة له". ⁽²⁾

قال ابن قيم: "والسحر الذي أصابه كان مرضا من الأمراض عارضا شفاه الله منه ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما فإن المرض يجوز على الأنبياء وكذلك الإغماء فقد أغمي عليه في مرضه ووقع حين انفكت قدمه وجحش شقه" رواه البخاري ومسلم وهذا من البلاء الذي يزيد الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته وأشدّ الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أمهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس فليس بدع أن يتلى النبيّ صلّى الله عليه وسلم من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلى بالذي رماه فشحه وابتلى بالذي ألقى على ظهره السلا وهو ساجد وغير ذلك فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله. ⁽³⁾

1 - محمد بن علي بن عمر التميمي المازري، أبو عبد الله: محدث، من فقهاء المالكية، وهو أحد الأعلام في الحديث كان فاضلا متقنا. توفي في الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة بالمهدية له المعلم بفوائد مسلم - في الحديث، والمازري: بفتح الميم وبعدها ألف ثم زاي مفتوحة وقد تكسر أيضا ثم راء، هذه النسبة إلى مازر، (Mazzara) وهي بلدة بجزيرة صقلية. ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحق: إحسان عباس، ط: 1، سنة: 1971م، الزركلي، الأعلام، ج: 6، ص: 277.

2 - المازري، المعلم بفوائد مسلم، تحق: محمد الشاذلي النيفر (تونس، مط: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، د ط، سنة: 1991م) ج: 3، ص: 159.

3 - ابن قيم، بدائع الفوائد، ص: 739.

- أما قولهم إنّ الأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا لأنّ ذلك ينافي حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين فهذا مردود من وجهين:

- أنّنا ما علمنا عصمته من ذلك، لعلمنا أنه لم يسحر، ولا يجوز عليه السّحر بل علمنا أنه معصوم في تبليغه ببراهين أخرى كثيرة منها أنّ الرسول لا بد أن يكون معصوماً من الخطأ في البلاغ، وهذا البرهان موجود في حالة السّحر وغيرها. وإذا كان البرهان على العصمة مما خافوه موجوداً في جميع الحالات لم نخش ما ذكروا، ولم نجوّزه عليه في حين ما. ولا أظنّ قارئاً يتدبّر ذلك جيداً ثم يشك فيه. (1)

- أنّ الله . عز وجل . كما يحميهم ويحفظهم، فإنه يبتليهم وقد ثبت في الصحيح أنّ الأنبياء . عليهم السلام . هم أشدّ الناس بلاء⁽²⁾، وأين يكون البلاء إذا عصموا من جميع أنواع الأذى؟ قال ابن قيم: "أما قولكم إنّ سحر الأنبياء ينافي حماية الله تعالى لهم فإنه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته وليتسلّى بهم من بعدهم من أممهم وخلفائهم إذا أودوا من الناس فرأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا وتأسّوا بهم ولتمتلى صاع الكفار فيستوجبون ما أعدّ لهم من التكال العاجل والعقوبة الآجلة"⁽³⁾

- أما الجواب عن قولهم إنّ السّحر من عمل الشياطين والنفوس الخبيثة، فمحال أن يؤثّر في جسده . ﷺ . فهي دعوة مجرّدة، لا دليل يسندها وهيّ خلاف المستقرأ المشهور، فقد تواتر عن الأمم تواتراً يذبح الشك أنّ الضّعيف الحقير قد يتسلّط على عقول الأقوياء العظماء، بل قد يؤثّر كلام الفاجر

1 - ينظر: القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، ص: 40.

2 - روى البخاري في كتاب: المرضى ، باب: أشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل رقم (5648) عن عبد الله، قال: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعلك وعكا شديداً؟ قال: «أجل، إني أوعك كما يوعك رجال منكم» قلت: ذلك أن لك أجريين؟ قال: «أجل، ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها سيئاته، كما تحط الشجرة ورقها»

3 - ابن قيم، بدائع الفوائد، ص: 745.

المهين في عقل النبي ويتلاعب بعقله، وقد يُغيّر مجرى رأيه وفهمه⁽¹⁾ فليس هناك دليل من النقل أو العقل يمنع من تسلط الشيطان على الأنبياء . عليهم السلام . بالأذى، كيف والدليل على خلاف ما قرّره، فقد تسلط على أبينا آدم بالوسوسة حتى أخرجته من الجنة قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا

الشَّيْطَانُ لِبَدَيْهِمَا مَا أُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَيْهَمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا

مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ [الأعراف: 20] وقد تسلط على جسد نبي الله أيوب . عليه السلام

. فمرض قال تعالى ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾﴾

[ص: 41] وإذا جاز تسلطه على آدم وأيوب . عليهما السلام . فما المانع من تسلطه على نبينا . ﷺ

. فليس في العقل ما يمنعه، وليس فيه غض من منصب النبوة، والدلائل الشرعية تدل عليه إما نصاً

وإما ظاهراً⁽²⁾ قال المهلب⁽³⁾ "صون النبي صلى الله عليه وسلم من الشياطين لا يمنع إرادتهم كيده فقد

مضى في الصحيح أنّ شيطاناً أراد أن يفسد عليه صلاته فأمكنه الله منه فكذلك السحر ما ناله من

ضرره ما يدخل نقصاً على ما يتعلّق بالتبليغ بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض

من ضعف عن الكلام أو عجز عن بعض الفعل أو حدوث تخيل لا يستمر بل يزول ويطلق الله كيد

الشياطين"⁽⁴⁾

1 - ينظر: القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، ص: 42.

2 - ينظر: عيسى النعيمي، دفع دعوى المعارض العقلي عن الأحاديث المتعلقة بمسائل الاعتقاد، ص: 212.

3 - المهلب بن أحمد بن أبي صفرة أبو القاسم الأسدي، له شرح على صحيح البخاري لم يطبع، وقد نقل عنه تلميذه ابن بطّال الكثير من أرائه وفقهه من خلال شرحه للبخاري، وقد كان المهلب من أهل العلم والمعرفة والدكاء، توفي سنة (433هـ) ينظر:

القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج: 2، ص: 313/الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 29، ص: 422.

4 - ابن حجر، فتح الباري، ج: 10، ص: 238.

وقال الشنقيطي⁽¹⁾: "ويمكن أن يكون سلطه الله على جسده وماله وأهله ابتلاء ليظهر صبره الجميل، وتكون له العافية الحميدة في الدنيا والآخرة، ويرجع له كل ما أصيب فيه، والعلم عند الله تعالى، وهذا لا ينافي أن الشيطان لا سلطان له على مثل أيوب؛ لأنّ التسليط على الأهل والمال والجسد من جنس الأسباب التي تنشأ عنها الأعراض البشرية كالمرض، وذلك يقع للأنبياء، فإنهم يصيبهم المرض، وموت الأهل، وهلاك المال لأسباب متنوّعة. ولا مانع من أن يكون جملة تلك الأسباب تسليط الشيطان على ذلك للابتلاء".⁽²⁾

المطلب الرابع: رفع الإشكال

حديث سحر النبي . ﷺ . صحيح ثابت لا مطعن فيه وقد تلقه أهل العلم بالتسليم والقبول ولم ينكره أحد منهم قال ابن قَيِّم "قد اتفق أصحاب الصّحّاحين على تصحيح هذا الحديث ولم يتكلّم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله وأيامه من المتكلّمين".⁽³⁾

وكيف يستنكر أحد الحديث الثابت بالسند المتفق على صحته لمجرد توهمات عقلية، بل إنّ الحجّة على جواز السحر للأنبياء ثابتة بكتاب الله قال تعالى ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۗ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ

مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْعَى ۗ﴾ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقَ

مَا فِي يَمِينِكَ نَلَقَفَ مَا صَنَعُوا ۗ إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ ۗ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾ ﴿طه: 66/69﴾

1 - هو محمد الأمين محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا)

. ولد وتعلم بها. وحج (1367) واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض، له عدة مؤلفات منها: أضواء البيان في تفسير القرآن،

دفع إبهام الاضطراب عن آي الكتاب، توفي سنة (1393هـ) بمكة. ينظر: الأعلام، الزركلي، ج: 6، ص: 45.

2 - الشنقيطي، أضواء البيان، ج: 8، ص: 252.

3 - ينظر: ابن قَيِّم، بدائع الفوائد، ص: 745.

فقد صرّحت الآية بأنّ سحر أولئك السحّار قد أوقع نبيّ الله موسى في التّخيل حتى تغيّرت أمامه الحقائق فحسب الحبال حيّات، وكلّما صوّب إلى الحديث من نقد وشبهة يمكن أن يُصوّب إلى الآية الكريمة، وإذا استطاعوا أن يتسلّطوا بسحرهم على حاسة بصره استطاعوا أن يتسلّطوا على سائر حواسّه فالآية مثل الحديث فوجب قبول الحديث إذ لا قائل بالفرق بينهما متى صحّ النقل⁽¹⁾.

إنّ الذين طعنوا في الحديث اعتقدوا أنّ السّحر فيه قدح في النبوة وأنّ غايتهم تنزيه . ﷺ . عن ذلك، وهذا الذي قالوه غلط ظاهر ناتج عن عدم تفريقهم بين مقام التّبليغ الذي يقتضي العصمة، ومقام بشريّة الأنبياء الذي يجوز عليهم فيه ما يجوز على غيرهم من مرض وغضب وسهوّ وغيرها من الأسقام قال القرطبي: فكأنّهم لم يعلموا أنّ الأنبياء من البشر وأنّه يجوز عليهم من الأمراض، والألام، والغضب، والضّجر، والعجز، والسّحر، والعين وغير ذلك ما يجوز على البشر لكنّهم معصومون عمّا يناقض دلالة المعجزة من معرفة الله تعالى، الصّدق والعصمة عن الغلط في التّبليغ، وعن هذا المعنى عبّر الله تعالى بقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الكهف: 110] من حيث البشريّة يجوز عليهم ما يجوز عليهم، ومن حيث الخاصّة النبويّة امتاز عنهم وهو الذي شهد له العلي الأعلى بأنّ بصره ما زاغ وما طغى، وبأنّ قوله وحى يوحى، وأنّه لا ينطق عن الهوى.⁽²⁾

وبهذا يتبيّن أن الحديث صحيح في أعلى درجات الصّحة لا يخالف كتاب الله بل يؤافقه تمام الموافقة، كما أنّ العقل لا يحيله كما ادّعوه، وما ذكروه من لوازم عقليّة على بطلان الحديث هي لوازم ظاهرة البطلان ليس عليها أدنى دليل.



¹ - ينظر: القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، ص: 43.

² - ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج: 5، ص: 571.

المبحث الثاني: حديث شفاعته النبي ﷺ -

المطلب الأول: الحديث الواردة في المسألة

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فهش منها هشة، ثم قال: " أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عز وجل قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، فيقول لهم إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات - فذكرهن أبو حيان في الحديث - نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى فيأتون، موسى فيقولون: يا موسى أنت رسول الله، فضلك الله برسائله وبكلامه على الناس،

اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى ابن مريم، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبيا، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر ذنبا، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد، فيأتون محمدا فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه؟، فأنطلق فآتي تحت العرش، فأقع ساجدا لربي عز وجل، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا، لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع فأرفع رأسي، فأقول: أمي يا رب، أمي يا رب، أمي يا رب، فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده، إن ما بين المصرعين من مصاريع الجنة، كما بين مكة وحمير - أو كما بين مكة وبصرى - " (1)

- وفي رواية لهما عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعا لأمتي في الآخرة» (2)

1 - أخرجه البخاري، كتاب: كتاب التفسير، باب ﴿ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ﴿٣﴾ [الإسراء]:

[3] رقم (4712)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (194).

2 - أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة، رقم (6304)/ ومسلم، كتاب: الإيمان، باب اختباء النبي -

دعوة الشفاعا لأتمه، رقم (199)

- ولمسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأوّل من ينشقّ عنه القبر، وأوّل شافع وأوّل مشفع»⁽¹⁾

المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث

مسألة الشفاعة من المسائل المتفق عليها وردت في إثباتها أحاديث كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد، بل إنّها بلغت حدّ التواتر عند كثير من العلماء، ورغم ذلك فقد اعترض عليها جملة من المفكرين المعاصرين واعتبروا الأحاديث الواردة فيها معارضة لكتاب الله الذي يدلّ على تفرّده عزّ وجل بالشفاعة، كما أنّ القول بها منافٍ لعدل الله - عزّ وجل - وحكمته، ويمكن إجمال ما استدلوا به في ما يلي:

1. تعارضه مع القرآن:

وذلك أنّ الله عزّ وجل صرّح بتفرّده في ملكه واختصاصه به وحده، وقبول الشفاعة من الشفعاء يقتضي منازعته فيما تفرّد به سبحانه، كما أنّ الآيات القرآنية نطقت باختصاص الشفاعة بالله وحده قال مصطفى محمود⁽²⁾: هذه الثوابت القرآنية تتناقض تماما مع مرويات الأحاديث النبوية في كتب السيرة عن إخراج الرسول عليه الصلّاة والسلام لمن يشاء من أمته من النار، مما يؤكّد أنّ هذه الأحاديث موضوعة ولا أساس لها من الصّحة⁽³⁾ وقد استدلوا على نفي الشفاعة بالآيات العامة التي تدلّ على اختصاص الشفاعة بالله وحده من ذلك:

1 - أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب تفضيل نبيّنا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق، رقم (2278).
2 - " مصطفى محمود " طيب ومفكر مصري، تفرّغ للكتابة والبحث منذ سنة 1960م، فألّف أكثر من 89 كتاب في مواضيع شتى منها الدينية الفكرية، السياسية والاجتماعية، وقد اشتهر ببرنامجه التلفزيوني (العلم والإيمان)، توفي في ذي القعدة سنة 2009م. ينظر: صفحة مصطفى محمود على شبكة الأنترنت.
3 - ينظر: مصطفى محمود، الشفاعة، (القاهرة، دط، سنة: 1999) ص: 33.

قوله تعالى: ﴿ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ ﴿٤﴾ [السجدة: 4] وقوله سبحانه

﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٤٤﴾ [الزمر:

44] وقوله تعالى ﴿ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴾ ﴿٤٨﴾ [المدثر: 48] وقال عز وجل ﴿ يَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ وَالْكَافِرُونَ

هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ﴿٢٥٤﴾ [البقرة: 254]

قال نيازي: " إنَّ الكلام الذي سمعناه مهما كان جميلاً وأحببناه فإنَّه مجرد وهم وخيال لا أصل له أبداً وإشراك بالله، إذ كيف يريد لنا جنود السلطان أن نعود ونشرك بالله مرة أخرى بالإيمان من جديد بوجود شفعاء مع الله... أم هل نسينا آيات القرآن الكريم التي تنكر الشفاعة تحصرها بالله تعالى " (1)

وقال " إنَّ الرسول - ﷺ . (بحسب آيات القرآن الكريم طبعاً) يعلم أنَّه لا شفيع عند الله أبداً بحسب الآيات التي أتى بها من عند الله تعالى وحيا في كتاب القرآن الكريم، فكيف يريدنا الرَّاوي أن نصدِّقه ونصدِّق روايته بأنَّ الرسول - ﷺ . يدَّعي لنفسه شفاعة؟ ونكذِّب كلَّ آيات الله في القرآن " (2).

2. تعارضه مع العقل:

قالوا إنَّ الحديث مناقض تماماً للعقل السليم، منافٍ لحكمة الله وعدله، مكرِّس للظلم والمحاباة التي تستحيل في حقِّه سبحانه عزَّ وجل، قال مصطفى محمود : أما الشفاعة بمعنى هدم التأموس وإخراج المذنبين من النار وإدخالهم الجنَّة .. فهي فوضى الوسائط التي نعرفها في الدنيا.. ولا وجود لها في الآخرة... وكلَّ ما جاء بهذا المعنى في الأحاديث النبوية مشكوك في سنده ومصدره.. ولكنَّ المسلمين

1 - نيازي، دين السلطان، ص: 925.

2 - المرجع السابق، ص: 262.

الذين عُرفوا بالاتكاليّة قد باتوا يفعلون كلّ منكر ويرتكبون عظام الذنوب اتكالا على نبيهم الذي سوف يخرجهم في حفنة واحدة من النار ويلقي بهم في الجنّة بفضله وكرمه. (1)

وقال نيازي: " لم يسمح الله سبحانه بحسب القرآن بالشفاعة، ولو سمح لانتهى عدل الله وأصبح عدله مثل عدل السلطان على الأرض، من له شفيع يدخل جنّة السلطان، ومن لم يجد من يشفع له يدخل ناره، وهذا ما لم يسمح به الله، ولن يسمح به رب العالمين في السماء". (2)

3 . تعارضه مع القواعد الشرعيّة:

وذلك لأنّ الرّسل . عليهم السّلام . معصومون عن الوقوع في الذنوب، فكيف وصفهم الحديث بالكذب والضلال وفي تقرير هذا الاعتراض قال الموسوي: " فحديث أبي هريرة بهرائه وهذره أجنبيّ عن كلام رسول الله . ﷺ . مباين لسننه كلّ المباينة، ومعاذ الله أن ينسب إلى أنبياء الله ما اشتمل عليه هذا الحديث الغثّ التّفه، وحاشا آدم من ارتكاب المعصية بارتكاب المحرم الذي يوجب غضب الله.. وتقدّس نوح من الدّعاء إلا على أعداء الله تقربا إليه عزّ سلطانه؟ وتنزّه إبراهيم عن الكذب وعن كلّ قول أو فعل يغضب الله عزّو جل أو يخالف الحكمة، ومعاذ الله أن يقتل موسى نفسه يغضب الله لقتلها، وإتّما يقتل من لا حرمة له عند الله ولا وزن له عند أولي الألباب، وتعالى الله أن يعاملهم إلا بالحسنى، وتعالى أنّه قد يغضب عليهم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله" (3).

قال السبحاني: " . أن الأنبياء لا سيّما أولو العزم منهم معصومون عن العصيان قبل البعثة وبعدها فما معنى ما جاء فيه أنّه سبحانه غضب على آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله" (4).

1 - مصطفى محمود، الشفاعة، ص: 19.

2 - نيازي، دين السلطان، ص: 208.

3 - عبد الحسين الموسوي، أبو هريرة، ص: 78.

4 - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 346.

. ولو افترضنا أنّ الأفعال التي ارتكبتها الأنبياء تعتبر معصية لكان ذلك تناقضا فاحشا؛ لأننا مأمورون بالاعتداء بالأنبياء، ولو جاز لنا الاعتداء بهم في تلك الحالة لجاز فعل المعاصي، ولو لم يجز لنا الاعتداء بهم لكانت عصمتهم منتفية **قال النجمي:** " الغاية من إرسال الرّسل طاعتهم والانتقياد لهم، .. فالأنبياء يجب أن يكونوا مطاعين قولاً وفعلاً ، فلو افترضنا أنّه بدرت منهم معصية، لا بدّ أن تكون هذه المعصية مرادة عند الله؛ لأنّ الله هو الذي أمر بطاعة الرّسل.. ومن جهة أخرى فالمعصية منهي عنها وممنوعة، فالقول بعدم عصمة الأنبياء مستلزمة للتناقض بأنّ يأمر الله بشيء وينهى عنه". (1)

. كما أنّ فيه اقتصار النبي . ﷺ . في دعاء الشّفاة لأمته فقط ورد بقيّة الأمم وقد يكونوا من أهل الشّفاة فلماذا لم تشملهم شفاة النبي . ﷺ . قال السبحاني " إنّ هؤلاء الذين رجعوا إلى أنبيائه سبحانه إمّا أن يكونوا من أمتهم أو من أمة محمد . ﷺ . فإن كانوا من أمة نبينا . ﷺ . فما الذي دعاهم إلى أن يسألوا آدم فنوحا وإبراهيم فموسى فيعسى فمحمدا . ﷺ . ؟ وإن كانوا من غيرهم فلماذا خيّبهم سبحانه من شفاة نبينا إذا كانت فيهم قابلية للشّفاة؟ كما هو الظاهر من آخر الرواية أنّه لا يشفع إلا لأمته .. بقوله: أمّتي يا ربّ، أمّتي يا ربّ؟.. " (2)

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

الشّفاة من مسائل العقيدة الثابتة عند أهل السنة بالأدلة الصّريحة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . وأجمع عليها السلف والخلف من أهل السنّة⁽³⁾، ولم ينكر أحد من المتقدّمين الشّفاة بالكلية كما ذهب إليه بعض المعاصرين المتأثرين بالثقافة الغربية والفكر الاستشراقي وحتى الخوارج والمعتزلة أقروا ببعض أنواعها كالشّفاة في الإراحة من كرب الموقف والشّفاة في رفع الدرجات، وأنكروا ما

1 - النجمي، أضواء على الصحيحين، ص: 194.

2 - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 347.

3 - ينظر: النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 3، ص: 35.

سواها كالشفاعة في إخراج قوم من النار وذلك بناء على أصلهم في تكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار⁽¹⁾، بل إنّ حديث الشفاعة من الأحاديث النادرة التي وُصفت بالتواتر وذلك لكثرة طرقه وتعدد رواياته، وكثرة شواهدة، وقد شهدت له آيات كثيرة من كتاب الله . عزّ وجل . كما وردت آيات أخرى تدلّ على نفي الشفاعة، وقد اكتفى المعترضون بالآيات الدالة على نفيها، والواجب النظر إلى النصوص بمجموعها، ويمكن مناقشة ما تعلّقوا به من أدلة على ضعف الحديث بما يلي:

◀ أما معارضة الحديث لكتاب الله . عزّ وجل . فغير مسلم، كيف وقد دلت النصوص القرآنية على

ثبوت الشفاعة مقيدة لها بشرطين قال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (٢٥٥)

[البقرة: 255] وقال تعالى ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ (٣) [يونس: 33]

وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَلْبَسَ فَتَهَجَّدَ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩)

[الإسراء: 79] والمراد بالمقام المحمود الشفاعة العظمى التي تُخصّ بها نبينا ﷺ . على سائر الأنبياء كما ورد عن ابن عمر . رضي الله عنهما .⁽²⁾

وقال تعالى ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴾ (٨٧) [مریم: 87] وقال

تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ (١٠٩) [طه: 109] وقال تعالى:

¹ - ينظر: القاضي عبد الجبار، الأصول الخمسة، تحقق: فيصل بدير عون (الكويت، مط: لجنة التأليف والنشر، ط: 1، سنة:

1998م) ص: 90/ النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 3، ص: 35/ ابن حجر، فتح الباري، ج: 11، ص: 436.

² - عن آدم بن علي، قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما، يقول: " إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يعثه الله المقام المحمود "

أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب ﴿ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٧٩) رقم (4718). ومعنى "جُثًا" أي جماعة

كما في النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، ج: 1، ص: 239.

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ (٢٨)

﴿ [الأنبياء : 28]

وبالنظر في هذه الآيات يتبين أنّ شرطي الشفاعة المثبتة هما:

. إذن الله للشافع أن يشفع وانتفاء تحقق الشفاعة إلا بإذنه؛ لأنّ الشفاعة ملك لله لا يشاركه فيها أحد، فلزم طلبها من مالكتها سبحانه.

. رضا الله عن المشفوع له، و الرضا لا يكون إلا ممن أخلص التوحيد لله، ومن انتفى عنه هذا المعنى فلا يكون أهلا للشفاعة "فإذا انتفى عن الشفاعة هذان القيدان، فإنّها حينئذٍ تدرج تحت الشفاعة الملغاة شرعاً، وهذه هي الشفاعة الشركية التي تعلق بها أهل الإشراك وحققتها: اعتقادهم أنّ للشفاعة حقاً يستوجب به على الله شيئاً؛ من جنس ما يستحقّ به الشفعاء على الملوك والمعظمين في الدنيا، فيجيبونهم إلى طلبتهم لحاجة إليهم إما رغبةً أو رهبةً، فتكون إرادة الشافع بهذا المعنى مقيدة لإرادة الخالق ومشيئته".⁽¹⁾

فالآيات كلّها تدلّ أنّ الشفاعة ثابتة متى أذن له الله، واتّخذ عنه عهداً، ورضي له قولاً من أنبيائه وملائكته ، ورضي الله عن المشفوع له.

ولا تناقض بين الآيات التي تثبت الشفاعة والتي تنفيها؛ والمقصود بالشفاعة المنفية ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه وتلك قد بيّن الرسول ﷺ . أنّها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص.⁽²⁾

¹ - عيسى النعمي، دفع دعوى المعارض العقلي، ص: 132..

² - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 7، ص: 55.

أو أن تكون الشفاعة المثبتة ما كانت مستوفية للشروط التي ذكرها الله . عز وجل . من إذن للشافع ورضا عن المشفوع، والمنفية لم يتوفّر لها ذلك⁽¹⁾.

والواجب النظر إلى النصوص القرآنية بمجموعها؛ لأنّ كتاب الله لا يمكن أن يتعارض فما أُجمل فيه في موضع فُصلّ في موضع آخر، وما أُطلق أو عمّم في آية قد قيّد أو خُصّص في آية أخرى، ونفي الشفاعة هو ردّ صريح لما ورد في كتاب الله . عز وجل . وإثبات الشفاعة بشروطها فيه إعمال لجميع النصوص القرآنية والأحاديث النبوية ولا يجوز التناول على النصوص الصادرة من المعصوم . ﷺ . وادّعاء تعارضها مع كتاب الله لمجرد سوء فهم.

◀ أما معارضة الحديث للعقل بحجّة أنّ الشفاعة منافية لعدل الله، ومكرسة للظلم والمحاباة والوساطة فغير سليم لأنّ الشفاعة هي من عفو الله وفضل ورحمته بعباده، وقياسها على شفاعات الدنيا قياس فاسد لجلاء الفرق بين الشفاعتين حيث إنّ الشفاعة المثبتة في الآخرة تختلف اختلافاً كلياً عن وسائط الدنيا. فالوساطة في الدنيا يتوسط ولو لم يأذن له المشفوع عنده كما أنّ المشفوع عنده في الدنيا يجب شفاعة الوساطة لأنه يخافه ويرجوه ويستعين به ويتضرر بعدم إجابته شفاعتهم.

والرب سبحانه وتعالى بخلاف هذا كلّه وإنما هو يُكرم الشافع بأن يجعله يشفع ولا يشفع الشافع إلاّ بمن يريد الرب أن يرحمه فليست الشفاعة مُلكاً لأحد بل (لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعاً)

وهو الذي يُعيّن المشفوع فيه للشافع، ليس الشافع يتقدم بين يدي الجليل سبحانه مهما كانت منزلته فسيدّ الشفعاء وأكرمهم عند ربه وأعظمهم جاهاً وأقربهم منزلة محمد صلى الله عليه وسلّم يُحدّ له حدّاً يشفع فيهم. وهذه كلها فروق بين شفاعة الدنيا وشفاعة الآخرة⁽²⁾.

1 - ينظر: محمد عبد الرزاق أسود، الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة في مصر وبلاد الشام (دمشق، مط: دار الكلم الطيب،

ط: 1، سنة: 1429هـ / 2008م) ص: 529

2 - ينظر: عبد الكريم بن صالح، الشناعة على من رد حديث الشفاعة، (د م، ط: 1، سنة: 1421هـ) ص: 18.

. وأما ادعاء منافاة الحديث بسبب إخراج المذنبين من النار فجوابه أنّ الشفاعة هي عين العدل فالشفاعة تحصل للمذنبين من الموحدين ويدخلون الجنة بعد تعذيبهم بقدر ذنوبهم في النار فأين التعارض هنا؟ "إنّ الله لا يُساوي بين مختلفين ولا يفرّق بين متساويين ولا يظلم مثقال ذرة. فالذي يأتي يوم القيامة بالتوحيد وله ذنوب فيما أن يغفرها الله أو يعذب بقدر ذنوبه ثم يؤذن بالشفاعة له فكيف يُساوى هذا بالكافر؟ وانهدام الدين إنّما هو بردّ ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم. أما أن يرتكب العبد عظام الذنوب اتكالا على الشفاعة فهذا إنّما يفعله من هو من أجهل الناس لكن لا يُردّ الباطل بباطل فشفاعة النبي صلى الله عليه وسلّم ثابتة للمذنبين من أهل التوحيد من أمته وإنكار ذلك ردّ على الله أمره وعلى رسوله ما بلّغه.⁽¹⁾

ومما ينبغي التنبيه عليه أنّ المسلم وإن أثبت الشفاعة في أهل الكبائر وآمن بها، فلا ينبغي أن يكون إيمانه بالشفاعة سببا في تهاونه في ارتكاب المعاصي والآثام، بل يجب أن يكون ذلك زاجرا له عن ارتكاب المعاصي ودافعا للإقبال على طاعة الله.

◀ أما دعوى تنزيه الأنبياء عن الذنوب فهذه الشبهة سببها غلوّ الروافض الذين ادّعوا العصمة لأئمتهم فاحتاجوا إلى إثبات ذلك للأنبياء بطريق الأولى، فإنهم لما ادّعوا في علي وغيره أنّهم معصومون حتى من الخطأ احتاجوا أن يثبتوا ذلك للأنبياء بطريق الأولى والأخرى، ولما نزهوا عليا ومن هو دون علي من أن يكون له ذنبٌ يُستغفر منه كان تنزيههم للرسل أولى وأحرى.⁽²⁾ وجمهور الأمة على عصمة الأنبياء في أمر الوحي والتبليغ وجميع ما يخبرون به عن الله . عز وجل . وكذا عصمتهم من كبائر الذنوب، وأما الصغائر فالسلف قاطبة من القرون الثلاثة الذين هم خير قرون الأمة؛ وأهل الحديث

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص: 21 / 16.

² - ينظر: ابن تيمية، جامع المسائل، تحقق: محمد عزيز شمس (مط: دار عالم الفوائد، ط: 1، سنة: 1422هـ) ج: 4، ص:

والتفسير؛ وجمهور الفقهاء والصوفيّة؛ وكثير من أهل الكلام وعموم المؤمنين؛ فعلى جواز وقوعها منهم

كما دلّ عليه الكتاب والسنة⁽¹⁾ قال تعالى ﴿ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَىٰ ۗ ﴾ [طه: 121]

وقال تعالى ﴿ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۗ ﴾ [٢٣]

﴿ [الأعراف: 23] وقال تعالى ﴿ فَكَادَىٰ فِي الظُّلْمَتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي

كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۗ ﴾ [الأنبياء: 87] وغيرها من النصوص الدالة على وقوع بعض

الأنبياء في صغائر الذنوب لكنهم يسارعون إلى التوبة والإنابة منها " وإنما ابتلى الله الأنبياء بالذنوب رفعا لدرجاتهم بالتوبة وتبليغا لهم إلى محبته وفرحه بهم فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويفرح بتوبة التائب أشد فرح فالمقصود كمال الغاية لا نقص البداية؛ فإن العبد يكون له الدرجة لا ينالها إلا بما قدره الله له من العمل أو البلاء".⁽²⁾

. أما دعوى النجومي أننا مأمورون بالاعتداء بالأنبياء والتأسي بهم قولاً وفعلاً ، فلو كانت الأفعال التي قاموا بها ذنوباً لكتنا مأمورين بارتكاب الذنوب وهذا محال، فيقال له هذه مقدمة صحيحة ونتاجتها بطلانها ظاهر جلي فنحن مأمورون بالاعتداء بالأنبياء في كلّ حين ، لكن لو صدر منهم ما يجانب الصواب في بعض المواقف فإنّ الله لا يقرّهم على ذلك بل يبين لهم الصواب فنقتدي بما صوّبه لهم ربّ العزة، ولذا حدّثنا الله من فتنة الشيطان التي فتن بها أبونا آدم قال تعالى ﴿ يَبْنَؤُا آدَمَ لَا

يَفْنِنَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ ۗ ﴾ [الأعراف: 27]، وقال لنوح. عليه

1 - ينظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 20، ص: 53.

2 - المصدر السابق، ج: 20، ص: 53.

السَّلام . ﴿فَلَا تَسْتَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٤٦﴾ [هود: 46] فلو

كانت هذه الأفعال صحيحة لما نهماها الله عنها.

. وأما اقتصار النبي . ﷺ . على أمته فجوابه أنّ الشفاعة الواردة في المقام المحمود نوعان: الأول العامة في

فصل القضاء، والثاني الشفاعة في إخراج المذنبين من النار⁽¹⁾

فالذي تطلبه الأمم وحتى الأنبياء . عليهم السلام . من نبينا . ﷺ . هي الشفاعة العظمى في

الإراحة من الموقف⁽²⁾ وهو ما سيحييه . ﷺ . بقوله كما ورد في الأحاديث أنّ الناس يسألون الأنبياء

الشفاعة فيعتذرون ثم يأتون إلى النبي . ﷺ . فيقول: أنا لها، فأطلق فأستأذن على ربي، فيؤذن لي"

الحديث⁽³⁾ وأما قوله . ﷺ . " أمي أمي " فالمراد به الشفاعة الثانية وهي إخراج المذنبين من النار،

والذي أوقع المعترضين في هذا الإشكال هو اختصار الرواة للحديث قال الداودي⁽⁴⁾ "كأنّ راوي هذا

الحديث ركّب شيئاً على غير أصله وذلك أن في أول الحديث ذكر الشفاعة في الإراحة من كرب

الموقف وفي آخره ذكر الشفاعة في الإخراج من النار يعني وذلك إنّما يكون بعد التحوّل من الموقف

والمرور على الصراط وسقوط من يسقط في تلك الحالة في النار ثم يقع بعد ذلك الشفاعة في

الإخراج"⁽⁵⁾ وسبب الاقتصار على هذا القدر من الرواة مع أنّ الناس إنّما يستشفعون إلى آدم فمن

1 - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج: 11، ص: 435.

2 - ينظر: نفس المصدر، ج: 11، ص: 444.

3 - أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب عزّ وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، رقم (7510) / ومسلم، كتاب:

الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (193)

4 - هو أحمد بن نصر أبو جعفر الداودي الفقيه المالكي، قيل كان درسه وحده ولم يتفقه في أكثر علمه على إمام، له شرح

للبخاري، والنامي في شرح الموطأ، توفي بتلمسان سنة (402هـ). ينظر: ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء

المذهب، تحقّق: مأمون بن محي الدين الجنان (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1417هـ / 1996م) ص: 94 /

الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 28، ص: 56.

5 - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج: 11، ص: 446.

الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ [طه: 109] فالشفاعة ثابتة كما دلت عليها الآيات المطلقة، مقيدة

بشروطها كما دلت عليها النصوص المقيدة، هذا القول فيه إعمال لجميع النصوص.

. إجماع السلف والخلف من أهل السنة على إثبات الشفاعة كما نقل ذلك غير واحد من الأئمة

الأعلام قال القاضي عياض " وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها ومنعت

الخوارج وبعض المعتزلة منها وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار"⁽¹⁾، وقال أبو زكريا

السلماسي⁽²⁾ " وأجمعوا أن الشفاعة حق ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ﴿٧٩﴾ [الإسراء:

79] وقال ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ ﴿٥﴾ [الضحى: 05] كما جاء في التفسير أنه

الشفاعة"⁽³⁾.



¹ - القاضي عياض، إكمال المعلم ج: 1، ص: 565.

² - هو أبو زكريا يحيى بن إبراهيم السلماسي ، قدم بغداد ووعظ بها وكان له القبول التام ثم رحل عنها وتوفي بسلماس سنة خمسين وخمسمائة. ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 37، ص: 416.

³ - ينظر: أبو زكريا السلماسي، منازل الأئمة الأربعة، تحقق: محمود بن عبد الرحمن قده (مط: مركز ودود للمخطوطات، ط: 1، سنة: 1422 / 2002م) ص: "123.

المبحث الثالث: حديث سهو النبي - ﷺ - في الصلاة

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن أبي هريرة، قال: صَلَّى بنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إحدى صلاتي العشي - قال ابن سيرين: سماها أبو هريرة ولكن نسيت أنا - قال: فصلّى بنا ركعتين، ثمّ سلّم، فقام إلى خشبة معروضة في المسجد، فاتكأ عليها كأنه غضبان، ووضع يده اليمنى على اليسرى، وشبك بين أصابعه، ووضع خده الأيمن على ظهر كفه اليسرى، وخرجت السرعان من أبواب المسجد، فقالوا: قصرت الصلّاة؟ وفي القوم أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه، وفي القوم رجل في يديه طول، يقال له: ذو اليدين، قال: يا رسول الله، أنسيت أم قصرت الصلّاة؟ قال: «لم أنس ولم تقصر» فقال: «أكما يقول ذو اليدين» فقالوا: نعم، فتقدّم فصلّى ما ترك، ثم سلّم، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول، ثم رفع رأسه وكبر، ثم كبر وسجد مثل سجوده أو أطول ثم رفع رأسه وكبر، فرمما سألوه: ثم سلّم؟ فيقول: نبئت أن عمران بن حصين، قال: ثم سلّم⁽¹⁾

. ولمسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: صلى لنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم صلاة العصر، فسلم في ركعتين، فقام ذو اليدين...» الحديث⁽²⁾

. ولمالك في الموطأ أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ركع ركعتين من إحدى صلاتي النهار: الظهر أو العصر. فسلم من اثنتين. فقال له ذو الشمالين رجلٌ من بني زهرة بن كلاب: أقصرت الصلّاة يا رسول الله أم نسيت؟ فقال له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: «ما قصرت الصلّاة»

1 - أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: تشبيك الأصابع في المسجد وغيره، رقم (482)/ ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع

الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له (573)

2 - أخرجه ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له، رقم (573).

وما نَسِيت»، فقال ذو الشِّمالين: قد كان بعض ذلك يا رسول الله فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على النَّاس فقال: «أصدق ذو اليدين؟» فقالوا: نعم يا رسول الله فأتمَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقِيَ من الصَّلَاةِ ثم سلَّم " (1)

المطلب الثاني: الانتقادات الموجَّهة للحديث

سهو النبي . ﷺ . من المسائل التي نالت حظاً وافراً من الدِّراسة خصوصاً عند الشيعة الإمامية، وذلك طرداً لأصلهم في القول بعصمة أئمتهم ومن ثمَّ الأنبياء بطريق الأولى في جميع ما يصدر عنهم، وقد اعتبروا حديث أبي هريرة طعناً صريحاً في مقام النبوة، وقدحاً في خشوعه ومناجاته لربه؛ لأنَّ السَّهْو الفاحش والغفلة المفرطة من صفات اللاهين الغافلين عن مناجاة ربِّهم، وليست من صفات عباد الله المخلصين، وقد تمسَّكوا في ردِّ الحديث بجملة من المعارضات واللوازم العقلية والتي من أهمها:

1. معارضة الحديث للحقائق التاريخية الثابتة:

وذلك أنَّ الحديث يدلُّ على أنَّ أبا هريرة كان حاضراً في تلك الصَّلَاة التي سها فيها النبي . ﷺ . ولو لم يكن حاضراً لما صوَّرها بتلك الصَّورة، وفصلَّ حركات النبي . ﷺ . وحالاته من قيامٍ واتِّكاء، ووضع اليمنى على اليسرى، وتشبيك الأصابع، كما أنَّ رواية أبي هريرة صريحة في حضوره " صلى بنا رسول الله . ﷺ . .. " كما في الصَّحيحين، والحقائق التاريخية الثابتة تشهد بكذب هذه الرواية؛ لأنَّ ذا اليدين المذكور في الحديث هو ذو الشِّمالين كما في رواية الموطأ، وقد ثبت يقيناً أنَّه استشهد في غزوة بدر، أي قبل إسلام أبي هريرة بزمان كبير، وهذا يؤكِّد أنَّ الحديث كذبٌ صراح، وفي تقرير هذه الشبهة يقول التَّحْمِي: "ومَّا يجدر بالذِّكر أنَّ ذا اليدين المذكور في الحديث هو ذو الشِّمالين الذي

1 - رواه مالك في الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثي، تحق: بشار عواد معروف (بيروت، مط: دار الغرب الإسلامي ط: 2، سنة: 1417هـ / 1997م) كتاب: الصلاة، باب ما يفعل من سلَّم من الصلاة ساهي، رقم (249).

استشهد في غزوة بدر، وذلك قبل أن يسلم أبو هريرة بخمس سنوات، وبناء على هذا كيف يدّعي أبو هريرة رؤية ذي اليمين مع الفارق الزمني الطويل بين استشهاد ذي اليمين وإعلان أبي هريرة إسلامه فهذا أمر مريب⁽¹⁾

وقال شرف الدين الموسوي: " فهذه الأحاديث كلها صريحة في أنّ ذا اليمين المذكور في حديث أبي هريرة إنما هو ذو الشمالين ابن عبد عمرو وحليف بني زهرة، ولا ريب في أنّ ذا الشمالين المذكور قتل يوم بدر قبل أن يسلم أبو هريرة بأكثر من خمس سنين، وأنّ قاتله أسامة الجشمي، نص على ذلك ابن عبد البر وسائر أهل الأخبار فكيف يمكن أن يجتمع مع أبي هريرة في الصلاة خلف رسول الله - ﷺ . يا أولي الألباب؟؟⁽²⁾

2. تعارض روايات الحديث واضطرابها:

وحتّتهم أنّ أبا هريرة قد اضطرب في هذا الحديث اضطرابا فاحشا فمرة يحدّد هذه الصلاة، ومرة يطلقها، ومرة يجعلها الظهر ومرة العصر، وهذا التناقض يسقط الاعتداد بالحديث قال الموسوي: " وذلك أنّ أبا هريرة قد اضطرب في هذا الحديث، وتعارضت أقواله، فتارة يقول: صلّى بنا إحدى صلاتي العشيّ إمّا الظهر وإما العصر - على سبيل الشك - وأخرى يقول صلّى بنا صلاة العصر - على سبيل القطع بأنّها الظهر - وثالثة يقول: بين أنا أصليّ مع رسول الله صلاة الظهر - على سبيل القطع بأنّها الظهر - وهذه الروايات كلّها ثابتة في صحيح البخاري ومسلم كليهما؛ وقد ارتبك فيها شارحوا الصّحّحين ارتباكا دعاهم إلى التعسّف والتكلّف " ⁽³⁾

1 - النجمي، أضواء على الصحيحين، ص: 248.

2 - الموسوي، أبو هريرة، ص: 89 / 90.

3 - المرجع السابق، ص: 88.

3 . معارضة الحديث للقواعد الشرعية الثابتة:

وذلك أنّ الحديث فيه منافاة لعصمة النبي . ﷺ . كما أنّه دلّ على جملة من الأفعال المنافية تماما لما كان عليه الرسول . ﷺ . من العبادة والخشوع والمناجاة لربه من ذلك:

. أنّ مثل هذا السهو الفاحش ونسيان نصف أركان الصلاة هو حال الغافلين الساهين عن ربهم، وحاشا أنبياء الله من أحوال الغافلين، وخصوصا خاتم النبيين . ﷺ . الذي عُرف بكثرة عبادته وشدة خشوعه ومناجاته لربه.

. إنكار النبي . ﷺ . بقوله لذي اليمين " لم أنس ولم تقصر " ولو فرضنا عدم عصمته عن السهو فإنّ عصمته عن المكابرة والتسرّع بالأقوال المخالفة للواقع واجبة عند جميع المسلمين.

. من المتيقن أنّ كلّ ما يغيّر صورة الصلاة فهو مبطل لها، وهذا العمل الصادر من رسول الله . ﷺ . تحركه عن مصلاه وعوده إليه مرة أخرى وإتمام صلاته مناقض ومخالف للحكم المقطوع بثبوته عنه.⁽¹⁾

المطلب الرابع: مناقشة الانتقادات

إنّ العلل التي تعلّق بها المعترضون على الحديث لا تقوى على ردّ الصحيح الثابت عن رسول الله . ﷺ . بل إنّها تدلّ على عدم معرفتهم بقواعد المحدثين ومناهجهم في التصحيح والتضعيف، فلعلّ فنّ أربابه الذين هم أخبر به، والمرجع إليهم فيه، وليس لكلّ أحد إرسال الكلام على عواهنه دون تقديم دليل يقوم عليه طعنهم وتكذيبهم، وما ذكروه من طعون في الحديث يُجاب عنها بما يلي:

◀ أمّا قولهم إنّ أبا هريرة لم يشهد هذه الواقعة فإنّ هذا الاعتراض غير وارد ألبيته، وقد اعتمدوا في إيراده على رواية الزهري كما في الموطأ الذي جعل ذا الشمالين هو نفسه ذا اليمين، وقد بيّن العلماء

¹ - ينظر: النجمي، أضواء على الصحيحين، ص: 249 / شرف الدين الموسوي، أبو هريرة، ص: 88/87.

أنّ ذا الـيدـين الذي نـبّه النبي ﷺ . غير ذي الشمالين، فـذو الشمالين⁽¹⁾ هو: عمير بن عبد عمرو بن نـضـلة و بن غـبـشان بن مالك بن أفـصى الخـزاعي، حـليف بني زهـرة، ذكـره موسى بن عـقـبة فيمن شهد بدرًا واستشهد بها، وكذا ذكره ابن إسحاق وغيره، وذو الـيدـين⁽²⁾: اسمه الخرياق بن عمرو، بخاء معجمة مكسورة، وبموحدة وقاف، وهو من بني سليم.

والإمام الزهري⁽³⁾ رغم جلالته قدره، وعظيم أثره في هذا الفن قد خطّاه العلماء في هذه الرواية⁽⁴⁾ وبيّنوا غلطه فيها، قال ابن عبد البر: " لا أعلم أحدا من أهل العلم والحديث المصنّفين فيه عوّل على حديث ابن شهاب في قصة ذي الـيدـين لاضطرابه فيه وأنّه لم يتمّ له إسنادا ولا متنا وإن كان إماما عظيما في هذا الشأن فالغلط لا يسلم منه أحد والكمال ليس لمخلوق وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ . فليس قول ابن شهاب إنه المقتول يوم بدر حجة لأنّه قد تبين غلطه في ذلك"⁽⁵⁾.

1 - ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة في تمييز الصحابة، (دون معلومات) ج: 2، ص: 22، رقم (1546)/ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1415 رقم (2464) ج: 2، ص: 345.

2 - ينظر: النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 185، رقم (161)/ابن الأثير، أسد الغابة في تمييز الصحابة، ج: 2، ص: 27، رقم (1560) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، رقم (2487) ج: 2، ص: 350.

3 - هو محمد بن عبد الله بن عبيد الله بن شهاب الزهري المدني، أمير المؤمنين في الحديث، روى عن بعض الصحابة كأنس وأبي الطفيل، وأخذ عنه الليث والأوزاعي ومالك وغيرهم، توفي سنة (124هـ). ينظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج: 8، ص: 227/ النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 90.

4 - ينظر: الشافعي، اختلاف الحديث، (بيروت، مط: دار المعرفة، سنة: 1410هـ/1990م) ج: 8، ص: 652/ابن بطلان، شرح صحيح البخاري، ج: 3، ص: 221/ ابن عبد البر، التمهيد، ج: 1، ص: 366/ أبو الوليد الباجي، المنتقى شرح الموطأ (القاهرة، مط: دار الكتاب الإسلامي، ط: 2، د ت) ج: 1، ص: 175/ النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 5، ص: 72/ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 21، ص: 93/ ابن حجر، فتح الباري، ج: 3، ص: 117.

5 - ابن عبد البر، التمهيد، ج: 1، ص: 366.

وقال ابن بطلال " وقولهم: إنَّ ذا الـيدين قتل يوم بدر، فغير صحيح، وإِنَّمَا المقتول يوم بدر ذو الشِّمالين،.. وقد اضطرب الزهري في رواية حديث ذي الـيدين، فجعله ذا الشِّمالين المقتول ببدر، وترك العلماء حديثه"⁽¹⁾ وقال النُّوي: " وليس هو ذا الشِّمالين الذي قُتِل يوم بدر؛ لأنَّ ذا الشِّمالين خزاعي قُتِل يوم بدر، وذو الـيدين سلمى عاش بعد النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زماناً حتى روى المتأخرون من التابعين عنه"⁽²⁾.

◀ وأما تعارض روايات الحديث، فالحديث لا يعتبر متعارضاً متى أمكن الجمع أو التَّرجيح⁽³⁾ وقد رجَّح أكثر العلماء رواية العصر لما ورد في رواية عمران بن حصين⁽⁴⁾ التي لم يختلف الرواة فيها أنَّها العصر، وكان أبو هريرة يرويها على الشُّك، وتارة يغلب على ظنِّه العصر فيجزم بها، وربما يغلب على ظنِّه الظهر فيجزم بها قال ابن حجر: " فإن قلنا إنَّهما قصة واحدة فيترجَّح رواية من عيَّن العصر في حديث أبي هريرة"⁽⁵⁾.

ثم لو لم تتعيَّن صلاة العصر وبقيَّ الحديث على الشُّك فإنَّ ذلك لا يضير الحديث في شيء؛ لأنَّ الغاية بيان ما في القصة من أحكام شرعية وليس تحديد نوع الصَّلَاة التي وقع فيها السُّهو، و الاختلاف في تعيين الصَّلَاة بين الظُّهر والعصر، لا أثر له في الحكم فالصَّلَاتان رابعيتان متطابقتان في الأقوال والأفعال والرَّكعات ولا تختلفان سوى في التسميَّة، وعليه لا يكون الخلاف في تعيين إحدى الصَّلَاتين مؤثراً في صحَّة الحديث.

1 - ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، ج: 3، ص: 222.

2 - النُّوي، تهذيب الأسماء واللغات، ج: 1، ص: 185.

3 - ينظر: السخاوي، فتح المغيِّث، ج: 2، ص: 70.

4 - عن عمران بن حصين، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر، فسلم في ثلاث ركعات، ثم دخل منزله، فقام إليه رجل يقال له الخرباق، وكان في يديه طول.. " الحديث أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب السُّهو في الصلاة والسجود له، رقم (574)

5 - ابن حجر، فتح الباري، ج: 3، ص: 117.

◀ وأما معارضة الحديث للقواعد الثابتة فالجواب عنه من وجهين مجمل ومفصل:

. أما المجمل فيقال إنّ الذين رووا لنا شدة خشوع النبي . ﷺ . ومناجاته لربّه، هم الذين نقلوا لنا سهوه ونسيانه . ﷺ . في الصلاة فوجب تصديقهم في جميع ما رووا متى صحّ النقل عن رسول الله . ﷺ . وقد ثبت الحديث من رواية الثقات الأثبات في الصّحّاحين وغيرهما من كتب السنّة فوجب قبول ما دلّ عليه .

وأما المفصل فإنّ السّهو الفاحش لا يدل دائماً على الغفلة، ولهذا لم يحفظ عنه السّهو . ﷺ . سوى في مواطن يسيرة جداً، وهي لا تدلّ على غفلته بل قد يشغله أمر عظيم يلهيه عن صلاته، فقد بوّب البخاري في كتابه "باب يُفكّر الرّجل الشّيء في الصّلاة" وقال عمر رضي الله عنه: «إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة» ثم روى أنّ النبي . ﷺ . صلّى العصر، فلما سلم قام سريعاً دخل على بعض نسائه، ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعجبهم لسرعته، فقال: «ذكرت وأنا في الصلاة تبرأ عندنا، فكرهت أن يمسي - أو يبيت عندنا - فأمرت بقسمته»⁽¹⁾، كما أنّ في وقوع السّهو منه . ﷺ . حكمٌ عظيمة منها : أنّ الأنبياء بشر يجري عليهم ما يجري على البشر من غضب ونسيان وسهو قال . ﷺ . " إنّما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني.. " ⁽²⁾ ومنها تشريع حكم السهو في الصلاة ليكون تشريعاً عاماً للأمة في حالة السّهو أو التّسيان.

. أمّا قوله " لم أنس ولم تقصر " فإنه . ﷺ . إنّما قال ذلك لاعتقاده وظنّه أنّه لم يقع منه شيء من ذلك، قوله لم أنس : أي في اعتقاده لم ينس منها شيئاً وهذا إخبار عن حاله التي كان عليها في الصّلاة،

1 - أخرجه البخاري، كتاب العمل في الصلاة، باب يفكّر الرّجل الشّيء في الصلاة، رقم (1221).

2 - أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجّه نحو القبلة حيث كان، رقم (401) / ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة،

باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (572)

فليس مبنى الجواب كون الصدق المطابقة للظن بل إنه مطابقة الواقع، فإنه إنما سلّم من ركعتين لاعتقاده أنه أتمها فلما سأل أصحابه وذكروا أنه وقع منه السهو قام وصلى ما بقي وسجد للسهو⁽¹⁾.
 . وأما دعواهم أنّ الأفعال التي قام بها النبي ﷺ . وحديثه مع الصحابة مبطل للصلاة فكيف بنى على الركعتين ولم يُعد الصلاة؟ فالجواب عنه أنّ الحديث يُستدلّ به على أنّ الكلام لمصلحة الصلاة لا يبطلها، وأنه مخصّص لعمومات التصوص التاهية عن الكلام في الصلاة، ولا يُستدلّ على ضعف الحديث بقياس العقول، وجمهور العلماء (عدا أبي حنيفة⁽²⁾) على جواز البناء على الصلاة التي خرج منها ساهيا، وأنّ الأفعال الكثيرة التي ليست من جنس الصلاة إذا وقعت سهوا أو مع ظن التمام لا تفسد الصلاة⁽³⁾.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

يتبيّن من خلال ما سبق أنّ الحديث صحيح في أعلى درجات الصّحة، كما أنّ سهو ﷺ . ونسيانه لا يقدر في عصمته بأي وجه من الوجوه، وكيف يقدر فيها وقد تواترت التصوص والأخبار الدالة

1 - ينظر: ابن رجب، فتح الباري، ج: 9، ص: 444/ محمد بن عبد الهادي السندي، حاشية السندي على سنن

النسائي (حلب، مط: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط: 2، سنة: 1406هـ / 1986م) ج: 3، ص: 21.

2 - مذهب أبي حنيفة أنّ الحديث محمول على الحالة التي كان يباح فيها التكلم في الصلاة وهي ابتداء الإسلام ثم نسخ هذا

الحكم بحديث معاوية بن الحكم السلمي المشهور ينظر: علاء الدين الكاساني بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (بيروت، مط: دار

الكتب العلمية، ط: 2، سنة: 1406هـ / 1986م) ج: 1، ص: 234/ ابن عابدين، رد المختار على الدر المختار (بيروت،

مط: دار الفكر، ط: 2، سنة: 1412هـ / 1992) ج: 1، ص: 615.

3 - ينظر: مدونة أنس بن مالك (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1415هـ / 1994م) ج: 1، ص: 219/ ابن

رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (مط: دار المعرفة، ط 2، سنة: 140هـ / 1982م) ج: 1، ص: 119/ النووي، شرح

صحيح مسلم، ج: 5، ص: 73/ ابن قدامة، المغني، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد (الرياض، مط:

دار عالم الكتاب، ط: 3، سنة: 1417هـ / 1997م) ج: 2، ص: 403/ ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ص: 94/ ابن رجب،

فتح الباري، ج: 9، ص: 444/ ابن حجر، فتح الباري، ج: 3، ص: 118/ الشوكاني، نيل الأوطار، ج 3، ص: 132.

على بشرية الأنبياء، وأهم ينسون قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ

عَزْمًا ﴿١١٥﴾ [طه: 115] وقال تعالى ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِن أَمْرِي عُسْرًا

﴿٧٣﴾ [الكهف: 73] وقد صحَّ عن رسول الله ﷺ . أنه قال " إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما

تسبون، فإذا نسيت فذكروني.. " ⁽¹⁾ فهذا السهو من تمام التبليغ والعصمة للوحي من الخلل والتقص
والله أعلم.



¹ - أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم (401)/ ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (572).

المبحث الرابع: حديث طواف سليمان - عليه السلام - على

نساء في ليلة واحدة

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " قال سليمان: لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل: إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعا، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، وايم الذي نفس محمد بيده، لو قال: إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون" (1)

. عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على سبعين امرأة،... " الحديث وفي آخره "قال شعيب وابن أبي الزناد: تسعين وهو أصح (2)

وفي رواية عن هريرة، قال: كان لسليمان ستون امرأة، فقال: لأطوفن الليلة على نسائي.. " الحديث (3)

. وللبخاري عن أبي هريرة قال: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة بمائة امرأة، تلد... " الحديث (4)

1 - أخرجه البخاري، كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كان يمين النبي ﷺ. " وايم الله " رقم (6639) / ومسلم، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الاستثناء، رقم (1654).

2 - أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رقم (3424) / ومسلم، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الاستثناء، رقم (1654).

3 - أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: في المشيعة والإرادة، رقم (7469) / ومسلم، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الاستثناء، رقم (1654).

4 - أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب: قول الرجل لأطوفن الليلة على نسائي، رقم (5242).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

لا غرو أن يتكلم المعترضون على هذا الحديث فهو من رواية أبي هريرة . رضي الله عنه . وكلّ حديث يرويه هذا الصحابي الجليل فالأصل فيه الضعف عندهم، وبالأخص إذا كان هذا الحديث عن الأمم السابقة كقصص الأنبياء، وعلاقتهم مع أقوامهم، وما وهبهم الله من معجزات وخوارق للعادات فكلّ ذلك مردود عندهم بل إنك تراهم يسارعون ويتسابقون في بيان علل واشكالات كلّ حديث يرويه هذا الصحابي الجليل، ومن ذلك حديث طواف سليمان على نسائه في ليلة واحدة فقد اعتمدوا في ردّه على جملة من المعارضات والتي من أبرزها:

1. معارضة الحديث لكتاب الله:

وممن استروح بهذه المعارضة السبحاني، الذي اعتبر الحديث معارضا تماما لكتاب الله الذي وصف نبيه سليمان . ﷺ . بأعلى الصفات وأحسنها كالعلم والأوبة والحكمة قال تعالى ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [ص: 30] وقال تعالى ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّكَابٍ ﴾ [ص: 40] ﴿ وَقَالَ تَعَالَىٰ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل: 15] " أفصح ليّ قد أطراه الذكر الحكيم بما تلونه عليك، أن يخبر أنّ نساءه سيلدن ستين فارساً؟! فإن علم به من طريق الغيب فلماذا تخلف الخبر عن المطابقة؟! وإن لم يعلم به كذلك، كيف تفوّه به بضرس قاطع؟! (1)

1 - ينظر: السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 330.

2. تعارض روايات الحديث قي ما بينها:

قالوا قد وقع اختلاف كبير بين الروايات في تعيين عدد النساء اللائي طاف بهنّ سليمان . عليه السلام . وهذا من أكبر الأدلة على زيف الحديث ووضعه قال النجمي: " وكل هذه الأعداد مروية في صحيح البخاري ومسلم، وهذا الاضطراب في العدد دليل واضح على كون الحديث من المجموعات والموضوعات".⁽¹⁾

وقال الموسوي: "إنّ أبا هريرة قد اضطرب في عدّه نساء سليمان.. وهذه الروايات كلّها في صحيح البخاري ومسلم ومسنّد أحمد فما أدري ما يقوله فيها المعتذرون عن هذا الرجل؟"⁽²⁾

3 معارضة الحديث للواقع والحسّ:

إنّ دعوى طوافه على هذا العدد الكبير من النسوة دعوة معارضة للواقع المشاهد، مخالفة لنواميس الطبيعة ولا يمكن وقوعها، ولو افترضنا وقوعها ومقدرة سليمان على ذلك، فإنّ الليلة لا تكفي للطواف بكل هؤلاء النسوة!؛

وفي تقرير هذه الشبهة يقول الموسوي: "إنّ القوة البشريّة لتضعف عن الطواف بهن في ليلة واحدة مهما كان الانسان قويًا، فما ذكره أبو هريرة من طواف سليمان . ﷺ . مخالف لنواميس الطبيعة، لا يمكن عادة وقوعه أبدا"⁽³⁾ وقال إسماعيل الكردي: "والإشكال الآخر: كيف لإنسان بشر أن يطوف على مائة امرأة فيجامعهنّ كلهن في ليلة واحدة"⁽⁴⁾

1 - النجمي، أضواء على الصحيحين، ص: 219.

2 - الموسوي، أبو هريرة، ص: 70.

3 - المرجع السابق، ص: 69.

4 - إسماعيل الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، ص: 187.

4. معارضة الحديث لبدائه العقول:

لا يمكن لسليمان . عليه . السلام أن يترك التعليق بالمشيئة، وما يمنعه من قول إن شاء الله؟ وهو من الدعاة إلى الله . عزّ وجل . وإنما يتركها الغافلون عن الله، الجاهلون بأنّ الأمور كلّها بيده، وحاشا أنبياءه عن الغفلة.⁽¹⁾ قال إسماعيل الكردي: " كيف يُذكَرُ نبي عظيم من أنبياء الله تعالى وهو سليمان الحكيم الذي يسمّى بذلك لحكمته ورجاحة رأيه بضرورة الاستثناء بإذن شاء الله فيرفض أن يقولها؟! ⁽²⁾

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

إنّ النصوص النبويّة الثابتة بالسند الصحيح لا تردّ لمجرد بدوّ مخالفة ظاهرة، كما أنّ إقحام العقل وجعله حاكماً على كلّ النصوص أمر لا يستقيم، إذ العقول تختلف وتتفاوت، وكثير من المعارضات التي ذكروها إذا تأملت هي واقعة في أفهامهم لا في النصوص الصادرة عن المعصوم؛ لأنّه لا يمكن أن تجد نصاً صحيحاً يعارض عقلاً صريحاً، وهؤلاء يسارعون إلى اتّهام النصوص لأدنى معارضة، ولا يتّهمون عقولهم بالتّقصير أو القصور عن المراد، وأما ما ذكروه من استشكالات ومعارضات للحديث فالجواب عنها كما يلي:

◀ أمّا دعوى معارضة الحديث لما وصف الله به نبيّه في كتابه، فكيف يخبر سليمان أنّ نساءه سيلدن ستين فارساً؟ إنّ هذا الاعتراض ناتج عن ظنّه أنّ ذلك مذمّة له، والحقيقة أنّ ذلك منقبة له، وأنّ ذلك كان من حرصه ورغبته في الخير وإعلاء كلمة الله بجهد أعدائه قال ابن حجر " فيه ما خصّ به الأنبياء من القوّة على الجماع الدال ذلك على صحّة البنية وقوّة الفحوليّة وكمال الرجوليّة مع ما

1 - ينظر: الموسوي، أبو هريرة، ص: 69/ النجمي، أضواء على الصحيحين، ص: 219.

2 - ينظر: إسماعيل الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، ص: 188.

هم فيه من الاشتغال بالعبادة والعلوم وقد وقع للنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذلك أبلغ المعجزة لأتته مع اشتغاله بعبادة ربه وعلومه ومعالجة الخلق كان متقللاً من المآكل والمشارب المقتضية لضعف البدن على كثرة الجماع ومع ذلك فكان يطوف على نساته في ليلة بغسل واحد وهنّ إحدى عشرة امرأة وقد تقدم في كتاب الغسل ويقال إن كل من كان أتقى لله فشهوته أشدّ لأنّ الذي لا يتقي يتفرج بالنظر ونحوه" (1)

وأما قول السبحاني فإن علم به من طريق الغيب كيف تخلف الخبر، وإن لم يكن كذلك كيف نطق به؟ فهذا الاستشكال قد تلقّفه من كتاب كشف المشكل من حديث الصحيحين، وقد ذكره ابن الجوزي للجواب عنه والردّ على ما يمكن أن يتوهمه البعض من التناقض فيه فقال إن قال قائل: من أين لسليمان أن يخلق من مائه في تلك الليلة مائة غلام، لا يجوز أن يكون بوحى لأنه ما وقع، ولا يجوز أن يكون الأمر في ذلك إليه، لأنّه لا يكون إلا ما يريد الله؟ ثم أجاب عنه فقال: إنّه من جنس التّمّي على الله، والسؤال له أن يفعل، والقسم عليه، كقول أنس بن النضر: والله لا تكسر سن الرّبيع (2). غير أنّه لما خلا لفظه من استثناء لم يسامح مثله بتركه، ذلك لأنّه نبيّ يقتدى به (3).

◀ وأما تعارض روايات الحديث واضطرابه، فجوابه من وجهين:

. إنّ المحدثين لا يردّون الحديث لمجرد تعارض رواياته، بل لا بدّ من تعدّد الجمع أو التّرجيح، فإن أمكن الجمع فهو أولى وإن تعدّد فترجيح رواية الأحفظ أو الأكثر وغيرها من وجوه التّرجيحات المعتمدة ولا

1 - ابن حجر، فتح الباري، ج: 6، ص: 530.

2 - ينظر: عبد الرحيم العراقي، التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحق: عبد الرحمن محمد عثمان (المدينة المنورة، مط: المكتبة السلفية، ط: 1، سنة: 1389هـ / 1969م) ص: 124 / بدر الدين الزركشي، النكت على مقدمة ابن الصلاح، ج: 2، ص: 227 / السخاوي، فتح المغيث، ج: 2، ص: 70.

3 - ينظر: ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج: 3، ص: 446.

يطلق عليه حكم الاضطراب ولا له حكمه⁽¹⁾ وللعلماء في المسألة قولان:

. الجمع وقد جنح إليه ابن حجر فقال: فمحصل الروايات ستون وسبعون وتسعون وتسعون ومائة والجمع بينها أن الستين كن حرائر وما زاد عليهن كن سراري أو بالعكس وأما السبعون فللمبالغة وأما التسعون والمائة فكن دون المائة وفوق التسعين فمن قال تسعون ألغى الكسر ومن قال مائة جبره⁽²⁾.

وقد مال البخاري إلى ترجيح رواية " تسعون امرأة" لأنه بعد أن ذكر رواية " لأطوفن الليلة على سبعين امرأة،... "قال: قال شعيب وابن أبي الزناد: تسعين وهو أصح⁽³⁾.

. لو تساوت هذه الروايات من كل الأوجه وما أمكن الجمع أو الترجيح بينها فإنّ مثل هذا الشك لا يقدر في صحّة الحديث؛ لأنّ الغرض الذي سيق لأجله الحديث ليس تحديد عدد النساء، وإنّما سيق لبيان ضرورة التعلّق به سبحانه وإدامة ذكره ومراقبته، وليعلم الناس أنّ الأمر لله وحده، ونظير ذلك اختلافهم في ثمن جابر المشهور، وكذا اختلافهم في تحديد الصلاة التي سها فيها النبي . ﷺ . كما في حديث ذي اليمين السابق.

◀ أما دعوى استحالة طواف سليمان على هذا العدد من النساء، وأنّ الوقت لا يكفي لذلك فجوابه من عدّة وجوه:

1 - عن أنس أن الربيع وهي ابنة النضر كسرت ثنية جارية، فطلبوا الأرش، وطلبوا العفو، فأبوا، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بالقصاص، فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع يا رسول الله، لا والذي بعثك بالحق، لا تكسر ثنيتها، فقال: «يا أنس كتاب الله القصاص»، فرضي القوم وعفوا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب الصلح في الدية، رقم (2703).

2 - ينظر: فتح الباري، ج: 6، ص: 531.

3 - ينظر: البخاري، الصحيح، ج: 2، ص: 483، رقم (3424).

. أن مثل هذا الأمر لا يستنكره إلا من فزق بين كتاب الله وسنة رسوله، وإلا كيف يكذب ذلك؟ ولا

يكذب تكليم سليمان للدواب، وتصريفه للجن، وجريان الريح بأمره، قال الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ

لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ [٣٥] فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ

أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَعَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَعَآخِرِينَ مُقْرِنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ [ص: 38-35]

فأيهما أشد استنكاراً، ما ذكرته السنة، أو ما ذكره القرآن، ولكن حال المسلم أمام المعجزات وخوارق العادات النَّظَر إلى السَّنَد، فإذا صحَّ النقل سلَّم العقل.

. المعترضون على الحديث انطلقوا من قياس بشريَّة الأقسام السابقين على بشريَّتهم، وهذا غلط ظاهر

وقد ذكر الله . عزَّ وجل . للأقسام السابقين الكثير من الصِّفَات التي لا مقدرة لنا بها قال تعالى

﴿ كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا ﴾ [٦٦] ﴿ [التوبة:

69] وقال تعالى ﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴾ [الحجر: 82] فقد كانوا أشد منا

قوة، وأكثر جمعا، وأكثر أموالا وأولادا واستغلالا للأرض، وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا، وقال تعالى

عن نوح . عليه السلام . ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا

﴿ [العنكبوت: 14] فلو لم يذكر الله ذلك في كتابه أكانوا يصدِّقون هذا، أم يستنكرونه؟! ﴿ [١٤]

. ومن ماثرات الغلط في هذا القياس أيضا أنهم قاسوا بشريَّتهم على بشريَّة الأنبياء . عليهم السلام .

وقد خُصَّ الأنبياء . عليهم السلام . في أجسامهم وعبادتهم ومعجزاتهم، ولهذا ثبت عن النبي . ﷺ . أنه

كان يدور على نسائه في الساعة الواحدة، كما في حديث أنس بن مالك : « كان النبي صَلَّى اللهُ

عليه وسلّم يدور على نسائه في الساعة الواحدة، من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة» قال: قلت لأنس أوكان يطيقه؟ قال: كُنَّا نتحدّث «أنه أعطي قوة ثلاثين»⁽¹⁾

◀ وأما تساؤلهم عن عدم قول سليمان . عليه السلام . إن شاء الله، وأنه لا يمكن أن يتركها، فقد نسي ذلك سليمان . عليه السلام . كما في الرواية الثانية "فقال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي"⁽²⁾ والنسيان وارد على الأنبياء، وتواترت النصوص القرآنية على نسيانهم كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلِ فَتَنَىٰ وَلَمْ يُخِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ﴿١١٥﴾ [طه: 115] وقد صحّ عن

رسول الله . ﷺ . أنه قال " إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني.. " ⁽³⁾ ثم إن سليمان . عليه السلام . لم يقل إن شاء الله بلسانه، لا أنه غفل عن التفويض إلى الله تعالى بقلبه، فإنه لا يليق بمنصب النبوة، وإنما هذا كما اتفق لنبينا صلى الله عليه وسلّم لما سئل عن الروح والحضر وذوي القرنين، فوعدهم أن يأتيّ بالجواب غدا جازما بما عنده من معرفة الله تعالى وصدق وعده في تصديقه وإظهار كلمته، لكنّه ذهل عن النطق بها، لا عن التفويض بقلبه فاتفق أن يتأخر الوحي عنه، ثم علمه الله بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكُ غَدًا﴾ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ

يَشَاءَ اللَّهُ ﴿ [الكهف: 24/23] فكان بعد ذلك يستعمل هذه الكلمة حتى في الواجب. ⁽⁴⁾

1 - أخرجه البخاري، كتاب: الغسل: باب إذا جامع ثم عاد ومن دار على نسائه في غسل واحد، رقم (268).

2 - أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب طلب الولد للجهاد، رقم (2819).

3 - أخرجه البخاري، كتاب الصلاة، باب التوجّه نحو القبلة حيث كان، رقم (401) / ومسلم، كتاب: المساجد

ومواضع الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، رقم (572).

4 - ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، ج: 4، ص: 640 / العيني، عمدة القاري، ج: 14، ص: 162.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

يتبين أن الحديث ثابت بالسند الصحيح عنه . ﷺ . ولا يمكن للرسول . ﷺ . أن يقوله إلا بوحي عن الله . عز وجل . وأخبار الأنبياء السابقين مع أمهم وأهلهم ليس لنا إثباتها إلا بما قصه الله علينا في كتابه أو عن طريق رسوله . ﷺ . كما أنه ليس لنا نفيها متى ثبتت بالسند الصحيح، ولا شك أن من القرائن الدالة على صحة الحديث وروده في الصحيحين " وقد أجمع أهل الصنعة على أن الأخبار التي اشتمل عليها الصحيحان مقطوع بصحة أصولها ومتونها، ولا يحصل الخلاف فيها بحال، وإن حصل فذاك اختلاف في طرقها ورواتها، فمن خالف حكمه خيراً منها وليس له تأويل سائغ للخبر؛ نقضنا حكمه، لأن هذه الأخبار تلقنتها الأمة بالقبول" (1).

كما أنه لا يستقيم أن يرد كل حديث لم تقبله عقولهم؛ لأن مال ذلك رد السنة كلها، ثم إن موافقة العقل لهذا الحديث وغيره من النصوص التي ادّعوا أنها مناقضة للشرع، وأن العقل يردّها، هي أظهر للعقل من معارضته لها، ونصوص الكتاب والسنة شاهدة لها لا عليها لكل من تأمل ذلك، ومن صدق آيات الله سهل عليه تصديق مثل هذا الحديث، وما أحسن ما قال ابن قيم "إن نهاية أمر هؤلاء المعارضين لنصوص الوحي بالرأي انتهاؤهم إلى الشك والتشكيك والحيرة في أمرهم فتجدهم يشكون في أوضح الواضحات وفيما يجزم عوام الناس به ويتعجبون ممن يشك فيه ولا تعطيك كتبهم وبحوثهم إلا الشك والتشكيك والحيرة والإشكالات وكلما ازددت فيها إمعانا ازددت حيرة وشكا حتى يؤول بك الأمر إلى الشك في الواضحات" (2).



1 - السخاوي، فتح المغيث، ج: 1، ص: 93.

2 - ابن قيم، الصواعق المرسلّة في الرد على الجهمية المعطّلة، تحق: علي بن محمد (الرياض، مط: دار العاصمة، ط: 1، سنة:

1408هـ) ج: 4، ص: 1259.

المبحث الخامس: حديث لطم موسى - عليه السلام - لملك الموت

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول ﷺ: " أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكّه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت!
قال: ارجع إليه فقل له يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة.

قال: أي رب، ثم ماذا؟

قال: ثم الموت.

قال: فالآن، قال: فسأل الله أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر.

قال أبو هريرة: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كنت ثم لأريتكم قبره، إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر» قال: وأخبرنا معمر عن همام حدثنا أبو هريرة عن النبي ﷺ. نحوه⁽¹⁾

وقد حدّث به أبو هريرة عن رسول الله . . كما في رواية مسلم حدثنا أبو هريرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر أحاديث منها، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام. فقال له: أجب ربك قال فلطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقاها.. " الحديث⁽²⁾

1 - أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: وفاة موسى وذكره بعد، رقم (3407)/ ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى - عليه السلام - رقم (2372).

2 - أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: من فضائل موسى - عليه السلام - رقم (2372).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

من الأخبار الثابتة في الصحيحين التي أثارت جدلاً عند جملة من المعاصرين حديث " لطم موسى لملك الموت" وقد أثرت حوله الكثير من المعارضات، والكلام على هذا الحديث قديم وقد ذكر شرح الحديث أثناء بيانهم لمعنى الحديث أنه تمّ الطعن فيه من كثير من الملاحدة⁽¹⁾، وقد ذكروا استشكالاتهم وأجابوا عنها، فأخذ بعض المعاصرين هذه الشبه وحاولوا إعادة إحيائها ونشرها، وزعموا أنّ الحديث معارض للعقل والشرع ومن جملة استشكالاتهم للحديث:

1. معارضته للقرآن:

قالوا إنّ الحديث معارض لما في القرآن، وما يجب أن يكون عليه عباد الله من الرغبة والشوق إلى لقاء الله، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾

[الجمعة: 7/6] قال السبحاني: " هل كان موسى . عليه السلام . يحب الدنيا على وجه، خاصم ملك ربه، ليس هذا إلا من سمات أهل الدنيا، خصوصاً اليهود الذين يكرهون الموت، لا من صفات الأنبياء، فإنّ رغبتهم إلى لقاء الله أشد من رغبتهم في البقاء في الدنيا"⁽²⁾.

وقال النحوي: " فهل يتصوّر أن من نال هذه المرتبة الرفيعة والمنزلة الربانيّة، يفر من الموت فراراً

يترك لقاء الله والوصول إلى مرتبة أعلى العليين وذلك ببطشة واحدة؟"⁽³⁾

1 - ينظر: المازري، المعلم بفوائد مسلم، ج: 3، ص: 230.

2 - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 332.

3 - النحوي، أضواء على الصحيحين، ص: 219.

وقال الموسوي: " وكيف يجوز ذلك على موسى؟ وقد اختاره الله لرسالته، وائتمنه على وحيه، وآثره بمناجاته، وجعله من سادة رسله، وكيف يكره الموت هذا الكره مع شرف مقامه؟⁽¹⁾

كما أنه معارض للتوراة التي فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين، فكيف لم يقتص من موسى، قال تعالى ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ

وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۗ ﴾ [المائد: 45] وفي تقرير هذه

المعارضة قال السبحاني: " أن لازم ما جاء التوراة أن يقتصّ الملك من الكليم . عليه السلام . تحقيقا للتشريع الذي جاء به . عليه السلام . لكن صار الأمر على العكس، فالله سبحانه أكرمه وقال: ارجع فقل له يضع يده على متن ثور⁽²⁾.

. كما أن في الحديث معارضة صريحة للآيات الدالة على أن الأجل إذا جاء لا يؤخر، وأنّ الإنسان لن

يموت حتى يأتي أجله قال تعالى ﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۗ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [نوح: 4] قال

تعالى ﴿ وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الناقون: 11] قال تعالى

﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَعْجِرُونَ سَاعَةً ۗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: 61] "فأين موسى

من كلّ هذا؟ وكيف يضرب الملك على عينه ويرفض أن يموت؟ وأين كلام البخاري من كلام القرآن؟ إنّ الحديث واضح الزيف ومثله كثير في البخاري"⁽³⁾.

1 - الموسوي، أبو هريرة، ص: 71.

2 - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 333.

3 - مصطفى محمود، الشفاعة، ص: 107.

2. معارضته للأحاديث الدالة على الرغبة والشوق إلى لقاء الله:

من ذلك ما رواه عبادة بن الصّامت عن رسول الله . ﷺ . قال : «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قالت عائشة أو بعض أزواجه: إننا لنكره الموت، قال: «ليس ذلك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب لقاءه، وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه»⁽¹⁾

فهذا الحديث يشرح اللحظات الأخيرة من عمر المتوفى، وهو في فراش الموت، أو وهو على أبواب الآخرة، وقد شرع ملك الموت يسترد الروح ليعود بها إلى بارئها، وفي هذه الأوقات تجيء البشرية التي يطير بها المؤمن فرحاً، أو الأنباء التي ينوء بها الفاجر كمدًا... فلماذا لم يجب موسى ربه؟ أي هذا العود ما يضيقه، ولو قلنا أنّ موسى يكره الموت كسائر البشر فإن كراهية الموت مفهومة في الأحوال العادية للناس العاديين، ولا معنى لها بعد انتهاء الأجل، ومجيء الملك يستردّ وديعته⁽²⁾.

3. معارضة الحديث للعقل والمنطق:

قالوا إنّ الحديث معارض لجملة من الحقائق العقلية الثابتة وبيانها كما يلي:

- كيف يليق بعبد اصطفاه الله للنبوّة ويصير كليم الله أن يبطش ببطش الجبارين والمتكبرين ويفقأ عيون الآخرين من غير سبب، وخاصّة وأنه مأمور من قبله تعالى؟⁽³⁾

1 - أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم (6507)/ ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء

والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره لقاءه، رقم (2684).

2 - محمد الغزالي، السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث، (مط: دار الشروق، ط: 6، د ت) ص: 37.

3 - ينظر: النجمي، أضواء على الصحيحين، ص: 220.

. من المعلوم أنّ قوّة البشر بأسرهم لا يمكن أن تثبت أمام ملك الموت، فكيف تمكّن موسى منه؟ وكيف لم يدافع الملك عن نفسه مع قدرته على إزهاق روحه، فالواجب أن تفوق قوّته قوّة الضارب فصار الأمر على العكس؟ ومتى كان للملك عين يجوز أن تفتقأ؟⁽¹⁾

. أنّ ملك الموت إما أن يرسله الله إلى موسى ليتوقّاه، أو يذهب من تلقاء نفسه، فعلى الأوّل كيف يرجع إلى الله دون أن ينجز مهمّته؟ وعلى الثّاني كيف جاز له أن يتوفى نبيا من أنبياء الله المرسلين لإنقاذ البشرية من الشرك والفساد دون أمر من الله؟⁽²⁾

قال محمد الغزالي: " ورفضه أو قبوله خلاف فكري، وليس خلافا عقديا، والعلة في المتن يبصرها المحقّقون وتخفى على أصحاب الفكر السطحي⁽³⁾ .

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

هذا الحديث من الغيبيّات التي لا رابط لنا بها غير السند الصّحيح إلى رسول الله . ﷺ . الذي أخبر بمثل هذه الأخبار عن وحي من ربّه . سبحانه . وقد تعترض القارئ وترد عليه عند قراءته لمثل هذه الأخبار جملة من الشّبه والإشكالات لكن لو نظر إلى الحديث نظرة المتأمّل، وتقصى نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب، ثمّ رجع إلى أهل العلم المحقّقين والعلماء الرّاسخين لوضح له فيها المخرج، وبان له معناها الصّحيح، ولا يصحّ ادعاء التعارض بين نصوص الوحيين الثّابتة بالسند الصّحيح لمجرّد بدوّ تعارض ظاهري، أما ما تعلّقوا به من علل في ردّ هذا الحديث فالجواب عنها كما يلي:

1 - ينظر: السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 332/ النجمي، أضواء على الصحيحين، ص: 220/ الموسوي، أبو هريرة، ص: 72.

2 - ينظر: القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية، ص: 72.

3 - محمد الغزالي، السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث، ص: 36.

◀ أما قولهم إنّ الحديث يدلّ على كراهة موسى . عليه السلام . للموت وأنّ هذا معارض لقوله

تعالى ﴿ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦) ❀ فغير مسلّم:

. فليس في الحديث دلالة على أنّ موسى . عليه السلام . يكره الموت بدليل قوله في المرّة الثانية لما جاء إليه الملك " الآن " فهذا يدلّ على أنّه آثر جوار ربّه على البقاء، وأنّه لم يكن يعلم أنّه ملك الموت، ولو سلّمنا لهم أنّ في الحديث دلالة على أنّ موسى يكره الموت، فإنّ ذلك غير قادح فيه، كما أنّه لا معارضة بينه وبين الآية:

. أما عدم القدح؛ فالأنّ الله سمى الموت مصيبة قال تعالى ﴿ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ ﴾ (١٦) ❀ وقال .

عليه السلام . كما في حديث عبادة بن الصامت السابق " قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت، قال: «ليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت... " (1) الحديث، وعن أبي هريرة . رضي الله عنه . قال: قال رسول الله . عليه السلام . " إن الله قال: " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب... " الحديث وفيه " وما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته " (2) فلا شك أنّ كراهية الموت أمر جبلي فطر الله النّاس عليه كما دلت عليه النّصوص القرآنيّة والأحاديث النبويّة، فلا غرابة أن يكرهه موسى . عليه السلام ..

. وأما عدم معارضته للآية؛ فالأنّ المقصود بها التحدّي والتّعجيز، فالمراد بتمني الموت الدعاء على أيّ الفريقين أكذب منهم، أو من المسلمين على وجه المباهلة كما ذهب إليه أكثر المفسّرين (3). قال ابن كثير في معرض ترجيحه لهذا التأويل للآية خلافا لمن فسّرها بأنّ المراد بها تمنوا الموت: " .. لا ملازمة

1 - سبق تخريجه ص: 250.

2 - أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، رقم (6502).

3 - ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 2، ص: 269/ الرازي، مفاتيح الغيب، ج: 3، ص: 608/ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 2، ص: 257/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 1، ص: 496/ الطاهر بن عاشور، التحرير =

بين وجود الصّلاح وتمني الموت، وكم من صالح لا يتمي الموت، بل يود أن يعمر ليزداد خيرا وترتفع درجته في الجنّة، كما جاء في الحديث: "خيركم من طال عمره وحسن عمله" ⁽¹⁾ وجاء في الصّحيح النهي عن تمني الموت، وفي بعض ألفاظه: "لا يتمنّ أحد منكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بدّ متمنيا للموت فليقل: اللهمّ أحيني ما كانت الحياة خيرا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي" ⁽²⁾ ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا: فما أنتم تعتقدون -أيّها المسلمون- أنكم أصحاب الجنّة، وأنتم لا تتمنّون في حال الصّحة الموت؛ فكيف تلزموننا بما لا نلزمكم؟ ⁽³⁾

وقال الطاهر بن عاشور: "وبهذا يندفع ما قد يعرض للنّاظر في هذه الآية من المعارضة بينها وبين ما جاء في الأخبار الصّحيحة من النهي عن تمني الموت... فلا تعارض مع اختلاف الأحوال والأزمان، فلو حصل لأحد يقين بالتّعجيل إلى النّعيم لتمي الموت إلا أن تكون حياته لتأييد الدّين كحياة الأنبياء. ⁽⁴⁾

وأما قولهم لماذا لم يقتص من موسى تطبيقا لشريعة التوراة التي فيها أنّ العين بالعين؟ فالجواب عنه أنّ الله لم يبعث الملك لموسى وهو يريد قبض روحه، وإتّما بعثه إليه اختبارا وابتلاء، وقد جاء ملك في صورة بشريّة فلم يعرفه فلطمه؛ لأنّه رأى آدميا دخل داره بغير إذنه فدافع عن نفسه بما تقرّر عنده من جواز الدّفاع عن النّفس، وهذا سائغ في شريعتنا أن يدافع الإنسان عن نفسه من أراد قتله، وإن أدّى

= والتنوير، ج: 28، ص: 216.

1 - أخرجه أحمد، المسند، رقم (20415)، والترمذي، سنن الترمذي، رقم (2330) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

2 - أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب الدعاء بالموت والحياة، رقم (6351) / ومسلم، كتاب: الذكر ولدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة الموت لضر نزل به، رقم (2680).

3 - ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 1، ص: 496.

4 - الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 28، ص: 216.

إلى قتله فضلا عن فقء عينه⁽¹⁾ قال ابن خزيمة: " وإِنَّمَا لَطَمَ مُوسَى مَلِكَ الْمَوْتِ لِأَنَّهُ رَأَى آدَمِيَا دَخَلَ دَارَهُ بِغَيْرِ إِذْنِهِ وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ مَلِكُ الْمَوْتِ وَقَدْ أَبَاحَ الشَّارِعُ فَقَاءَ عَيْنَ النَّاطِرِ فِي دَارِ الْمُسْلِمِ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَقَدْ جَاءَتْ الْمَلَائِكَةُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِلَى لُوطَ فِي صُورَةِ آدَمِيِّينَ فَلَمْ يَعْرِفْهُمُ ابْتِدَاءً وَلَوْ عَرَفْهُمُ إِبْرَاهِيمُ لَمَا قَدَّمَ لَهُمُ الْمَأْكُولَ وَلَوْ عَرَفْهُمُ لُوطٌ لَمَا خَافَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمِهِ وَعَلَى تَقْدِيرِ أَنْ يَكُونَ عَرَفَهُ فَمَنْ أَيْنَ لِهَذَا الْمُبْتَدِعِ مَشْرُوعِيَّةَ الْقِصَاصِ بَيْنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْبَشَرِ؟ ثُمَّ مِنْ أَيْنَ لَهُ أَنْ مَلِكَ الْمَوْتِ طَلَبَ الْقِصَاصَ مِنْ مُوسَى فَلَمْ يَقْتَصْ لَهُ؟"⁽²⁾

. وأما دعوى تعارض الحديث مع الآيات الدالة على أنَّ الأجل إذا جاء لا يؤخر، فيقال كيف علمتم بنهاية أجل موسى؟ فهذا القول بطلانه ظاهر، فالله عزَّ وجلَّ أمر بقبض روحه أمر ابتلاء مع سبق علمه أنَّ ذلك لا يقع إلا بعد المراجعة، وهلاَّ رددتم بهذه الآيات على نهاية أجل إسماعيل . عليه السلام. فلما عزم إبراهيم على تطبيق أمر الله قال تعالى ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ

يَتَابِرْهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا ؕ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ

﴿١٠٦﴾ [الصافات: 103/106]، فهل يُقال أنَّ أجل إسماعيل قد أُخِّر؟ أم أنَّ ذلك من الابتلاء وكله سابق في علم الله.

قال ابن حجر: " والجواب عن قصة موسى أنَّ أجله قد كان قرب حضوره ولم يبق منه إلا مقدار ما دار بينه وبين ملك الموت من المراجعتين فأمر بقبض روحه أولا مع سبق علم الله أن ذلك لا يقع إلا بعد المراجعة وإن لم يطَّلِع ملك الموت على ذلك أولا والله أعلم"⁽³⁾.

1 - ينظر: المازي، المعلم بفوائد مسلم، ج: 3، ص: 232/ القاضي عياض، إكمال المعلم، ج: 7، ص: 353.

2 - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج: 3، ص: 323.

3 - ابن حجر، فتح الباري، ج: 6، ص: 510.

◀ أما معارضة هذا الحديث للأحاديث الدالة على الشوق إلى لقاء الله، فإن ما ورد في آخره يفسر ما جاء في أوله؛ لأن موسى لما علم أنه ملك الموت اختار لقاء ربه وآثره على البقاء في الدنيا، ثم إن حديث " من أحب لقاء الله .. " الذي عارضوه به لا يعارضه بأي وجه؛ لأن المراد بالحديث عند مباشرة قبض الروح، وقد فسرتة عائشة . رضي الله عنها بقولها: " قد قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع، فعند ذلك من أحب لقاء الله، أحب لقاء الله، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه"⁽¹⁾ فالحديث يفسر آخره أوله، قال ابن عبد البر: " معناه عند أهل العلم فيما يعانیه المرء عند حضور أجله فإذا رأى ما يكره لم يجب الخروج من الدنيا ولا لقاء الله لسوء ما عاين مما يصير إليه وإذا رأى ما يجب أحب لقاء الله والإسراع إلى رحمته لحسن ما عاين وبشر به وليس حب الموت ولا كراهيته والمرء في صحته من هذا المعنى في شيء والله أعلم"⁽²⁾.

◀ وأما المعارضات العقلية التي استشكلوا بها الحديث فالجواب عنها:

1 . أن بطش موسى . عليه السلام . بالملك فإن موسى لم يعلم أنه ملك من عند الله كما تقدم الجواب فدافعه مدافعة أدت إلى فقاء عينه، وليس في الحديث ما يدل على تعمده ذلك، لكن لما لطمه حدث بقدرة الله ومشيتته عند تلك اللطمة فقاء العين، ولو تعمّد موسى . عليه السلام . ذلك فليس فيه ما يعظم ويشنع، فليس ذلك بأعظم من أخذه برأس أخيه ولحيته وجره إياه وهو نبي مكرم، وقد نصّ القرآن على ذلك ولم يعدّه ذنباً ولا استغفر منه موسى⁽³⁾.

1 - أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب لقاء الله ومن كره لقاء الله كره لقاءه، رقم(2685).

2 - ابن عبد البر، التمهيد، ج: 18، ص: 25.

3 - ينظر: القاضي عياض، إكمال المعلم، ج: 7، ص: 352.

2 . أما قولهم إنّ قوة البشر لا يمكن أن تثبت أمام قوة الملك، فهذا في الأحوال التي يكون فيها الملائكة على صورتهم الطبيعيّة، أما هنا فقد أتى على صورة آدمي، والفرق بين الحالتين واضح، فهذا جبريل عليه السّلام الذي رآه النبي . ﷺ . «.. في صورته له ستمائة جناح»⁽¹⁾ وقد أتى النبيّ على هيئة "رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السّفرة..."⁽²⁾ ولا يمكن أن يكون حال جبريل على هيئة الملائكة هو نفسه حال كونه على صورة البشر والله أعلم.

3 . و قولهم إنّ ملك الموت إمّا أن يذهب من تلقاء نفسه، وإمّا أن يرسله الله، وعلى القول الثّاني فلماذا رجع دون تطبيق ما أمر به؟ فجوابه أن يُقال أما ذهاب ملك الموت من تلقاء نفسه فباطل قطعاً، وقد قال ملك الموت عند رجوعه: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت!

وأما رجوعه من دون تطبيق ما أمر به، فليس هناك ما يثبت أنّ ما أمر به ملك الموت من قبض روح موسى عليه السّلام كان على سبيل الإيجاب والإلزام ، بل قد يكون ذلك يكون على سبيل التّخيير، وممّا يؤيد هذا التّوجيه ما ثبت في الصّحاحين أنّ الأنبياء لا يموتون حتّى يُخَيَّرُوا بين الموت والحياة⁽³⁾ فعن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي قط حتّى يرى مقعده من الجنّة، ثمّ يخير»⁽⁴⁾

1 - أخرجه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب قوله تعالى {فأوحى إلى عبده ما أوحى} [النجم: 10]، رقم (4857)/ ومسلم، كتاب: الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهى، رقم (174).

2 - أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، رقم (8).

3 - ينظر: القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، ص: 73/ عيسى النعمي، دفع دعوى المعارض العقلي، ص: 256.

4 - أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحبّ الله لقاءه رقم (6509)/ ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: في فضل عائشة . رضي الله عنها . رقم (2444).

ومما يشهد لهذا التوجيه أنّ ملك الموت قال عند رجوعه " أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت! ولم يقل "أرسلتني إلى عبد لم أستطع قبض روحه".

أما قول الشيخ الغزالي . رحمه الله . إنّ علته يدركها المحققون وتخفى على أصحاب الفكر السطحي، فإنّ المحققين كلّهم على قبول الحديث وإن اختلفوا في بعض أوجه تأويله، وهل يوجد من هم أعرف بعلم الحديث من الإمام أحمد والبخاري ومسلم وابن خزيمة، ثمّ من شرّاحه كابن عبد البر، والمازري، والقاضي عياض القرطبي والنووي وابن حجر وغيرهم، فهل هؤلاء كلّهم أصحاب فكر سطحي؟!!

المطلب الرابع: رفع الإشكال

وبهذا يتبيّن صحّة الحديث وقد رواه العدول الثقات من أئمة الإسلام، وتلقته الأمة بالقبول، وليس فيه ما يعارض العقول، كما أنّ نصوص الكتاب والسنة شاهدة على تمثّل الملائكة في صورة الأدميين، فالإيمان به واجب لأنّه من الغيب الذي ليس لنا معه غير النّظر في سنده، ومن ظهر له فيه مخالفة للشرع فليتهم عقله وليعد النّظر فيه، ثم ليرجع إلى العلماء الرّاسخين، والفضلاء المحقّقين، ولا يعتدّ بعقله في ردّ الآثار الصّحيحة بمثل هذه الاعتراضات.



الفصل الرابع: الأحاديث المتعلقة بالمرأة

- المبحث الأول: حديث ناقصات عقل ودين
- المبحث الثاني: حديث لو حواء لم تكن أنث زوجها
- المبحث الثالث: حديث إنَّ الشَّاءَ أَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ
- المبحث الرابع: حديث خلقت المرأة من ضلع
- المبحث الخامس: أحاديث متعلّقة بالحياة الزوجية

رغم أنّ الإسلام أكرم المرأة ورفع من شأنها، وحثّ على رعاية شؤونها، وحذّر من ظلمها وأوصى الرجال على الرفق والرحمة بها وحسن معاملتها، ومع هذا قد فرّق الإسلام بين المرأة والرجل في بعض المجالات لضرورات اجتماعية واقتصادية ونفسية، وهذا ما استغلّه بعض من يدّعي الدفاع عن المرأة وحقوقها، وقد جعل بعض المعاصرين قضية المرأة في الصّحّاحين من أهمّ الموضوعات التي نالت نصيبا وافرا من التّقد والاعتراض خصوصا ما تعلق بمنزلتها ومكانتها وعلاقتها بالرجال، وكذا ما تعلق بلباسها الذي جعلوها عائقا يأسر المرأة ويجعلها بعيدة عن العمل والحياة وممارسة الحقوق، وقد اعتبر كثير من المعاصرين المشتغلين بهذا الباب أحاديث الصّحّاحين تحقّر من شأن المرأة، وتقلل من قيمتها وتجعلها دون الرجل في المرتبة، وزعموا أنّ هذه الأحاديث سلبت المرأة حقوقها وحرّياتها، وأنّها مناقضة تماما لما نطق به كتاب الله الذي رفع من شأنها وكرّمها قال زكريا أوزون: "والحقيقة التي يتوجّب عليّ ذكرها . بكل جرأة" هنا . أنّ دعاة المسلمين على اختلاف مستوياتهم قد نجحوا بزرع عقدة النقص والدونية في المرأة المسلمة لدرجة أنّها أصبحت تدخل في بنيتها الجنيّة، وأقنعوها بأنّ تلك العقدة المرضية هي ميزة تتمتع بها الأنثى المسلمة دون غيرها من نساء الأرض، وجعلوا المرأة المسلمة منظرّة في الاحتقار الذاتي والدونية بملء إرادتها وكامل وعيها وتصميمها حتى أنّك تجد المعلّمة والمهندسة والطبيبة وعالمة الذرة تقرّ بأنّ الرجل أفضل منها وأنّ له القوامة عليها وإن كان يفتقر إلى الحد الأدنى من العلم والثقافة، وسترى الأخت المسلمة من خلال عرض الأحاديث أنّها مسلوبة الحقوق ومهمّشة ومستبعدة في معظم الأحيان عن القضايا الأساسية والأمور الهامة"⁽¹⁾.

وسأحاول في هذا الفصل مناقشة جملة من الطعون والشبه التي أثّرت حول قضية المرأة في الصّحّاحين ومن ثمّ مناقشتها والرّد عليها.

¹ - زكريا أوزون، جناية البخاري، ص: 113.

المبحث الأول: حديث ناقصات عقل ودين

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن أبي سعيد الخدري، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلّى، فمرّ على النساء، فقال: «يا معشر النساء تصدّقن فإني أرىكنّ أكثر أهل النار» فقلن: وجم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللّعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن»، قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصلّ ولم تصم» قلن: بلى، قال: «فذلك من نقصان دينها»⁽¹⁾

ورواه مسلم عن ابن عمر - رضي الله عنه - وفيه قال رسول الله ﷺ . " . وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لديّ لبّ منكن» قالت: يا رسول الله، وما نقصان العقل والدين؟ قال: " أما نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلّي، وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين"⁽²⁾

¹ - أخرجه البخاري، كتاب: الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم (304).

² - أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، ككفر النعمة والحقوق، رقم (79).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

حديث نقصان عقل ودين المرأة من الأحاديث الصحيحة المشهورة على لسان كلّ مسلم ومسلمة بلّه طالب علم، وقد اعتبره الكثيرون نصاً صريحاً في ظلم المرأة والتقليل من شأنها، بل وتعرّض الإسلام لهجمات بسببه، ولا غرو أن يتهجم على الإسلام أعداؤه فذلك ديدنهم ومنهجهم، ولكن ما يؤسف عليه أن تجد من يطعن في هذه النصوص من أبناء الإسلام بحجة الدفاع عن كرامة المرأة وحقوقها المشروعة، وقد عارضوا هذا الحديث بجملة من الاعتراضات والاستشكالات التي نذكر منها:

1. معارضة الحديث لكتاب الله: قالوا إنّ الحديث يتصادم بشكل صريح مع جملة من

النصوص القرآنية الدالة على التسوية بين الذكر والأنثى في الأحكام الشرعية، بل إنّ وصف النساء بنقصان العقل والدين معارض للآية المستشهد بها على ذلك وهي قوله تعالى ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا

شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ

تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ۗ ﴾ [البقر: 282] فالحديث مناقض لها من عدة

وجوه:

. أنّ القرآن فسّر النقص بالضلال بينما الحديث فسره بنقص العقل قال إسلامبولي: " فجعل الشّهادة في الذمم المالية لامرأتين عوضاً عن رجل، ليس ذلك عائداً لقصور ونقصان عقل المرأة أبداً، والآية لم تذكر ذلك؛ بل صرّحت بالسبب إلى أنه إذا ضلّت إحداها فتذكرها الأخرى، وكلمة ضلّ غير كلمة تنسى أو تضيع أو تكفر.⁽¹⁾

. أنّ الآية تدلّ على الاكتفاء بشهادة امرأة واحدة إلا إذا ضلّت الشّاهدة الأولى فيلجأ للثانية،

¹ - سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 295.

وهذا ما يناقض تفسير الحديث للآية قال ابن قرناس " يبيّن سبحانه وتعالى السّبب من وجود امرأتين وهو "أَنْ تَضِلَّ إِحْدَهُمَا فَتُكْفِرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى" وليس المقصود أنّ المرأة بنصف شهادة الرّجل؛ لأنّه لو لم تضلّ الشاهدة الأولى وتدي بالشهادة كاملة، فلن نحتاج لسماع الشاهدة الأخرى وتكون الشّهادة تمت بامرأة واحدة ورجل واحد".⁽¹⁾

. أنّ ذلك خاص بمعاملة الدّين ولا علاقة له بباقي الأمور، بل تقبل شهادتها في باقي المجالات وأيّ سبب يوضع في تبرير شهادة امرأتين عوضاً عن رجل غير الذي نصت عليه الآية القرآنيّة يكون كذبا وافتراء، وتقوّلًا على الله ورسوله وبهذا يظهر تهاافت الحديث وبطلانه⁽²⁾

. قال ابن قرناس " وإذا كانت المرأة لا تصوم وقت الحيض ولا تصليّ فليس لأثما ناقصة دين، بل لأنّ الله أناط بها مهمّة الحمل والولادة.. وتكون المرأة تتمتع بنفس قدرات الرّجل العقلية، وعليها نفس الواجبات الدينيّة، وهي كاملة العقل والدّين إن هي آمنت وعملت صالحاً، ولها نفس الجنة التي للرّجل

﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾

فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ [غافر: 40]⁽³⁾

2. معارضة الحديث لعدل الله: فالله . عزّ وجل . هو من كتب على المرأة ترك الصّوم والصّلاة في حالة الحيض، فكيف يجعلها ناقصة؟ قال إسلامبولي: " أما القول الآخر نقصان الدّين فهذا أبطل من سابقه؛ لأنّ الدّين هو الإيمان بالله واليوم الآخر والرّسالة وهذا حاصل وقائم في نفس المرأة في

¹ - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 371.

² - ينظر: سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 296.

³ - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 372.

حالة المحيض والتنفاس بشكل لازم ليس عندها شك في ذلك أو نقصان".⁽¹⁾

وقال صالح أبو بكر: "إذا كان الحيض والتنفاس طبيعة مؤلمة، كتب على المرأة أن تعانيتها كل شهر وكل ولادة، فكيف يكتب الله عليها ما تتوجع منه، ثم يجازيها في النهاية بجزاء المتسبب في نقص دينه وعقله..."⁽²⁾

وقال نيازي: "ألم تخرج من كل النساء من تقول: وما ذنبا في كل هذا يا رسول الله؟ أليس الله هو القائل في قرآنه الكريم ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: 286] أليس الله هو

الذي يقول أيضا في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ ﴿١٨﴾ [فاطر: 18]⁽³⁾

ومن أغرب الشبه الموجهة للحديث ما ذكره إسلامبولي الذي قال: "الملاحظ من الحديث أنه تركيبة من أحد الرجال يتشاجر مع زوجه باستمرار، وهي تكثر الشتم وتنكر تعب زوجها في تأمين لقمة العيش، فوضع الرجل هذا الحديث ليردعها عن فعل ذلك كي ترضى وتقع بالحياة معه دون تدمر وشكوى وتنغيص عليه، وليزيد من مصداقية الحديث جعله بشكل حوار بين النساء والنبى ﷺ. ..وقد نجح بذلك نجاحا منقطع النظير؛ لأن ذلك ذهب وانتشر بين المسلمين انتشار النار في الهشيم"⁽⁴⁾.

1 - سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 296.

2 - صالح أبو بكر، الأضواء القرآنية، ص: 131.

3 - نيازي عز الدين، دين السلطان، ص: 445.

4 - سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 295.

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

لقد ظنَّ المستشكلون للحديث أنَّه يدلُّ على تديُّ التفكير وضعف القدرات العقلية لدى المرأة، وأنَّ قدرتها أقل من قدرة الرَّجل، وأنَّ دينها دون مرتبة دين الرجل ومن ثمَّ حاكموا الحديث وعارضوه بجملة من النصوص القرآنية والقواعد الشرعيَّة، وهذه الانتقادات ناتجة عن قصور في فهمهم للمراد من الحديث؛ وليس في الحديث ما يناقض الآيات القرآنية التي ذكروها، بل هما متوافقان تمام الموافقة وبيان ذلك:

◀ أن معارضتهم للحديث بقوله تعالى ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا

رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا

الْأُخْرَى ۗ ۝﴾ فغير مسلم ونتج عن سوء فهم فلا يدلُّ الحديث على تفضيل الذكور على الإناث،

فالقرآن والسنة يدلان على تساوي الجنسين في الأحكام الشرعيَّة والحقوق والواجبات عدا ما استثناه

الشرع سواء بالقرآن أو السنة في بعض الأحكام التي اقتصت بها النساء دون الرجال، وأخرى اقتصت

بها الرجال دون النساء وهذا ليس تمييزاً بينهما بل هو نتاج الاختلاف بين الجنسين ولا يلزم من هذا

أن يكون نقص عقلها في كل شيء ونقص دينها في كل شيء، وإنما بيّن الرسول -ﷺ- أن نقص

عقلها من جهة ما قد يحصل من عدم قدرتها على ضبط الشهادة، ونقص دينها متعلق بتركها للصلاة

والصوم في أوقات معيَّنة، ولا يلزم من هذا أن تكون دون الرجل في كل شيء، وأن الرجل أفضل منها

في كل شيء، بل إنَّها قد تفوق الرجل في العقل والضبط في بعض الأحيان قال مصطفى السباعي:

"وليس في هذا ما يتنافى مع مبدأ مساواتها بالرجل في الإنسانيَّة والأهليَّة والكرامة الاجتماعيَّة، ولا تزال

الشرائع والقوانين في كل عصر، وفي كل أمة تخص بعض الناس ببعض الأحكام لمصلحة يقتضيها ذلك التخصيص دون أن يفهم منه أيّ مساس بمبدأ المساواة بين المواطنين في الأهلية والكرامة".⁽¹⁾

. أمّا قولهم إنّ القرآن فسّرها بالضلال والحديث فسّرها بنقص العقل فالجواب عنه أنّ القرآن بيّن سبب جعل شهادة امرأتين تقابل شهادة رجل، وقد فسّر الحديث السبب في ذلك وهو نقص العقل، فلا يجوز الادّعاء أنّ الحديث يدلّ على نقص عقلها في جميع المجالات حتّى نعارضه بالآية بل هو تفسير وبيان لها قال ابن حزم: "قد بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وجه ذلك النقص وهو كون شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل وكونها إذا حاضت لا تصلي ولا تصوم وليس هذا بموجب نقصان الفضل ولا نقصان الدين والعقل في غير هذين الوجهين فقط إذ بالضرورة ندري أنّ في النساء من هن أفضل من كثير من الرجال وأتم دينا وعقلا غير الوجوه التي ذكر النبيّ صلّى الله عليه وسلّم.. وليس ذلك ممّا ينقص الفضل فقد علمنا أنّ أبا بكر وعليّ لو شهدوا في زنا لم يحكم بشهادتهم ولو شهد به أربعة منا عدول في الظاهر حكم بشهادتهم وليس ذلك بموجب أنّنا أفضل من هؤلاء المذكورين وكذلك القول في شهادة النساء فليست الشهادة من باب التفاضل في ورد ولا صدر لكن نقف فيها عندما حده النص فقط"⁽²⁾.

. أما قول ابن قرناس إنّ المرأة إذا لم تضل فلا حاجة لنا في شهادة الثانية فجوابه أنّ هذا الأمر مبني على الغالب من خشية الاشتباه والنسيان على المرأة، ولو كان كما زعم لأمر القرآن بشهادة واحدة إلا إذا خشيت من النسيان فتجعل معها ثانيّة، لكنّ القرآن نصّ على شهادة امرأتين، وقد بيّن الحديث أنّ مرجع ذلك إلى نقصان عقلها قال ابن تيمية "وإنّما ذكر فيه نقصان عقل النساء وذلك أنّ العقل مصدر عقل يعقل عقلا إذا ضبط وأمسك ما يعلمه وضبط المرأة وإمساكها لما تعلمه

¹ - مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون (بيروت، مط: دار الوراق، ط: 7، سنة: 1420هـ/1999م) ص: 35.

² - ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (القاهرة، مط: مكتبة الخانجي، د ط، د ت) ج: 4، ص: 104.

أضعف من ضبط الرجل وإمساكه" (1)

ثم إنَّ العلة ليست الضلال في الحقيقة وإنما هي التذكير ولكن الضلال لما كان سببا له نزل منزلته كما في قولك أعددت السلاح أن يجيئ عدو فأدفعه فالإعداد للدفع لا يجيئ العدو لكن قدّم عليه الجيء لأنه سببه كأنه قيل لأجل أن تذكر إحداها الأخرى إن ضلّت الشهادة بأن نسيت (2)

قال الطاهر بن عاشور: وهذه حيلة أخرى من تحريف الشهادة وهي خشية الاشتباه والنسيان لأن المرأة أضعف من الرجل بأصل الجبلّة بحسب الغالب، والضلال هنا بمعنى النسيان ولما كان «أن تضل» في معنى لضلال إحداها صارت العلة في الظاهر هي الضلال، وليس كذلك بل العلة هي ما يترتب على الضلال من إضاعة المشهود به، فتفرع عليه قوله: فتذكر إحداها الأخرى لأنّ فتذكر معطوف على تضل بفاء التعقيب فهو من تكملته، والعبرة بآخر الكلام... وفي هذا الاستعمال عدول عن الظاهر وهو أن يقال: أن تذكر إحداها الأخرى عند نسيانها.. لأنّ المقصود من التعدد خشية حصول النسيان للمرأة المنفردة، فلذا أخذ بقولها حق المشهود عليه وقصد تذكير المرأة الثانية إياها. (3)

كما أنّ التذكير ليس منشأ النسيان فقط "فالضلال قد ينشأ من أسباب كثيرة فقد ينشأ من قلة خبرة المرأة بموضوع التعاقد، مما يجعلها لا تستوعب كل دقائقه وملابساته ومن ثم لا يكون من الوضوح في عقلها بحيث تؤدي عنه شهادة دقيقة عند الاقتضاء، فتذكرها الأخرى بالتعاون معاً على تذكر ملابسات الموضوع كله، وقد ينشأ من طبيعة المرأة الانفعالية فإن وظيفة الأمومة العضوية البيولوجية تستدعي مقابلا نفسياً في المرأة حتماً. تستدعي أن تكون المرأة شديدة الاستجابة الوجدانية الانفعالية

1 - ابن تيمية، بغية المراد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحق: موسى الدويش (المدينة المنورة، مط: مكتبة العلوم والحكم، ط: 3، سنة: 1415هـ / 1995م) ص: 249.

2 - ينظر: محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير (بيروت، مط: دار ابن كثير ، ط: 1، سنة: 1414هـ) ج: 1، ص: 346/ الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 3/ ص: 109.

3 - ينظر: الطاهر بن عاشور ، المصدر السابق، ج: 3، ص: 109.

لتلبية مطالب طفلها بسرعة وحيوية لا ترجع فيهما إلى التفكير البطيء.. بينما المعاملات في حاجة إلى تجرد كبير من الانفعال، ووقوف عند الوقائع بلا تأثر ولا إيجاء، ووجود امرأتين فيه ضمانه أن تذكر إحداها الأخرى- إذا انحرفت مع أي انفعال- فتتذكر وتفيء إلى الوقائع المجردة⁽¹⁾.

. أمّا قولهم إنّ ذلك خاص بالمعاملات الماليّة ولا علاقة له بباقي الأمور وأنّ المرأة تشهد في جميع المجالات عدا ما دلّ عليه النصّ في كتابة الدّين، فالجمهور على الاعتداد بشهادتها على التّصف من شهادة الرّجل في المعاملات المالية، وأنه لا تقبل شهادة النّساء في الحدود والجنايات لا مع رجل ولا مفردات، وأمّا شهادتهن مفردات فهي عند الجمهور في حقوق الأبدان التي لا يطّلع عليها الرّجال غالباً، مثل الولادة والاستهلال وعيوب النّساء⁽²⁾

قال ابن تيمية: "وما تقبل فيها شهادتهن مفردات، إنّما هي أشياء تراها بعينها، أو تلمسها بيدها، أو تسمعها بأذنها من غير توقف على عقل، كالولادة والاستهلال، والارتضاع، والحيض، والعيوب تحت الثياب، فإن مثل هذا لا ينسى في العادة ولا تحتاج معرفته إلى إعمال العقل، كمعاني الأقوال التي تسمعها من الإقرار بالدّين وغيره، فإن هذه معان معقولة، ويطول العهد بها في الجملة"⁽³⁾.

ثم إنّ العلة التي علّق عليها الحكم وهيّ التذكير ليست متعلّقة بالدّين فقط، والمرأة معرّضة للضلال في كتابة الدين دون غيره من المعاملات؟ كما أنّ القرآن الكريم فرّق بين شهادة الرّجل و المرأة فاعتبر شهادة الرّجل كاملة، وجعل شهادة امرأتين بمنزلة شهادة الرّجل الواحد مع أنّ الرجل كذلك قد يكون عرضة للنسيان والضلال، ولو جازت شهادة المرأة منفردة لما كان للتفريق بينهما من معنى، ثمّ لو جاز

¹ - ينظر: سيد قطب، في ظلال القرآن (بيروت، مط: دار الشروق، ط: 17، سنة: 1412هـ) ج: 1، ص: 336.

² - ينظر: القرافي، الذخيرة، (بيروت، مط: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، سنة: 1994م) ج: 10، ص: 246 ابن قدامة، المغني، ج: 14، ص: 125/ النووي، المجموع شرح المهذب، تحق: محمد نجيب المطيعي (السعودية، مط: مكتبة الإرشاد، د ط، د ت) ج: 23، ص: 141.

³ - ابن قيم، الطرق الحكمية (مكتبة البيان، د ط، د ت)، ص: 123.

أن تقوم المرأة الواحدة التي لا تفضل مقام المرأتين، لجاز أن تقوم امرأة أخرى مكان الرجل فيصير الشاهدان امرأتين وهذا باطل لمصادمته للنص.

. أما استدلال ابن قناس بقوله تعالى ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ۗ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا

مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴿٤٠﴾

[غافر: 40] على أن المرأة لا تصوم ولا تصلي أثناء الحيض لأن الله أناط بها ذلك وهي كاملة الدين والعقل ولها نفس الجنة التي للرجل، فجوابه أن الفرق بين النصين واضح جلي لمن تدبره فالآية تتحدث عن الآخرة، والحديث عن أعمال الدنيا فقد دلت الآية على ثواب الطائعين سواء كانوا ذكورا أو إناثا لا فرق بينهم وهو أمر لا خلاف فيه، بينما الحديث يتكلم عن نقصان دين المرأة من حيث انقطاعها عن بعض العبادات في أزمنا معينة، ولو كان المراد التسوية بين الذكور والإناث من كل وجه للزم عدم التفريق بينهما في جميع التكاليف الشرعية، ولكان واجبا عليها القيام بالواجبات التي خص بها الرجال كالجهاد والجمعة وغيرها وهذا لا شك في بطلانه وقد خصها الله ببعض الأحكام عن الرجل زيادة أو نقصانا. كما أسقط عنها - لذات الغرض - بعض الواجبات الدينية والاجتماعية كصلاة الجمعة ووجوب الاحرام في الحج، والجهاد في غير أوقات التغيير العام، وغير ذلك، وليس في هذا ما يتنافى مع مبدأ مساواتها بالرجل في الإنسانية والأهلية والكرامة الاجتماعية⁽¹⁾.

◀ أما منفاة الحديث لعدل الله وقولهم كيف يأمرها بترك الصوم والصلاة ثم يعد ذلك نقصا؟ فهذا الاعتراض ناتج عن سوء فهم للحديث فوصف المرأة بالنقصان في هذه الحالة هو بالنظر إلى الأكمل وهو من يصلي وليس المقصود بذكر النقص في النساء لومهن على ذلك لأنه من أصل الخلقة لكن التنبيه على ذلك تحذيرا من الافتتان بهن ولهذا رتب العذاب على ما ذكر من الكفران وغيره لا على

¹ - ينظر: السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ص: 35.

النقص .. لأنه أمر نسبي فالكامل مثلا ناقص عن الأكمل ومن ذلك الحائض لا تأثم بترك الصلاة زمن الحيض لكنها ناقصة عن المصلي⁽¹⁾.

قال النووي: "وأما وصفه صلى الله عليه وسلم النساء بنقصان الدين لتركهن الصلاة والصوم في زمن الحيض فقد يستشكل معناه وليس بمشكل .. فالطاعات تسمى إيمانا ودينا وإذا ثبت هذا علمنا أن من كثرت عبادته زاد إيمانه ودينه ومن نقصت عبادته نقص دينه ثم نقص الدين قد يكون على وجه يأثم به كمن ترك الصلاة أو الصوم أو غيرهما من العبادات الواجبة عليه بلا عذر وقد يكون على وجه لا إثم فيه كمن ترك الجمعة أو الغزو أو غير ذلك مما لا يجب عليه لعذر وقد يكون على وجه هو مكلف به كترك الحائض الصلاة والصوم"⁽²⁾.

ولو كان المراد ما ذهب إليه ذهن المعترض لما ذكر الرسول ﷺ . الصوم مع الصلاة؛ لأن المرأة تقضي الصوم متى زال المانع بخلاف الصلاة، فلو كانت تُدّم على التقص لُدّمت على الصلاة دون الصوم والله أعلم.

. أما قول إسلامبولي إن الحديث من وضع رجل يتشاجر مع زوجه فوضع هذا الحديث ليردعها وترضى بالعيش معه فلا يشك عاقل أنه من أبطل الباطل، ولو كانت الأحاديث الصحيحة تردّ بمثل هذا الحكايات لردّ كلّ حديث يثبت صفة أو ينفيها عن جهة معيّنة، ولغيره أن يقول أن قول رسول الله ﷺ . " استوصوا بالنساء خيرا"⁽³⁾ هو من وضع امرأة كان زوجها يؤذيها ويسيء معاملاتها فوضعت مثل هذا حتى يرضى ويحسن معاملاتها، ولآخر أن يردّ قوله ﷺ . " «من كان يؤمن بالله

1 - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج: 1، ص: 485.

2 - النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 2، ص: 68.

3 - أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم (5186)/ ومسلم، كتاب: الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم(1468).

واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه" ⁽¹⁾ بحجة أنه من وضع رجل كان يؤذيه جاره، وقد يقال مثل ذلك في إكرام الضيف، وكفالة اليتيم والأمر بالصدقة وغيرها فالحاصل أنّ ردّ النصوص المروية عن الثقات الأثبات بمثل هذه التعليلات لا يقوله من له أدنى مسكة من عقل نسأل الله أن يعيدنا من القول عليه بما لا نعلم.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

إنّ حديث " ناقصات عقل ودين " حديث صحيح في أعلى درجات الصحة وقد رواه الشيخان في صحيحيهما وليس فيه ما يناقض كلام الله أو عدله كما ادّعه المعترضون وبيان ذلك من وجوه:

. إنّ القرآن الكريم الذي سوى بين الرجل والمرأة في الحقوق والتكاليف الشرعية قد فرّق بينهما في جملة من الأمور وميّز كلّ واحد بميزات ليست للآخر ومن ذلك أنه أعطى القوامة للرجل دون المرأة، وجعل شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين، وأعطى للذكر مثل حظ الأنثيين ، كما أنه ميّز بين نشوز المرأة والرجل فرتب على الأولى الموعدة والهجر في المضاجع والضرب دون أن يرتب ذلك على نشوز الرجل ، فهل يقول هؤلاء أنّ القرآن الكريم قد ميّز بين الذكور والإناث أم أن الاتهام موجه للسنة دون القرآن!!؟

. إنّ هذا التفريق ليس منافٍ لعدل الله بل هو ناتج عن الفوارق العقلية والعاطفية بين الجنسين فالرجل أقوى عقلاً من المرأة، والمرأة أقوى عاطفة من الرجل وأقلّ عقلاً منه وهذا هو سرّ التكامل بين الجنسين وقد علمنا من مبادئ علم النفس التربوي أنّ المرأة أقوى عاطفة من الرجل، وأضعف تفكيراً منه، وأنّ الرجل أقوى تفكيراً من المرأة، وأضعف عاطفة منها، وهذا التقابل التكاملي بينهما هو سرّ السعادة

¹ - أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب الوصاة بالنساء، رقم (5185) / ومسلم واللفظ له كتاب: الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، رقم (47).

بينهما... فهي حكمة ربانية لا بد منها لكي يعثر كل من الرجل والمرأة في الشخص الآخر على ما يتمّم نقصه، ومن ثمّ يجد فيه ما يشدّه إليه... وقد تشدّد هذه السنّة فتجد في الرجال من يتصفون بالعاطفة، والمشاعر الرقيقة، وتجد في النساء من تفوّق الرجال في أشياء كثيرة، فلا يعدّ ذلك إلا شذوذاً مخالفاً للقاعدة والأصل⁽¹⁾.

. إنّ نقص عقل المرأة ودينها ليس قدحا فيها، وليس المراد به النقص في كلّ شيء، وقد بيّن النبي ﷺ . أنّ المراد بنقصان عقلها هو من جهة ضعف حفظها وأنّ شهادتها تُجبر بشهادة امرأة أخرى بخلاف شهادة الرجل، وأما نقصان دينها فهو من جهة تركها للعبادات أثناء الحيض أو النفاس فعبادتها أنقص من عبادة الرجل من هذه الجهة وإن كانت غير ملومة على ذلك ولا مُقَصِّرة في دينها، بل قد تثاب أثناء انقطاعها عن العبادات لسبب شرعي متى كانت محافظة على فرائض الله في بقية أيامها ومما يشهد لذلك قول المصطفى ﷺ . «إذا مرض العبد، أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»⁽²⁾

و في الأخير يجب التنبيه أنّه لا يجوز إطلاق لفظ نقصان العقل والدين على عواهنه، والاستهزاء بالمرأة والتقليل من شأنها واتهامها بالنقصان بمجرد وقوعها في الخطأ أو السهو، وينبغي أن يحمل الحديث على المعاني التي بيّنها الرسول ﷺ . وهي نقصان دينها بانقطاعها عن العبادات في أزمّة معيّنة، ونقصان العقل يجعل شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد والله أعلم.



1 - ينظر: محمد سعيد رمضان البوطي، المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني (دمشق، مط: دار الفكر، ط: 6، سنة: 1425هـ / 2005م) ص: 174 بتصرف.

2 - أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، رقم (2996).

المبحث الثاني: لولا حواء لم تكن أنثى زوجها

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تكن أنثى زوجها الدهر»⁽¹⁾

المطلب الأول: الانتقادات الموجهة للحديث

تعرض هذا الحديث لجملة من المعارضات والانتقادات عند كثير من المعاصرين سواء في شقّه الأول المتعلق بفساد اللحم بسبب بني إسرائيل، أو شطره الثاني المتعلق بربط حيّانة كلّ أنثى بأنّهم حواء، ومتعلّق ببحثنا هنا هو قضية حيّانة حواء لأدم الذي استنكره كثير من المعاصرين، واعتبروه موضوعاً لتكريس سيطرة العنصر الذكوري حتى أقنعوا كلّ امرأة بهذه الثقافة المخالفة لمنطق الوحي والعقل، أمّا الحجج التي استندوا إليها في ردّ هذا الحديث فهي تناقضه الصريح مع كتاب الله، ومصادمته لحقائق العقل والمنطق، وتفصيل اعتراضاتهم كما يلي:

1. معارضة الحديث للقرآن: إنّ هذا مأخوذ من التوراة التي تنسب الخطيئة لأمتنا حواء، وهذا

مصادم تماماً لما في كتاب الله الذي يحمل المسؤولية لأدم، أو يحملها لهما معاً كما صرح القرآن أنّ سبب الغواية هو الشيطان وليس حواء قال تعالى ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا

¹ - أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: قوله تعالى ﴿...﴾ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ

أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴿...﴾ [الأعراف: 142] رقم (3399)/ ومسلم، كتاب: الرضاع، باب لولا حواء لم تكن أنثى زوجها الدهر، رقم (1470).

رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ [البقرة: 35 / 36].

قال إسلامبولي: "ففي القرآن نرى أنّ الذي قام بفعل التزيين والزّل لأدم وزوجه على حدّ سواء إنّما هو الشيطان ولا علاقة لزوج آدم بذلك أبداً، هذا واضح وصريح في النص القرآني فضلاً عن أنّ اسم حواء لم يأت في القرآن وإنّما هو كما قلنا من اليهوديات.. فهذا الحديث باطل وكذب وافتراء وتحامل واضح على جنس النساء، ويبدو أنّ الذي وضع الحديث خائنه زوجته فانتقم من جنسها كلّهُ بترويج هذا الحديث بين الناس" (1)

قال ابن قرناس: "أما القرآن فيقول أنّ آدم هو من عصى ربّه وأكل من الشجرة أولاً ﴿١١٥﴾ وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴿طه: 115﴾ وتوكّد ذلك آية تليه في نفس الصورة ﴿١١٠﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعِدُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١١٠﴾ ﴿طه: 120﴾ وقد شاركته حواء الأكل دون أن تكون هي المحرّضة أو البادئة ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءَ تُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴿طه: 121﴾ (2) كما أنّ القرآن يقول أنّ الله جلّ وعلا لا يكلف المرء خطيئة غيره، ولا يحاسبه إلا

على ما اقترفت يداه برضاه قال تعالى ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا

1 - سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 277.

2 - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 334.

مَا أَكْتَسَبَتْ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: 286] وقال تعالى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ﴿١٨﴾ [فاطر: 18] (1)

1 . معارضة الحديث للعقل: قالوا هذا لا يمكن أن يكون من كلام النبوة بل هو من الإسرائيليات، وهو مناقض لثوابت العقل من عدة وجوه:

. أنه يدلّ على أنّ الخيانة شيء غريزي موروث عن حواء ولا يجوز أن نلوم عليه المرأة قال إسلامبولي: " فهذا الحديث يثبت أنّ الخيانة في النساء شيء طبيعي وذلك موروث غريزي من خلال الأم الأولى . حواء . والمفروض حسب الحديث أن لا تلام أيّة أنثى على فعل الخيانة؛ لأنّ ذلك من طبعها الذي جُبلت عليه" (2).

وقال جواد خليل (3) : " ثمّ ما الداعي لربط خيانة كلّ امرأة لزوجها بأمتنا حواء؟ فهل خيانة النساء شيء موروث غريزي و حواء كانت هي السبب في ذلك الموروث؟! فعلى هذا يجب أن لا تلام المرأة على خيانتها ! وهل واضح هذا الحديث أراد الانتقام لنفسه بسبب خيانة زوجته فقام بوضع مثل هذا الحديث؟! (4)

. أنّ الخيانة هيّ الزينة فهذا اتّهام صريح لأمتنا حواء قال زكريا أوزون: " ومن هي الخائنة للزوج تحديدا؟! من هي خائنة بيت الزوجية؟! أليست الزانية!! فما رأيك سيدتي المرأة؟ وما هو مبرر صلاتك وصيامك وحجابك ما دمت خائنة لزوجك دوما؟ (5) وقال ابن قرناس : " وأما أن يكون سبب الزينة

1 - ينظر: ابن قرناس، الحديث ولقرآن، ص: 335.

2 - إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 276.

3 - هو مهندس لبناني رافضي له عدة مؤلفات في انتقاد الصحيحين منها: كشف المتواري في صحيح البخاري (حتى لا يكون البخاري صنما بيد) وصحيح مسلم تحت المجهر وقد انتقد فيهما أحاديث كثيرة.

4 - جواد خليل، كشف المتواري في صحيح البخاري (بيروت، مط: مؤسسة البلاغ، ط: 1، سنة: 1428هـ / 2007م) ج: 2، ص: 132.

5 - أوزون، جنابة البخاري، ص: 120.

هو حواء، فهو اعتقاد يهودي، مما يُظهر بوضوح أنّ محتلق الحديث إما يهودي، أو أنّه متأثر بتراث كتب اليهود⁽¹⁾.

. إنّ هذا أمر غيبي لا يعلمه إلاّ الله فمن أين علم الرسول ﷺ . هذا؟ قال نيازي: " وإذا سألنا من أين أتى مصدر العلم لمحمد رسول الله ﷺ . ليقول هذا الكلام، علماً أنّ علم الرسول يبدأ وينتهي بما نزل عليه الله وحيا بواسطة جبريل . عليه السلام . جاء من يحاول أن يقنعك بأنّه كانت للرّسول جلسات خاصة مع جبريل يتلقّى منه علما... لكن ماذا تريد أن يقول لك جنود السلطان الذين قرأوا التوراة فوضعوا الأحاديث كذبا وظلما على الله وعلى كلّ المسلمين بأنّ الرسول قد قال هذا الكلام⁽²⁾ .

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

ليس في هذا الحديث ما يناقض كلام الله، ولا ما يستنكر عقلا كما ادّعى المعارضون عليه، وإنّما الاستشكال ناتج عن سوء فهم المعارض لمعنى الخيانة، ومن ثمّ حكموا على الحديث بالوضع لما ينبني عليه من مستلزمات باطلة، ولو كان الحديث يدلّ على تلك المعاني الباطلة لاستنكره جهابذة المحدثين وشراح الحديث وعلماء الإسلام قاطبة، ولكن لما كان معنى الحديث غير ذلك، وكان الحديث مروياً بالسند الصّحيح قبله العلماء وبَيّنوا المراد منه، وأما ما اعتلوا به الحديث فالجواب عنه:

◀ قبل بيان عدم وجود التعارض بين الحديث والآيات القرآنيّة لا بدّ من بيان معنى الخيانة في الحديث بالإجابة على المعارض العقلي الثاني وهو أنّ فيه اتّهاماً لأمتنا حواء بالرّينة، فيقال ليس المراد خيانة في فراش فإن ذلك لم يقع لامرأة نبي قط حتى ولا امرأة نوح، ولا امرأة لوط الكافرتان فإنّ خيانة الأولى إنّما هوّ بإخبارها الناس أنه مجنون، وخيانة الثانية بدلالاتها على الضّيف كما ذكره المفسرون.⁽³⁾

1 - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 133.

2 - نيازي، دين السلطان، ص: 835.

3 - ينظر: الحافظ العراقي، طرح التثريب شرح التقریب (بيروت، مط: دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت) ج: 7، ص: 65.

وقد بيّن بعض العلماء أنّ المراد بالخيانة في الحديث هي ترك نصح آدم ونهيه عن الأكل من الشجرة فأدم هو من أكل من الشجرة وحوّاء طاوعته في ذلك وشاركته في المعصية وعلى ذلك فكلّ من رأى أخاه المؤمن على سبيل ذلك فترك نصحه بالنهي عن ذلك النهي فقد خانه⁽¹⁾ قال ابن الجوزي: "وأما خيانة حوّاء زوجها فإنّها كانت في ترك النصيحة في أمر الشجرة لا في غير ذلك"⁽²⁾.

. وذهب أكثر أهل العلم أنّ المراد بخيانة حوّاء هو أنّ إبليس لما أغوى حوّاء وزيّن لها الأكل من الشجرة ذهبت تزيّن ذلك لأدم حتى فعل مثل ما فعلت فعادت خائنة من هذا الوجه⁽³⁾ قال القاضي عياض: " إنّ إبليس إنّما بدأ بحوّاء فأغواها وزيّن لها حتى جعلها تأكل من الشجرة، ثم أتت أدم فقالت مثل ذلك حتى أكل أيضا"⁽⁴⁾ وقال ابن حجر: " فمعنى خيانتها أنّها قبلت ما زيّن لها إبليس حتى زينته لآدم ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول وليس المراد بالخيانة هنا ارتكاب الفواحش حاشا وكلا ولكن لما مالت إلى شهوة النفس من أكل الشجرة وحسنت ذلك لآدم عد ذلك خيانة له"⁽⁵⁾.

1 - ينظر: الوزير ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصّحاح، تحق: فؤاد عبد المنعم (مط: دار الوطن للنشر ، د ط، د ت) ج: 7، ص: 230/ ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج: 3، ص: 504/ أبو السعادات ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحق: عبد القادر الأرنبوط (مط: دار البيان، ط: 1، سنة: 1392هـ / 1972م) ج: 10، ص: 325.

2 - ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج: 3، ص: 504.

3 - القاضي عياض، إكمال المعلم، ج: 4، ص: 682/ النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 10، ص: 59/ الحافظ الراقي، طرح الشرب شرح التقريب، ج: 7، ص: 65/ ابن حجر، فتح الباري، ج: 6، ص: 424/ القسطلاني، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، ج: 5، ص: 322/ السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تحق: أبو إسحاق الحويني (السعودية، مط: دار ابن عفان، ط: 1، سنة: 1416هـ / 1996م) ج: 4، ص: 80.

4 - القاضي عياض، إكمال المعلم، ج: 4، ص: 482.

5 - ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: 2، ص: 231.

والقول الأول هو الذي تدلّ عليه اللغة، قال ابن فارس " الخاء والواو والنون أصل واحد، وهو التنقّص، يقال خانه يخونه خونا، وذلك نقصان الوفاء، ويقال تخونني فلان حقي، أي تنقّصني (1) كما أنّه لا يعارض كتاب الله بأي وجه، الذي دلّ على نسبة العصيان لأدم وحواء أو لأدم فقط، بخلاف الثاني فقد يردّ عليه أنّ القرآن نسب العصيان لأدم أو لكليهما، فكيف تجعلون حواء سبب الغواية وحدها؟.

وعلى تفسير الحيانة بترك الوفاء والنصح لا يكون في الحديث معارضة لكلام الله، ولو افترضنا في ترك الوفاء معارضة لكلام الله، لكانت الآيات الدالة على نسبة العصيان لأدم كقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَنَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ ﴿١١٥﴾ ﴿طه: 115﴾ مناقضة للآيات الدالة

على نسبة العصيان لكليهما كقوله تعالى ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لهُمَا سَوْءَ تَهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۗ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿طه: 121﴾ كما أنّها معارضة للآيات التي

جعلت سبب خروجهما من الجنة هي وسوسة الشيطان قال تعالى ﴿فَوَسَّوَسَ لهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَ تَهُمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَا مِنْ الْخَالِدِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴿الأعراف: 20/21﴾ فحاصل ما في

الحديث زيادة تفصيل وبيان لهذه القصة فخرج آدم وحواء كان بتقدير الله لهما قبل خلقهما أن يستخلفهما في الأرض لتعميرها بتوحيده وعبادته قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

¹ - ينظر: ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، ج: 3، ص: 504.

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ^ط قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴿البقرة: 30﴾ والذي أغرى الاثنين

وأغواهما بالوسوسة والقسم الكاذب هو إبليس، فعصيان آدم لربه كان بالأكل من الشجرة ومخالفة ما نهاه الله عنه، وعُدَّت حواء خائنة بتركها النصيح لأدم عليه السلام وعدم وفائها بالنصيحة، ثم تاب الله عليهما، وغفر لهما وانتهت تلك المعصية.

◀ وأما الاعتراضات العقلية التي استشكلوا بها الحديث فالجواب عنها:

. إنَّ القول بأنَّ الحديث يدلُّ على توريت الخطيئة، فإنَّ الحديث لا يدلُّ على توريت الخطيئة بل على توريت الطباع والصفات التي جُبل عليها الإنسان " وأنَّ طبيعة النساء واحدة، واستعدادهنَّ واحد في الخلقة والقابلية، لا فرق بين حواء وغيرها من اللائي جنن بعدها. وقد خلقت حواء وهي أم النساء قابلة للخيانة والخطأ، فخلقت بناهما مثلها في ذلك الاستعداد والقبول، وفي تلك الخلقة والصبغة، لا تفاوت بين أفراد النساء في ذلك . ولو أن حواء خلقت غير قابلة لذلك لما وقع منها شيء مما ذكرنا لأنها غير قابلة له كما خلقت الملائكة غير قابلة للعصيان و كانت بناهما غير قابلات ولا مستعدّات لشيء منه، فلم يقع منهنَّ شيء، لأنَّ الطبيعة واحدة. وعلى هذا قيل " ولولا حواء ما خانت امرأة زوجها " أي لو خلقت غير قابلة للخيانة لكانت بناهما مثلها غير قابلات للخيانة، وإذا لم تكن حواء ولا بناهما قابلة للخيانة لم تقع منهنَّ⁽¹⁾ قال ابن حجر: " ولما كانت هي أم بنات آدم أشبهها بالولادة ونزع العرق فلا تكاد امرأة تسلم من خيانة زوجها بالفعل أو بالقول ..وأما من جاء بعدها من النساء فخيانة كل واحدة منهن بحسبها وقريب من هذا حديث جحد آدم فجحدت ذريته".⁽²⁾

فقابلية بنات حواء للخيانة، لأنَّهنَّ خلقن وفيهن قابلية لذلك وكذلك جميع البشر معرضون للخطأ والنسيان والجحود؛ لأنَّهم من طينة أبيهم آدم وأمهم حواء، فالحديث يدلُّ على توريت الطباع لا على

1 - القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، ص: 14.

2 - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج: 6، ص: 424.

توريث الخطيئة، ولو كان الحديث يدلّ على ما ذهبوا إليه، لكان الواجب الاعتراض على الآيات القرآنية بمثل ذلك؛ لأنّ ذريّة آدم لم يسكنوا الجنّة مع أنّهم لم يعصوا أمر ربّهم بالأكل من الشجرة، فلماذا أخرجوا منها؟!!

وقول جواد خليل "فعلى هذا يجب أن لا تلام المرأة على خيانتها! ثمّ قال: وهل واضح هذا الحديث أراد الانتقام لنفسه بسبب خيانة زوجته فقام بوضع مثل هذا الحديث" فلا يخفى على كلّ متأمل أنه كلام متناقض إذ قوله يجب أن لا تلام المرأة لأنها ورثت الخطيئة، مناقض لقوله أنّ واضعه أراد الانتقام من زوجته بسبب خيانتها له، فإن كانت المرأة لا تلام على الخطيئة بناء على فهمه كان على هذا الرّجل أن يخفي هذا الحديث عن زوجته عوض أن يبيدّه لها فتحونه وتحتجّج بالحديث، ولو قال جواد خليل إنّ الحديث من وضع امرأة كانت تخون زوجها لكان أولى .

. أما قولهم إنّ هذا من علم الغيب فمن أين أتى مصدر العلم لرسول الله . ﷺ . ؟ فهذه طريقة نّيّازي في ردّ جميع النصوص التي تتحدّث عن الغيب، فجوابه أنّ مصدر العلم أتى لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم عن طريق الوحي كما أوحى إليه القرآن، وأوحي فرائض الإسلام، وأحكام المعاملات والأسرة والجهاد وغيرها أوحى إليه مثل هذه الأخبار، ولا يمكن لرسول الله . ﷺ . أن يخبر مثل هذه الأخبار إلّا بوحي منه . سبحانه . قال تعالى ﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾ (٢٦) إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ

رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ [الجن: 27/26]

ولعلّ نّيّازي يريد أن يمنع عن الأمة جميع الغيبات التي أخبرهم بها نبيّهم . ﷺ . وإن رويت في الأخبار الصّحيحة فلا يجب أن نصدّقها، وإن كان الأمر كما قال فلا أدري ما فائدة ثناء الله على المؤمنين بالغيب في الكثير من النصوص القرآنيّة.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

وبهذا يتبين أنّ الحديث صحيح ثابت لا يمكن لرسول الله ﷺ . أن يقوله إلا بوحى، وليس لنا غير النظر في سنده وقد ثبت بالسند الصحيح برواية الشيخين وغيرهما فلا مطمع في رده، وأنّ المراد بالخيانة في الحديث هو ترك الوفاء وواجب النصح وهو قول تشهد له اللغة، كما أنّه غير معارض لظواهر النصوص القرآنيّة، بخلاف من فسّر الخيانة بتزيينها وإغوائها لأدم بالأكل من الشجرة، وليس معنى هذا أن تستسلم المرأة لشهوات نفسها وتسترسل في هذا بل لا بدّ من مجاهدة النفس وضبطها، والرفعة بها والسمو إلى معالي الأمور وأشرفها، فلا يردّ حديث ثابت متفق على صحّته لأجل سوء فهم وقلة نظر والله أعلم.



المبحث الثالث: حديث أن النساء أكثر أهل النار

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن أسامة، عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «قمت على باب الجنة، فكان عامّة من دخلها المساكين، وأصحاب الجدد محبوسون، غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإذا عامّة من دخلها النساء»⁽¹⁾

وعن ابن عباس، قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: " يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهنّ الدهر، ثم رأيت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط " ⁽²⁾

عن أبي سعيد الخدري، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحى أو فطر إلى المصلّى، فمر على النساء، فقال: «يا معشر النساء تصدّقن فإني أريتكنّ أكثر أهل النار» فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: «تكثرن اللّعن، وتكفرن العشير..» الحديث⁽³⁾

1 - أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (6547)/ ومسلم، كتاب: الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، رقم (2736).

2 - أخرجه البخاري، باب كفران العشير وكفر دون كفر، رقم (29)/ ومسلم، كتاب: الكسوف، باب ما عرض على النبي . . في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار، رقم (907).

3 - أخرجه البخاري، كتاب: الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم (304)/ ومسلم، كتاب: الإيمان، باب نقصان الإيمان بنقص الطاعات وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله، ككفر النعمة والحقوق، رقم (79).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

من أبرز الأحاديث التي أُثيرت حولها الشكوك والشبهات حديث "أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء" وقد حاول الكثير من المعاصرين الطعن فيه، وإثارة عواطف النساء حوله، وأنه يجب على كل امرأة أن ترفض مثل هذه الأحاديث التي تقلل من شأنها وتجعلها دون الرجل في المرتبة رغم أن القرآن دلّ على أن دخول الجنة يكون بالإيمان والعمل الصالح، كما أن دخول النار يكون بسبب الكفر والمعاصي ولا مزية في ذلك لذكر على أنثى، وقد استدلّوا على تعليل الحديث بجملة من الاستشكالات والمعارضات العقلية والتي نجملها في ما يلي:

1. معارضة الحديث لكتاب الله: قالوا إن كتاب الله قد دلّ على أن معيار قياس الأعمال هو التقوى والعمل الصالح ولا مدخل للذكورة والأنوثة في دخول الجنة أو النار فالحديث يتحيز لصالح الرجال ويفضّلهم على النساء قال ابن قرناس: " فكيف يكون أكثر أهل النار النساء مع أن الله يقول ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: 124] وعندما خلق الله الإنسان خلقه من ذكر وأنثى لضرورة

التزاوج وليس لتفضيل جنس على آخر ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات: 13].⁽¹⁾ قال إسلامبولي: " فهذه الأحاديث المتعلقة بالنساء وأهّن أكثر أهل النار، وأكثرهن عذابا إلى غير ذلك لا شك في أنّها باطلة كلّها وهي من وضع رجل متحامل على جنس النساء وهذا واضح لكل من تأمل الأحاديث المذكورة.. والمفهوم من هذه الأحاديث هو غياب العنصر الذكوري من النار إلى الحد

¹ - ابن قرناس ، الحديث والقرآن، ص: 375.

الأدنى أي هم الأقلية في النار ووجود الذكور في الجنة إلى الحد الأعلى أي هم الأكثرية فالجنة للذكور والنار للنساء... ولكننا نقول إن الأحاديث باطلة وفي كل من الرجال والنساء الصالح والطالح والجنة للجميع والنار للمجرمين ويكفي أن فرعون وهامان وقارون رجال ولسن نساء. (1)

2. معارضة الحديث للعقل: قالوا إن الحديث يرده العقل والمنطق وذلك من عدة وجوه:

. أن الجنة والنار من الغيبات التي لا يعلمها إلا الله فكيف عرف النبي ﷺ. أن النساء هن أكثر أهل النار؟ وفي تقرير هذه الشبهة يقول نيازي: " هذه الأحاديث كلها من غيب الله أولاً، ولا يعلم الغيب إلا الله، والرسول محمد لم يدع يوماً أنه أصبح شريكاً لله في غيبه... ولم نصل بعد إلى يوم القيامة ولا حصل الحساب، وكل الذين ماتوا بما فيهم آدم لم يحاسبوا، فما في النار والجنة التي يرسونها للرسول ظلماً؟". (2) وقال صالح أبو بكر: " إذا كان النبي ﷺ. قد عرف أصحاب النار من الجنسين في القرآن صفة وعملاً؛ فإنه عليه الصلاة والسلام لم يعرفهم في قرار النار كما وعدداً، وعلة ذلك أن القرآن الكريم قد جاءه خبراً ووحياً، وأما أصحاب النار فمتروك أمرهم وتحديد عددهم إلى يوم القيامة التي لا يعلم نتائج حصرها، وتقدير أعدادها إلا الله وحده، وليس له في ذلك شريك أبداً". (3)

. كيف استطاع أن يميز الفقراء عن غيرهم في الجنة، ومعلوم أن الناس في الجنة على سنٍ واحدة وهم في أسمى صورة قال نيازي: " وكيف عرف الرسول على فرض أنه رأى رجالاً في الجنة أنهم من الفقراء، ألم يرو لنا جنود السلطان قبل هذا أن الرجال يخلقهم الله جميعاً وعمرهم ثلاث وثلاثون سنة، وكلهم أسمى من البدر ويلبسون الحرير والذهب الذي كان محرماً عليهم في الأرض، ويشربون الخمر في

1 - ينظر: سامر إسلامبولي، تحرير العقل من النقل، ص: 293.

2 - نيازي عز الدين، دين السلطان، ص: 274.

3 - صالح أبو بكر، الأضواء القرآنية، ص: 130.

أحضان الحوريات، أليس هذا وصفهم؟ فكيف للرّسول الذي يرى هذا المظهر الذي يدلّ على النعمة والثراء أن يعلم أنّ هؤلاء هم الذين كانوا من الفقراء في الأرض".⁽¹⁾

• إنّ كفران العشير وإكثار اللّعن ليست بمثابة الكفر بالله حتّى تجعل سببا لدخول النّساء إلى النّار قال السبحاني: "ثم إنّ إكثار اللّعن ليس إلا دعاء، إذا صدر في غير محله يكون أشبه بدعاء غير مستجاب فكيف يكون سببا لدخول النّار وخلودها، كما أنّ إكفار العشير ليس إلا عدم الوقوف على حقّهم، وهو إن لم يكن مقرونا بأمر محرّم لا يوجب الدخول في النّار".⁽²⁾

وقال ابن قرناس: "هنّ لم يكفرن بالله لكن كفرن بالعشير (الزوج) فالحديث يقول أنّ الكفر بالعشير يوّازي الكفر بالله، ويؤدّي بالمرأة إلى النّار، أما الله سبحانه وتعالى فيقول بأنّ النّار أعدت للكافرين

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

[البقرة: 24] والكافر هو من يكفر أوامر الله، ويكذب آياته وليس من يكفر بالعشير.⁽³⁾

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

إنّ النبي ﷺ . قد أراه الله النّار وقد رأى أنّ أكثر من دخلها النّساء، فأراد صلى الله عليه وسلّم أن يُبصّر النّساء بحالهنّ ويبيّن لهن الأسباب التي جعلتهنّ أكثر أهل النّار، وذلك حتى يقين أنفسهن من نار جهنّم، وليس في الحديث ما يدلّ على كثرة النّساء في النّار لكونهنّ نساء بل إن سبب دخولهنّ النّار هي العلل التي ذكرها النبي ﷺ . من كفران العشير، وكثرة اللّعن، وأما ما اعترض به على الحديث فما هو إلا تدليس للحقائق، ولعب بالعواطف، واستثارة للنّساء وأهّن محتقرات ومظلومات و

1 - نيازي عز الدين ، دين السلطان، ص: 274.

2 - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 128.

3 - بن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 375.

والجواب عن ما ذكروه من علل ومعارضات كما يلي:

◀ أما دعوى تحييز الحديث لمصلحة الرجال ومعارضته للنصوص القرآنية الدالة على المساواة بين الذكر والأنثى فالجواب عنه من عدة وجوه:

ليس في الحديث شيء من ذلك، فلو دلّ الحديث على كثرة النساء على الرجال في النار فليس فيه تحقير أو إهانة للمرأة، فالحديث لم يعلّل ذلك بكونهن نساء بل علل ذلك بجملة من الذنوب والمعاصي التي تغلب في جنس النساء، وقد حرص النبي ﷺ . على إعطاء الدواء لهذه الصفات الذميمة فقال: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» فالحديث حكاية لحال معينة وقد بين النبي ﷺ . علة وطرق الخلاص منه " فالله عزّ وجل خلق الجنة وخلق لها أهلاً، وخلق النار وخلق لها أهلاً ، ثم يسّر كلّ واحد لما خلق له ويسّره لعمل يؤدّه إليه وجبله عليه، فخلق المعصية في النساء أكثر، ونقص الجيلة فيهم أوفى.⁽¹⁾

لو كان الحديث يدلّ على احتقار النساء والتقليل من شأنهنّ لكان الواجب أن يفهم من قوله ﷺ . "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء" تفضيل الفقر على الغنى والحثّ على الفقر والمسكنة قال ابن بطّال وكذلك ليس في قوله ﷺ . "اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء" ما يوجب فضل الفقراء، وإنما معناه أن الفقراء في الدنيا أكثر من الأغنياء، فأخبر عن ذلك كما نقول أكثر أهل الدنيا الفقراء، لا من جهة التفضيل، وإنما هو إخبار عن الحال، وليس الفقر أدخلهم الجنة، إنّما أدخلهم الله الجنة بصلاحتهم مع الفقر؛ رأيت الفقير إذا لم يكن صالحاً فلا فضل له في الفقر"⁽²⁾ فالفقراء لم يدخلوا إلى الجنة لكونهم فقراء فقط، وكذلك النساء لم يدخلوا إلى النار لكونهنّ نساء، بل إنّ الغني إذا كان من أهل الصّلاح فإنّه يفوق الفقير بخصيصة لا يمكن أن يبلغها الفقير هي الصدقة،

¹ - ينظر: ابن العربي، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، تحق: أحمد عبد الله ولد كريم (بيروت، مط: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، سنة: 1992م) ج: 1، ص: 384.

² - ابن بطّال، شرح صحيح البخاري، ج: 10، ص: 173.

ولهذا قال النبي ﷺ . لفقراء المهاجرين الذين قالوا له : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى، والتّعيم المقيم، فقال: «وما ذاك؟» قالوا: يصلّون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدّقون ولا نتصدّق، ويعتقون ولا نعتق، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟ ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم» قالوا: بلى، يا رسول الله قال: «تسبّحون، وتكبرون، وتحمّدون، دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة» قال أبو صالح: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا، ففعلوا مثله، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»⁽¹⁾ فالحاصل أنّ الحديث ربط ذلك بكثرة إتيانها لهذه الصّفات لا بكونهنّ إناثاً، كما أنّ ذلك لا يدلّ على إعفاء جنس الذّكور من هذه الصّفات وإنّما هي في النّساء أكثر والله أعلم.

و قد ذهب الكثير من أهل العلم إلى أنّ كثرة النّساء في النّار لا يدلّ على قلّتهنّ في الجنّة فهنّ أكثر أهل النّار وأكثر أهل الجنّة وقد استدلوا على ذلك بما رواه محمد بن سيرين أنّهم تذاكروا: الرّجال في الجنّة أكثر أم النّساء؟ فقال أبو هريرة: أو لم يقل أبو القاسم صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ أول زمرة تدخل الجنّة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السّماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللّحم، وما في الجنّة أعزب؟»⁽²⁾ فإذا خلّت الجنّة عن العزاب وكان لكل واحد زوجتان كان النّساء مثلي الرّجال " وإن كان ظاهره يعارض الحديث الآخر «إني رأيتكن أكثر أهل النار» واجمع بينهما أنّهنّ أكثر أهل الجنّة وأكثر أهل النّار لكثرتهنّ.⁽³⁾

1 - أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم (595).

2 - أخرجه مسلم، كتاب: الجنّة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنّة على صورة القمر ليلة البدر وصفاتهم وأزواجهم، رقم (2834).

3 - ينظر: العراقي، طرح الشرب، ج: 8، ص: 270.

وقال القاضي عياض: " وظاهر احتجاجه أنّ النساء أكثر في الجنة؛ لأنه إذا كانت هذه الزمرة والنساء مثلاًهم، ومن عداهم أقلّة أن يكون النساء مثلهم، دلّ على كثرتهم، وأنهم أكثر من الرجال في الجنة، وجاء في أهل النار أنّ أكثرهم النساء، فخرج من جملة هذا أنّ أكثر بني آدم النساء، إذ هم أكثر أهل الجنة وأكثر أهل النار، وهذا كلّ في الأدميات وإلا قد جاء أنّ للواحد من أهل الجنة من الحوريات العدد الكثير".⁽¹⁾

قال ابن تيمية: " النساء أكثر من الرجال إذ قد صحّ أنّ أكثر أهل النار وقد صحّ لكل رجل من أهل الجنة زوجتان من الإنسيات سوى الحور العين وذلك لأنّ من في الجنة من النساء أكثر من الرجال وكذلك في النار فيكون الخلق منهم أكثر".⁽²⁾

قلت ومما يشهد لكثرة بني آدم من النساء على الرجال ما رواه أنس رضي الله عنه، قال: لأحدثتكم حديثاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحدثكم به أحد غيري: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقل الرجال، ويكثر النساء حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»⁽³⁾

وأما ما يمكن أن يشكل على هذا ممّا جاء في حديث عمران بن حصين الذي رواه مسلم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «إنّ أقلّ ساكني الجنة النساء»⁽⁴⁾ فأجيب عنه باحتمال أن يكون الراوي نقله بالمعنى ففهم من كونهنّ أكثر ساكني جهنّم أنّهنّ أقلّ ساكني الجنة فأخطأ فهنّ أكثر ساكني الجهتين معاً لكثرتهم والله أعلم⁽⁵⁾، ويحتمل أنّ المراد أنّ منكن في الجنة اليسير بالنسبة لمن

1 - القاضي عياض، إكمال المعلم، ج: 8، ص: 366.

2 - ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج: 6، ص: 259.

3 - أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب يقل الرجل ويكثر النساء، رقم (5231)

4 - أخرجه مسلم، كتاب: القاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، رقم (2738)

5 - ينظر: الحافظ العراقي، طرح الثريب، ج: 8، ص: 270.

يدخل النار منكن لأنهن أكثر أهل النار فقوله " أقل ساكني الجنة النساء " يعني بالنسبة لمن يسكن منهن النار، وليس بالنسبة إلى الرجال⁽¹⁾ . يحتمل أن يكون ذلك في أول الأمر، وأما بعد خروجهن بشفاعة النبي ﷺ . وبرحمة الله، فالتساء في الجنة أكثر⁽²⁾ .

◀ وأما الاستشكالات العقلية التي أوردوها على الحديث فالجواب عنها :

. أن قولهم كيف عرف النبي ﷺ . أصحاب النار كما وعددا؟ وكيف استطاع تمييز الفقراء عن غيرهم رغم ما هم فيه من النعيم؟ فهذا القول نتاج فكر القرآنيين المنكرين للسنة، الذين حاولوا تعليل الأحاديث بما يتوافق مع مذهبهم، ومع ذلك نقول جوابا عنهم: ليس في هذا مشاركة لله في ملكه كما تدعون بل إن الله عز وجل خص بعض أنبيائه بما يشاء من أخبار الغيبيات ومن ذلك ما عرض عليه في الحديث من أمر الجنة والنار، وما عرض عليه من أمر أكلي الربا، والذين يقعون في أعراض الناس كما في حديث الإسراء، وغيرها من أخبار الآخرة التي أطلع الله نبيه عليها، وفي كتاب الله الكثير من النصوص الدالة على إطلاع الله لأنبيائه على بعض الغائبات ليكون ذلك معجزة لهم وتصديقا لنبوتهم قال عيسى عليه السلام لقومه ﴿ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ^ع

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ [آل عمران: 49] فمن أعلم عيسى عليه السلام بما

يأكلون وما يدخرون أطلع النبي ﷺ . على أهل النار وأهل الجنة وقال تعالى ﴿ عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا

يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٦٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يُسَلِّكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا ﴿٢٧﴾

﴿ [الجن: 27/26] فالله سبحانه استأثر بعلم الغيب دون خلقه، فهذا يدل على أنه لا يعلم الغيب

¹ - ينظر: عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير (مصر، مك: المكتبة التجارية، ط: 1، سنة: 1956م) ج: 1، ص: 232.

² - ينظر: القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ج: 2، ص: 983.

أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم. (1)

ولعلهم يريدون أن يحجبوا على أمة محمد . ﷺ . جميع الغيبات، وأن النبي . ﷺ . لا يمكن أن يخبر عن الغيب، والحقيقة أن ما أطلع الله عليه نبيه . ﷺ . وأخبرنا به نبينا . ﷺ . لم يعد من الغيب إلا عند من ينكر سنة المصطفى . ﷺ ..

. أما قولهم إنَّ الحديث جعل الكفر بالعشير يؤازي الكفر بالله، فهذا يرده الحديث نفسه وقد انقده هذا الفهم في ذهن النساء فقلنا «.. أيكفرن بالله؟ قال النبي . ﷺ . : " يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهنَّ الدهر، ثم رأيت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط " فمعنى الكفر هنا كفران التعم وجحدها وليس الكفر بالله (2) قال ابن عبد البر: "ومما يدل على أن الكفر منه مالا ينقل عن الإسلام قوله صلى الله عليه وسلم يكفرن العشير ويكفرن الإحسان وكافر النعمة يسمى كافرا". (3) وقال ابن رجب: "والكفر قد يطلق ويراد به الكفر الذي لا ينقل عن الملة مثل كفران العشير ونحوه عند إطلاق الكفر فأما إن ورد الكفر مقيدا بشيء فلا إشكال في ذلك كقوله تعالى ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ

مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ﴾ [النحل: 112] وإما المراد هاهنا: أنه قد يرد إطلاق الكفر

ثم يفسر بكفر غير ناقل عن الملة". (4)

1 - ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 21، ص: 307/ الطبري، جامع البيان، ج: 23، ص: 352.

2 - ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج: 1، ص: 88/ ابن عبد البر، التمهيد، ج: 4، ص: 239/ ابن رجب، فتح الباري، ج: 1، ص: 137/ ابن حجر، فتح الباري، ج: 2، ص: 630/ القسطلاني، إرشاد السري شرح صحيح البخاري، ج: 1، ص: 113.

3 - ابن عبد البر، التمهيد، ج: 4، ص: 239.

4 - ابن رجب، فتح الباري، ج: 1، ص: 137.

وخص المؤلف كفران العشير من بين أنواع الذنوب، لدقيقة بديعة وهي قوله عليه الصلاة والسلام
 "لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"⁽¹⁾ فقرن حق الزوج على الزوجة
 بحق الله تعالى، فإذا كفرت المرأة حق زوجها وقد بلغ من حقه عليها هذه الغاية كان ذلك دليلاً على
 تماتها بحق الله تعالى. (2)

. وأما قولهم إن هذه الذنوب لا توجب الدخول للنار ولا الخلود فيها لأن النار أعدت للكافرين فهذا
 قول باطل لأن الحديث دل على كثرة النساء في النار وليس فيه ما يدل على الخلود، وأما أن النار لا
 يدخلها إلا من كفر بالله فمناقض للنصوص القرآنية الكثيرة والأحاديث الدالة على أن الذنوب
 والمعاصي التي دون الكفر توجب الدخول في النار قال تعالى عن أكلي الربا **﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾** [البقرة: 275] وقال تعالى **﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ
 الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾** [النور: 23] وقال تعالى
**﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا
 ﴾** [النساء: 10] وقال النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «دخلت امرأة النار في هرة ربطتها،
 فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»⁽³⁾

1 - أخرجه الترمذي، كتاب: أبواب الرضاع، باب ما جاء في حق الزوج على المرأة، رقم (1159) وقال الحاكم صحيح على
 شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. ينظر: الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، تحقق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت،
 مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1411هـ/1990م) رقم (7325) وقال الهيثمي: إسناده حسن، ينظر: الهيثمي،
 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقق: حسام الدين القدسي (القاهرة، مط: مكتبة القدسي، د ط، سنة: 1414هـ/1994م) رقم (14163)،
 وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (3366).
 2 - ينظر: ابن حجر، فتح الباري، ج: 1، ص: 105. وقد نسبة الحافظ لابن العربي ولم أجده.
 3 - أخرجه البخاري، كتاب: بدأ الخلق، باب خمس من الدواب فواسق، يقتلن في الحرم، رقم (3818)/ومسلم، كتاب: البر
 والصلة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي، رقم (2619).

المطلب الأول: رفع الإشكال

بعد هذه الجولة مع هذا الحديث يتبيّن أنّ الحديث صحيح في أعلى درجات الصّحة، وليس فيه ما يُستنكر أو يُستغرب كما ادّعه المعترضون، بل هي مجرد تخمينات وتأويلات تخاطب عاطفة المرأة ومشاعرها للطّعن في النّصوص الصّحيحة الثّابتة وأمّا النّصوص القرآنيّة التي استدّلوا بها على وجوب المساواة بين الذّكور والإناث في جميع الأحكام فهي نصوص عامّة أو مجمّلة، وقد جاءت نصوص كثيرة في القرآن والسنة تفرّق بين الجنسين في بعض الأحكام من ذلك: قضية الميراث، وإعطاء القوامة للرجل، وجعل شهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد، وفرض الجمعة على الرجال دون النساء، وإباحة لبس الذهب والحريّر لإناث الأمّة دون ذكورها... وكلّها نصوص مشهورة صحيحة ثابتة بالقرآن والسنة وإجماع المسلمين فلا مجال لادّعاء التّعارض بين الحديث و القرآن، وليس في الحديث تحقير أو انتقاص من شأن المرأة، بل غاية ما فيه ذكر الأسباب التي جعلت النساء أكثر أهل النار وذلك بغرض اجتنابها والابتعاد عنها، كما أنّه لا يلزم من كثرة النساء في النار قتلتهن في الجنّة بل هن أكثر أهل النار كما أنّهن أكثر أهل الجنّة، وذلك لكثرة بني آدم من النساء كما ورد في الأحاديث والله أعلم .



المبحث الرابع: حديث خلقت المرأة من ضلع

المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «استوصوا بالنساء، فإنَّ المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء»⁽¹⁾

وفي لفظ لهما عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «المرأة كالضلع، إن أقمتها كسرتها، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج»⁽²⁾

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها، كسرتها وكسرها طلاقها»⁽³⁾

¹ - أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (3331) / ومسلم، كتاب: الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (1468).

² - أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب المداراة مع النساء، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنما المرأة كالضلع» رقم (5184) / ومسلم، كتاب: الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (1468).

³ - أخرجه مسلم، كتاب: الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (1468).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

من المعلوم من دين الله أنّ المرأة والرّجل سواء في خطاب الشّرع، وأنّ معيار التّفريق بينهما هو التّقوى والعمل الصّالح قال تعالى ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ الصّٰلِحٰتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: 124] وقال تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۗ وَمَنْ عَمِلَ صٰلِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ اُنْثٰى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: 40] ولكن قد خصّ الله الرّجل ببعض الأحكام دون المرأة، كما خصّ المرأة ببعض الأحكام دون الرّجل فمن ذلك سقوط الصّلاة والصّوم عنها في حال الحيض والتّفاس وسقوط الجهاد، ومن ذلك أيضا اختصاص المرأة ببض الصّفات الخلقية كما دلّ عليه حديث " خلقت من ضلع " وقد تعرّض هذا الحديث رغم روايته في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة المشهورة إلى الكثير من الاعتراضات، كما حاول الكثير من المعاصرين الطعن فيه واعتبروا أنّه يهين المرأة ويجعلها تابعة للرّجل وأتمّ دونه في المرتبة، وسأذكر في هذا المطلب أهمّ الشبهات التي تعلّقوا بها في ردّ الحديث:

1 . أنّه من الإسرائيليّات: وقد قالوا إنّ الحديث عقيدة يهوديّة أخذها أبو هريرة عن بني إسرائيل بدليل ما وُجد في التوراة المحرّفة قال صالح أبو بكر " إن التّكليف الإلهي المنزل والمفروض على المرأة والرّجل بمسؤولية واحدة، يثبت أنّهما في الخلق والتسويّة والنشأة سواء، وأنّ الرّجل ليس من ضلع مستو، وهي من ضلع أعوج؛ وإنما جاء ذلك التعبير الأعوج من محض الخيال والدسّ الإسرائيلي ".⁽¹⁾

¹ - صالح أبو بكر، الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيليّة، ص: 330.

وقال ابن قرناس: "أما القول بأن المرأة خلقت من أحد أضلع آدم فعقيدة يهودية تؤكد أن قاص الحديث إما يهودي أو متأثر بالتراث اليهودي، وهذا نص ما جاء في كتاب اليهود المقدس: فأوقع الرب الإله سباتا على آدم فنام، فأخذ واحد من أضلاعه وملاً مكانها لحما، وبني الرب الإله الضلع التي أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم"⁽¹⁾.

أما نيازي فلم ير أن خلق المرأة من ضلع عقيدة يهودية فقط بل ذهب أبعد من ذلك حين اعتبر أن خلق آدم من طين هو أيضا عقيدة يهودية مأخوذة من التوراة المحرفة فقال استدلالا بقوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [المؤمنون:12] وقوله تعالى ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ

كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة:7] "لاحظوا دقة التعبير الإلهي، لم

يقبل سبحانه بدأ خلق آدم، وإنما قال الإنسان؛ لأن آدم أتى بعد مليارات السنين على تطوّر الحياة التي بدأها في عملية خلق الإنسان، أما فكرة خلق آدم من طين فقد استوردها جنود السلطان لنا من التوراة المحرفة بأيدي أصحابها لتصبح عقيدة عند أهل السنة⁽²⁾.

2. مخالفة الحديث للقرآن الكريم: وحجتهم أن النصوص القرآنية تؤكد أن الرجل والمرأة مخلوقان

بنفس المواصفات قال السبحاني " إن مضمون الحديث يخالف القرآن الكريم حيث يرى للمرأة خلقا

مستقلا ماثلا مع خلق الرجل، قال سبحانه ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفًا رَبُّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ

رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:1] والمراد من قوله "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" أي خلق من جنسها زوجها، فالذكر

¹ - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 368.

² - ينظر: نيازي عز الدين، دين السلطان، ص: 818.

والأنثى من جنس واحد وإن كان يختلفان صنفا".⁽¹⁾

وقال ابن قرناس: " فخلق الرجل والمرأة بنفس المواصفات العقلية والقدرات، ولا تعني أن آدم خلق ثم خلقت حواء (المرأة) من أحد أضلاعه، وتؤكد الآية أن الرجل والمرأة خلقهما الله بنفس المواصفات (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) سواء الجسدية أو الذهنية".⁽²⁾

3 . معارضة الحديث للواقع والعقل: فالحديث ينقص من قيمة المرأة ويجعلها دون الرجل في المرتبة وأنها مسخرة في يد الرجل وأن استقامتها ميؤوس منها قال أوزون: " المرأة حسب الحديثين السابقين معوجة لا أمل فيها وعلى الرجل أن يستمتع بها وكأنها قطعة حلوى أو لفافة تبغ أو سيجار فاخر وفيها ذلك العوج"⁽³⁾.

وقال محمود إبراهيم⁽⁴⁾: " ولعلّ عبارة (المرأة ضلع) أو (ضلع أعوج) تكاد تكون حقيقة لدى الكثيرين ممن يعتبرون المرأة في نتائجها الأسطوري هي حقا كذلك ولأنّ مثل هذا التعزيز القدسي على أكثر من صعيد لهذه الحقيقة يعبر عن حالة تكييف للموضوع، أو وضعيّة ثقافيّة تتغذى بها سلطة الرجل وليس هناك إمكانيّة للطعن في تاريخية هذه العبارة"⁽⁵⁾ وقال نيازي: " وهكذا دخل في اعتقادنا

1 - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 397.

2 - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 367.

3 - أوزون، جناية البخاري، ص: 116.

4 - هو إبراهيم محمود كاتب وباحث سوري من مواليد 1965م في قرية خربة عنز، متخرّج من كلية الآداب قسم الفلسفة بجامعة دمشق سنة 1981، له عدة مصنفات فكرية منها: الفتنة المقدسة، المتعة المحظورة، صائد الوهم " الطبري في تفسيره" الأنثى المهذورة، الضلع الأعوج وغيرها من المؤلفات التي يطعن فيها في ثوابت الإسلام. ينظر ترجمته في موقع أبجد :

5 - إبراهيم محمود، الضلع الأعوج . المرأة وهويتها الجنسية الضائعة (بيروت، مط: رياض الرّيس، ط: 1، سنة: 2004م) ص:

أنَّ حواء خلقت من ضلع آدم (هي جزء وهو كل) ومن هنا مصدر الدونية للمرأة لدى أهل الكتاب الذين يحتقرونها حتى في كتبهم التي يسمونها مقدّسة".⁽¹⁾

المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات

لقد حاول الكثير ممن طعن في أحاديث الصّحّيحين في العصر الحديث التّركيز على قضيّة المرأة والدّفاع عنها وعن حرّيتها، وأنّ عليها أن تردّ وتنكر مثل هذه الأحاديث التي تحتقرها وتهمينها وتجعلها تابعة للرّجل، ولا شكّ أنّ المرجع المعوّل عليه في قبول الأخبار وردّها هو الإسناد الصّحيح، وقد قدّ ثبت الحديث بالسند الصحيح عن النبيّ ﷺ. كما في رواية الشّيخين وغيرهما من كتب السنّة، وأمّا ما تعلّقوا به من علل في ردّ متن الحديث فهي ناتجة عن سوء فهم وقد بيّن علماء الإسلام المراد منه وأنّه غير معارض لكتاب الله، وأمّا الاعتراضات والشّبهات المثارة على الحديث فالجواب عنها كما يلي:

◀ أمّا قولهم إنّ الحديث موافق لما جاء في التوراة المحرّفة فهو من الإسرائيليّات فهذه قاعدة فاسدة في ردّ الأحاديث فلا يردّ الحديث لمجرد موافقه لما في الكتب السّابقة، ولا شكّ أنّ التوراة والإنجيل قد حرّفت فزيد فيها ونقص ومعيار قبول ما ورد فيها أو رفضه هو العرض على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فما وافق الكتاب والسنّة الصّحيحة يجوز ذكره على وجه الاستشهاد، وما خالفهما فهو مردود " فأخبار بني إسرائيل، وأقاويلهم على ثلاثة أقسام: القسم الأوّل ما علمنا صحّته مما بأيدينا من القرآن والسنّة، والقرآن هو: الكتاب المهيم، والشاهد على الكتب السماويّة قبله، فما وافقه فهو: حق وصدق، وما خالفه فهو: باطل وكذب، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۗ ﴾ [المائدة: 48] وهذا القسم صحيح،

¹ - ينظر: نيازي، دين السلطان، ص: 818.

وفيما عندنا غنية عنه، ولكن يجوز ذكره، وروايته للاستشهاد به، وإقامة الحجّة عليهم من كتبهم⁽¹⁾ فوجود أحكام في ديننا موافقة لشرائع من قبلنا لا يقدر فيها وقد قال النبي ﷺ. «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً، فليتبوأ مقعده من النار». (2)

وأما استدلال نيازي بقوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ۝١٢ ﴾

[المؤمنون:12] وقوله تعالى ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ۝٧ ﴾

[السجدة: 7] على أنّ فكرة خلق آدم من طين هو أيضاً عقيدة يهودية فهو قول باطل شدّ به عن علماء الإسلام قاطبة، وخالف به النصوص القرآنية الصريحة، بل وأظهر جهله وتطاوله وحقده على الإسلام وعلى سنة سيد الأنام، كيف لا وقد نطق القرآن صراحة بخلق آدم من طين قال تعالى

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۝١٢ ﴾ [الأعراف:

12] وقال تعالى ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ۝٧٦ ﴾ ثم قال تعالى ﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۚ

خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ۝٧٦ ﴾ [ص: 76/71] ولعلّ استعجاله في ردّ النصوص جعله يغفل

عن من مثل هذه النصوص الدالة بمنطوقها أنّ آدم خلُق من طين.

◀ وأما استدلالهم بقوله تعالى " وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا " على بطلان الحديث فغير مسلم وقد ذهب جمهور

المفسّرين⁽³⁾ إلى أن المراد بالنفس الواحدة في الآية آدم، والمراد بالزوج حواء، وأنها أُخرجت من ضلع

1 - ينظر: أبو شهبه، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (مط: مكتبة السنة، ط: 4، د ت) ص: 106.

2 - أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (3461).

3 - ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 6، ص: 341/ البغوي، معالم التنزيل، تحق: محمد عبد الله النمر

وأخرون (الرياض، مط: دار طيبة، ط: 1، سنة: 1409هـ/ 1989م) ج: 2، ص: 159/ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج: 2،

ص: 4/ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحق: عبد الرزاق المهدي (بيروت، مط: دار الكتاب العربي، ط: 1، سنة: =

آدم، وهو الظاهر من قوله " وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا " فمن تبعية ومعنى التبعية أنّ حواء خلقت من جزء من آدم وهو الذي يدلّ عليه هذا الحديث، قال الرازي "وفي كون حواء مخلوقة من آدم قولان: الأول: وهو الذي عليه الأكثرون أنه لما خلق الله آدم ألقى عليه النوم، ثم خلق حواء من ضلع من أضلاعه اليسرى، فلما استيقظ رآها ومال إليها وألفها، لأنها كانت مخلوقة من جزء من أجزائه"⁽¹⁾ قال ابن عاشور: "ومن قال: إنّ المعنى وخلق زوجها من نوعها لم يأت بطائل، لأنّ ذلك لا يختصّ بنوع الإنسان فإنّ أنثى كل نوع هي من نوعه".⁽²⁾

وهذا المعنى الذي ذكره المفسرون لا ينافي التشبيه الوارد في قوله . ﷺ . في الرواية الثانية «المرأة كالضلع» قال ابن حجر في الجمع بين الروايتين: "فكان المعنى أنّ النساء خلقن من أصل خلق من شيء معوج وهذا لا يخالف الحديث الماضي من تشبيه المرأة بالضلع بل يستفاد من هذا نكتة التشبيه وأنها عوجاء مثله لكون أصلها منه"⁽³⁾ وبهذا يتضح أنّ السنة الصحيحة قد وافقت ما دل عليه القرآن الكريم.

◀ وأما قولهم إنّ الحديث فيه احتقار للمرأة لأنّه وصفها بالاعوجاج، كما أنّه تمييز بينها وبين الذكر وأنها مجرد تابع له فالجواب عنه من عدة وجوه:

. أنّ الحديث جاء في سياق المدح وليس الذم كما تدعون ولهذا قال صلى الله عليه وسلم في بدايته " استوصوا بالنساء " ثم ختمه بقوله " فاستوصوا بالنساء " ولهذا أخرجه الشيخان وغيرهما في أبواب

= 1422هـ) ج: 1، ص: 366/ الرازي ، مفاتيح الغيب، ج: 9، ص: 478/القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 5، ص: 6/ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج: 3، ص: 333/ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 4، ص: 215.

¹ - الرازي، مفاتيح الغيب، ج: 9، ص: 477.

² - ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج: 4، ص: 215.

³ - ابن حجر، فتح الباري، ج: 9، ص: 162.

الوصاة بالنساء"⁽¹⁾ أو "المدراة مع النساء"⁽²⁾ " الوصية بالنساء"⁽³⁾ وباب " حق المرأة على الرجل"⁽⁴⁾ كما تقدّم فدلالة الحديث واضحة أنّه سيق للحثّ على مداراة النساء وملاطفتهنّ وحسن معاملتهن قال القاضي عياض: "فيه الحضّ على الرفق بهنّ، ومداراتهنّ، وأن لا يتقصى عليهنّ في أخلاقهن، وانحراف طباعهن"⁽⁵⁾ وقال النووي: "وفي هذا الحديث ملاطفة النساء والإحسان إليهنّ والصبر على عوج أخلاقهنّ واحتمال ضعف عقولهنّ وكراهة طلاقهنّ بلا سبب وأنه لا يطمع باستقامتها"⁽⁶⁾.

. أنّ الحديث إخبار بحال المرأة وطبيعتها وما اختصّت به من صفات وليس في هذا إهانة لها فاعوجاجها هو الذي يساعدها في أداء مهمّتها بخلاف استقامتها، ولذلك شبّهها النبي ﷺ . بالضلع، والضلع المعوج يؤدّي وظيفته التي وُضع من أجلها ولو حاولنا إقامته لكسرناه و لفاتت المصلحة التي تُخلق من أجلها، كذلك المرأة لو لم تكن كذلك لما استطاعت القيام بوظيفتها التي تميّزت بها عن الرجل فمن ذلك أمومتها وعطفها وحنانها فهذه الوظيفة لا يستطيع الرجل القيام بها رغم استقامته المرأة خلقت من ضلع أعوج فلا ينكر اعوجاجها، ولا مطمع للاشتغال بتقويمها لأنّ هذا مما لا يقبل التقويم كما أنّ الضلع لا يقبله قال الشوكاني⁽⁷⁾ " والفائدة في تشبيه المرأة بالضلع التنبيه على

1 - البخاري، الصحيح، ج: 3، ص: 382.

2 - نفس المصدر: ج: 3، ص: 382.

3 - مسلم، الصحيح، ص: 672.

4 - البيهقي، السنن الكبرى، تحق: محمد عبد القادر عطا (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 3، سنة: 1424هـ/ 2003م) ج: 7، ص: 480.

5 - القاضي عياض، إكمال المعلم، ج: 4، ص: 680.

6 - النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 10، ص: 57.

7 - هو: علي بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فقيه، من أهل الاجتهاد. يماني من صنعاء، كان إذا تكلم في المسائل أدهش من سمع له كتب في شتى الفنون منها إرشاد لفحول، نيل الأوطار وغيرهما، توفي بصنعاء سنة (1250هـ). ينظر: الزركلي، الأعلام، ج: 5، ص: 17/ محمد بن محمد بن يحيى الصنعائي، نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر (القاهرة، مط: المطبعة السلفية، د ط، د ت) ج: 2، ص: 162.

أنها معوجة الأخلاق لا تستقيم أبداً، فمن حاول حملها على الأخلاق المستقيمة أفسدها، ومن تركها على ما هي عليه من الاعوجاج انتفع بها، كما أنّ الضلع المعوج ينكسر عند إرادة جعله مستقيماً وإزالة اعوجاجه، فإذا تركه الإنسان على ما هو عليه انتفع به" (1)

فالحاصل أنّ هذا التّقصّ والعوج هو في غاية المناسبة للقيّام بواجباتها ووظائفها التي كلّفت بها دون الرجال قال ابن هبيرة (2): "يعني به . ﷺ . فيما أراه أنّ حنوّها الذي يبدو منها؛ إنّما هو عن عوج خلق فيها، وهو أعلى ما فيها من حيث الرّفعة على ذلك، فإنّ أعلى ما فيها الحنوّ، وذلك الحنوّ فيه عوج" (3).

. أنّ خلق المرأة من ضلع لا ينافي تكريم الله لها والوصيّة بها كما قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ

وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً

﴿ [الإسراء: 70] وهل يمكن أن يهينها . ﷺ . وهو صاحب الخلق العظيم وهو الموصي في

الكثير من النصوص بالرّفق بمن وحسن معاملتهن، ولو كان في خلق المرأة من ضلع إهانة لها وتقليل

من شأنها لكان في قوله تعالى ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ ثم

جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ [السجدة: 8/7] والماء المهين: هو النّطفة الضعيفة

1 - الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، ج: 6، ص: 244.

2 - هو " أبو المظفر الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن هبيرة كان ديناً، خيراً، متعبداً، عاقلاً، وقوراً، متواضعاً، جزل الرأي، باراً بالعلماء، مكبا مع أعباء الوزارة على العلم وتدوينه، كبير الشأن، وكان مكرماً لأهل العلم يحضر مجلسه الفضلاء على اختلاف فنونهم، ويقراً عنده الحديث عليه وعلى الشيوخ بحضوره، ويجري من البحث والفوائد ما يكثر ذكره، وصنف عدة كتب من أشهرها " الإفصاح عن شرح معاني الصحاح"، وشرح للجمع بين الصحيحين للحميدي، توفي سنة ستين وخمس مائة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 20، ص: 426/ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج: 6، ص: 230.

3 - ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، ج: 7، ص: 160.

المستقدرة⁽¹⁾ إهانة لجنس الإنسان وتقليل من شأنه، ولم يقل أحد أنّ في خلق الإنسان من ماء مهين إهانة له وتقليل من شأنه أم أنّ الأمر مختصّ بالرجال دون النساء، وأنّ الطعن يلحق السنة دون القرآن؟!.

المطلب الرابع: رفع الإشكال

إنّ هذا الحديث يدلّ دلالة واضحة على تشريف المرأة والرفع من شأنها وتكريمها، وهو إخبار بحال وطبيعة المرأة وما جُبلت عليه، وليس فيه إهانة أو إساءة للمرأة أبداً؛ وذلك أنّ المعنى في خلق المرأة من ضلع يناسب الوظيفة التي خلقها الله تعالى لها، كما أنّه يتناسب تماماً مع الوصية بالإحسان إليها وملاطفتها، وحسن معاملتها، فالحديث "إشارة إلى أنّ أصل خلقها زائع عن الاستقامة، فلا ينبغي للرجل أن يحملها على عقله، فلا يكلفها مقتضيات كلّ رأيه بل يستمتع بها بما خلقت عليه مستوصياً بها خيراً من حيث عرفانه بفضلها عليها في الرأي والعقل؛ فيكونوا في ذلك كالزّاحم لها فيبيني أمرها على المسامحة".⁽²⁾



¹ - ينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج: 18، ص: 600/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، مج: 5، ص: 1362.

² - الوزير ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، ج: 7، ص: 160.

المبحث الخامس: أحاديث متعلّقة بالحياة الزوجية

المطلب الأول: الأحاديث الوارد في المسألة

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه »⁽¹⁾

وعنه - رضي الله عنه - عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال « إذا دعا الرَّجُل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح »⁽²⁾

وعنه - رضي الله عنه - أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال « لا يحلّ للمرأة أن تصوم وزجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه، وما أنفقت من نفقة من غير أمره فإنه يؤدّي إليه شطره »⁽³⁾

وعن أسامة بن زيد - رضي الله عنها - عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « قال ما تركتُ بعدي فتنةً أضّرّ على الرجال من النساء »⁽⁴⁾

1 - أخرجه البخاري، كتاب: النّكاح، باب صوم المرأة بإذن زوجها تطوّعاً، رقم (5192).

2 - أخرجه البخاري، كتاب: النّكاح، باب إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها، رقم (5193)/ ومسلم، كتاب: النّكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، رقم (1436).

3 - أخرجه البخاري، كتاب: النّكاح، باب لا تأذن المرأة في بيت زوجها لأحد إلا بإذنه، رقم (5195)/ ومسلم، كتاب: الزّكاة، باب ما أنفق العبد من مال مولاه، رقم (1026).

4 - أخرجه البخاري، كتاب: النّكاح، باب ما يتّقى من شؤم المرأة وقوله تعالى (إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ) رقم (5096)/ ومسلم، كتاب: : الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، رقم (2740).

المطلب الثاني: الانتقادات الموجّهة للحديث

لقد أكرم الإسلام المرأة ورفع من شأنها وأوصى الرجل بحسن معاملاتها وملاطفتها والقيام بشؤونها، وفي مقابل ذلك أمر الزوجة بطاعة زوجها وقيامها بالواجبات التي كُلفت بها اتجاهاه حتى تستمرّ العشرة وتطيب الحياة ، وقد اعتبر بعض المعاصرين المتأثرين بالثقافة الغربية والذين نصّبوا أنفسهم أوصياء على المرأة المسلمة أنّ هذه النصوص تحيِّز للرجل على حساب المرأة، وتدعوا إلى عدم المساواة بين الجنسين، وأمّا المرأة ما هيّ إلا وسيلة لإمتاع الرجل، وقد جمعت هذه الأحاديث في هذا المبحث؛ لاشتراكها في نفس الطّعون، وأمّا أهم ما أُورد على هذه الأحاديث من استشكالات وشبهات فيمكن إجمالها في النقاط التالية:

1. معارضة هذه الأحاديث لكتاب الله: قالوا إنّ كتاب الله نطق بالمساواة بين الجنسين وأنّ أحكامه موجّهة للذكور والإناث على حدّ سواء فلا مجال لإقحام مثل هذه النصوص التي تميّز بينهما قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصّٰدِقِينَ وَالصّٰدِقَاتِ وَالصّٰبِرِينَ وَالصّٰبِرَاتِ وَالْخٰشِعِينَ وَالْخٰشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصّٰبِغِينَ وَالصّٰبِغَاتِ وَالْحٰفِظِينَ وَالْحٰفِظَاتِ وَالذّٰكِرِينَ وَالذّٰكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[الأحزاب: 35]

قال نيازي في تعليقه على هذه الآية التي اعتبرها مناقضة لأحاديث البخاري ومسلم: " فالدين عند السلطان دين خاص بالرجال، وما وجود النساء فيه إلا وسيلة لإمتاع الرجل... وهذا البرهان هو القرآن وليس صحيح البخاري ومسلم، وهكذا ترون أنّ الله يكلم الناس ذكورا وإناثا بخطاب واحد

دون تفضيل جنس على آخر؛ لأن وجودهما ضرورة حياتية، في حين نجد الخطاب في دين السلطان موجهًا للرجال فقط⁽¹⁾.

وقال السبحاني: "وأما كونهن أضربًا على الرجال من حب الجاه والمال والأولاد فليس بثابت، لو لم يثبت خلافه ولذا نرى أنه سبحانه يقول ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

﴿التغابن: 15﴾ فيذكر الأموال والأولاد ولا يعطف عليها النساء، وهذا دليل على أن ضرر الأولين على الرجال أكثر من ضررهن⁽²⁾.

2. معارضة الحديث للعقل والقواعد الشرعية الدالة على المساواة بين الجنسين في جميع الأحكام وتظهر هذه المعارضة في عدة وجوه:

. في هذه النصوص تميّز واضح للرجال على حساب النساء فهي تصوّر المرأة على أنها فتنة وممتع يتمتع بها الزوج كيف يشاء، ولا يحق لها الاعتراض على رغبة زوجها، كما أنه لا يجب على الزوج ما يجب عليها ولا يلحقه ما يلحقها من لعن إن هو اعترض، قال أوزون: "وجميعها تؤكّد أنّ الجنس عند المرأة بهيمي مجرد من العواطف والمشاعر الإنسانية، وعليها أن تكون جاهزة دوماً عند ما يريد الزوج وبدون أيّ تردد أو تدمر، وهنا يحق لنا أن نسأل ما حال المرأة الراغبة في الجماع التي يعرض زوجها عنها؟! ما حكمها؟! ومن سيدعمها؟! ومن سيلعن زوجها معها؟!⁽³⁾

وقال ابن قرياس: "والأحاديث السابقة تصوّر الرجل، وكأنه سيّد معبود، لا يجوز للمرأة أن تمتنع إذا ما رغب في جماعها، ولو كانت في وضع نفسي أو بدني لا تستسيغ معه الجماع، ولا يجوز أن تخرج

1 - نيازي، دين السلطان، ص: 820.

2 - السبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية، ص: 260.

3 - أوزون، جنابة البخاري، ص: 115.

ولو كان لحاجة ماسّة إلا بإذنه، بل ولا تستطيع أداء الصّوم إلا بإذن زوجها، أما هو فله أن يتمتع عن الجماع متى شاء، وللمدة التي يشاء".⁽¹⁾

. أنّ وظيفة الملائكة هيّ التّسبيح والاستغفار وذكر الله وليس اللعن قال أوزون متهكما بأبي هريرة . رضي الله عنه... الملائكة التي ما عرفنها إلا مسبحة وذاكرة لاسم الله ولاعنة على لسان أبي هريرة!!⁽²⁾

. أنّ الصّوم عبادة ولا يستأذن فيها مخلوق، كما أنّ الزوج يصوم متى شاء ولا يستأذن أحدا وهذا تمييز ظاهر بين الرّجل والمرأة، وفي تقرير هذا الاعتراض يقول ابن قرناس: " فالعبادات لله وحده لا شريك له، ولا يُستأذن مخلوق بطاعة الخالق، والمتدبّر لمبايعة الرسول صلّى الله عليه وسلّم للنساء يجد أنه ليس فيها طاعة لزوج أو بشرٍ، بل طاعة الله وحده... ولا يوجد في كتاب الله تصرّحا ولا تلميحا بأنّ طاعة الزوج من طاعة الله، وأنّ عصيانه يعرضها لنار جهنّم بل يمكنها أن تعصيه في كلّ أمر لا يتوافق معها."⁽³⁾

وقال أوزون: " ومع ذلك فإنّه لا يمكنها أن تجتهد وتزيد في عبادة صيّامها إلا بإذن من سيّدها (زوجها) أما الزوج فلا عذر له ولا حرج، يصوم ويفطر متى شاء وأتى شاء وكيف ما شاء! مع الإشارة إلى أنّ المرأة أدنى في ذلك؛ لأنّها تحتاج إلى تعويض أيّام إفطارها وقت حيضها.⁽⁴⁾

1 - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 373.

2 - أوزون، جناية البخاري، ص: 115.

3 - ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص: 376.

4 - أوزون، جناية البخاري، ص: 116.

المطلب الثاني: مناقشة الانتقادات

لقد تضافرت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية على أنّ الإنسان مكرم بشقيّه . الذكر والأنثى . دون أن يكون للذكورة والأنوثة أيّ أثر في التفريق بينهما، وأنّ الشريعة الإسلامية جعلت معيار التفاوت بينهما هو التقوى والعمل الصالح، و قد دلّت جملة من النصوص الأخرى على التفريق بينهما في بعض الأحكام وذلك لاختلاف الخلق والطبيعة بينهما وليس في هذا ترسيخ لمبدأ اللامساواة أو تفضيل للرجل على المرأة ومن ذلك الأحاديث الواردة في هذا الباب والدالة على تعظيم حق الزوج ووجوب طاعة المرأة لزوجها، والتّحذير من فتنة النساء، وكلّها نصوص صحيحة ثابتة عن النبي . ﷺ . في الصّحّاحين وغيرهما، وقد بيّن جهاذة السنّة وشرّاح الحديث معانيها الصّحيحة دون أن يقول أحد منهم أنّها دالة على دونيّة المرأة، أو أنّها تحقّر من شأن ، وما ذكره المعترضون المعاصرون على هذه النصوص من استشكالات يُجاب عنها بما يلي:

◀ أمّا دعوى تيّازي أنّ حديث «ما تركتُ بعدي فتنةً أضّرّ على الرجال من النساء» معارض

لقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: 35]

وقوله "إنّ الله يكلم النّاس ذكورا وإناثا بخطاب واحد دون تفضيل جنس على آخر" فهو كلام ناتج عن اعتماده على بعض النصوص العامة أو المطلقة وإهمال بقيّة النصوص المخصّصة أو المقيدة، وهذا من الأخطاء التي وقع فيها هؤلاء في الكثير من معارضتهم للأحاديث النبويّة، ومن تأمل هذا الحديث لا يجد فيه معارضة لهذه الآية من أيّ وجه:

. إنّ الآية تتحدّث عن جزاء الأعمال وأنّ الذكور والإناث متساوون في الجزاء متى عملوا صالحا وهذا لا ينكره أحد من المسلمين، أما لحديث فهو تحذير من الافتتان بهن؛ لأنّ الطّباع كثيرا ما تميل إليهنّ وتقع في الحرام لأجلهنّ، وتسعى للقتال والعداوة بسببهنّ، وأنّ المرأة تملك من التأثير على الرجل ما

لا يملكه سواها، وتستخدم أقوى سلاح لها في التأثير عليه والهيمنة على تصرفاته وسلوكه، وهو قوة حبه لها،.. فالحديث فيه تحذير شديد من الانقياد للمرأة والاستجابة لكل رغباتها، لأنها أشد الفتن، وأخطرها على الرجال، فإذا استجاب لرغباتها كلها أضلته عن سواء السبيل. (1)

كما أنّ الأصل في الأحكام الشرعية أنّها موجهة للجنسين معا إلا ما دلّ الشرع على التفرقة بينهما فيه فمن ذلك قوله تعالى ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۖ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ ۖ

وَأَمْرًا كَانَ مِنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ۗ ﴾ (٢٨٢)

[البقرة:282] وقوله تعالى ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ ﴾ [النساء:

11] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأهل لإناثهم" (2).

فهل يقول المعترض أنّ هذه الآيات متعارضة أم أنّها من باب تخصيص العموم وتقييد المطلق، وما ينطبق على كتاب الله ينطبق على سنة رسوله ﷺ. فالحاصل أنّ تخصيص الذكور ببعض الأحكام

1 - ينظر: حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري، (دمشق، مط: دار البيان، د ط، سنة: 1410هـ/ 1990م) ج: 5، ص: 100.

2 - أخرجه الترمذي، كتاب: أبواب اللباس عن رسول الله ﷺ. باب ما جاء في الحرير والذهب، رقم (1720)/ والنسائي، سنن النسائي، تحق: مشهور بن حسن آل سلمان (الرياض، مط: مكتبة المعارف، ط: 1، د ت) كتاب: الزينة، باب تحريم الذهب على الرجال، رقم (5148). وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، قلت أخرج الشيخان ما يشهد له فهذا الحديث وإن لم يرق إلى شرط البخاري فإنه يوّب بما يدل على قبوله فبعد أن أخرج التّهي العام عن الذهب والحرير ، أخرج حديث إباحة الحرير للنساء، وبوّب عليه باب: الحرير للنساء، رقم (5848) ينظر: الجامع الصحيح، ج: 5، ص: 63. قال ابن حجر في تعليقه عليه "كأنه لم يثبت عنده الحديثان المشهوران في تخصيص التّهي بالرجال صريحا فاكتفى بما يدل على ذلك" فتح الباري، ج: 10، ص: 309.

وكذلك مسلم في صحيحه أخرج ما يدل عليه في باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء. صحيح مسلم، كتاب: اللباس والزينة، رقم (2066). وقال أحمد شاکر إسناده صحيح، ينظر: مسند أحمد بتحقيق أحمد شاکر، رقم (19535) وصححه الشيخ الألباني ينظر: السلسلة الصحيحة ، رقم (1865).

وكذا النساء لأسباب معينة لا يعدّ تمييزاً بينهم، كما أنّه لا يتنافى مع التساوي في الجزاء بينهم.

. قد شهدت له نصوص كثيرة من كتاب الله من ذلك قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن

أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدْوَالِكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ^ع وَإِن تَعَفُوا وَتَصَفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴿

[التغابن: 14/15] وقوله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ

عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴿[الأنفال: 28] وقال تعالى ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ

وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ^ط ذَلِكَ

مَتَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا^ط وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَبَاقِ ﴿١٤﴾ ﴿[آل عمران: 14] فالله عزوجل الذي

سوى بين الجنسين في جزاء الأعمال هو الذي وصف الأموال والأولاد والأزواج أنّهم فتنة، فهل هذه

الآيات مناقضة أيضاً للآية التي عارضوا بها الحديث أم أنّها معارضة للأحاديث فقط؟! قال ابن

بطلال^ط وفي حديث أسامة أن فتنة النساء أعظم الفتن مخافة على العباد؛ لأنّه عليه السلام عمم جميع

الفتن بقوله: (ما تركت بعدى فتنة أضرب على الرجال من النساء) ، ويشهد لصحة هذا الحديث

قول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ ﴿١٤﴾ ﴿[آل عمران: 14]

الآية، فقدم النساء على جميع الشهوات. (1)

وأما استدلال السبحاني بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

﴿[التغابن: 15] وقوله إنّ الله ذكر الأموال والأولاد ولم يعطف عليها النساء، وهذا دليل على أنّ

1 - ابن بطلال، شرح صحيح البخاري، ج: 7، ص: 188.

ضرر الأولين على الرجال أكثر من ضررهن فهذا صحيح؛ لأنّ ضرر النساء على الرجال أشدّ من ضرر الأبناء قال القرطبي: " ففتنة النساء أشد من جميع الأشياء ويقال: في النساء فنتان، وفي الأولاد فتنة واحدة. فأما اللتان في النساء فإحدهما أن تؤدي إلى قطع الرحم، لأن المرأة تأمر زوجها بقطعه عن الأمهات والأخوات. والثانية يتلى بجمع المال من الحلال والحرام. وأما البنون فإنّ الفتنة فيهم واحدة، وهو ما ابتلي بجمع المال لأجلهم" (1).

وأما عدم ذكرهم في هذه الآية فللدلالة الأولاد عليهنّ فيؤخذ منه الدلالة على الأزواج بطريق الأولى قال ابن عاشور: "وجرد عن ذكر الأزواج هنا اكتفاء لدلالة فتنة الأولاد عليهنّ بدلالة فحوى الخطاب، فإن فتنتهن أشد من فتنة الأولاد لأن جرأتهن على التسويل لأزواجهن ما يحاولنه منهم أشدّ من جرأة الأولاد" (2).

◀ أما الاعتراضات العقلية التي استشكلوا بها الحديث فالجواب عنها:

. أنّ دعوى تحييز الأحاديث للرجال بحجة أنّها تُصوّر الرجل وكأنه سيّد معبود، لا يجوز للمرأة أن تمتنع إذا ما رغب في جماعها، ولو كانت في وضع نفسي أو بدني لا تستسيغ معه الجماع، فليس في الحديث ما يدلّ على ذلك، فالحديث ليس على إطلاقه كما ظنوا فليس كلما امتنعت المرأة وأبت دعوة زوجها إلى فراشه فقد حقتّ عليها لعنة الملائكة، بل الوعيد مقيّد بحالة عدم وجود العذر الشرعي، ولا يلحق المرأة هذا الوعيد متى كان لها عذر شرعي أو كانت مشغولة بأداء واجب قال النووي " هذا دليل على تحريم امتناعها من فراشه لغير عذر شرعي" (3)

1 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 5، ص: 44.

2 - الطاهر ابن عاشور، ج: 28، ص: 286.

3 - النووي، شرح صحيح مسلم، ج: 10، ص: 7.

أمّا إن كان لعذر أو كان زوجها ظلماً لها فلا يلحقها اللوم، أو لم يتم بحقها فلها أن تقتصر منه وأن تمنعه من حقه مثل ما منعها من حقها؛ وإنما يتّجه عليها اللوم إذا بدأت هي بالهجر فغضب هو لذلك أو هجرها وهي ظالمة فلم تتصل من ذنبها وهجرته. أمّا لو بدأ هو بهجرها ظلماً لها فلا يلحقها الوعيد، كما أنّ شرط تحقق الوعيد هو الغضب فإن لم يغضب من ذلك فلا تكون المعصية متحققة إما لأنه عذرهما، وإما لأنه ترك حقه من ذلك فلا يلحقها هذا الوعيد⁽¹⁾

أما قول أوزون " ما حال المرأة الرّاغبة في الجماع التي يعرض زوجها عنها؟! ما حكمها؟! ومن سيدعمها؟! فإنّ هذا الوعيد الذي يلحق المرأة بسبب هجرانها لفراس زوجها، فكذلك الزوج مطالب بأداء حقّ زوجته أيضاً، وقد قرّر القرآن الكريم ضابط الحقوق بين الزوجين في قوله تعالى ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ

الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 228] قال القرطبي: أي لهنّ من حقوق الزوجية على الرجل مثل ما للرجال عليهن⁽²⁾ وقال ابن كثير: " ولهن على الرجال من الحقّ مثل ما للرجال عليهنّ، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يجب عليه بالمعروف"⁽³⁾

وقد ثبت في السنّة وجوب أداء حقوق الزوجة على الزوج، وأنّه لا ينبغي له أن يجهد نفسه في العبادة حتى يضعف عن القيام بحقوقها من حسن عشرة وغيرها فعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال: «فلا تفعل، صم وأفطر، وقم ونم، فإنّ لجسدك عليك حقاً، وإنّ لعينك عليك حقاً، وإنّ لزوجك عليك حقاً»⁽⁴⁾

1 - ينظر: المناوي، فيض القدير، ج: 1، ص: 309/ الشوكاني، نيل الأوطار، ج: 6، ص: 248.

2 - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج: 4، ص: 52.

3 - ابن كثير تفسير القرآن، ج: 2، ص: 338.

4 - أخرجه البخاري، كتاب: النكاح، باب لزوجك عليك حق، رقم (5199).

وأما توجيه الخطاب للنساء دون الرجال فهو على الغالب ومعلوم أنّ الامتناع عن فراش الزوجية في الغالب إنما يكون من طرف الزوجة؛ ولأنّ الرجل هو الطالب له في الغالب، والمرأة هي المطلوبة، والرفض لا يتصوّر من الطالب بل من المطلوب؛ ولذا كان الزجر أغلظ على الطرف الذي يتصوّر منه الرفض أكثر؛ لكونه مطلوباً، وهو المرأة، وأما ترتيب عليه ذلك الوعيد فهو أنّ الرجل مختلف عن المرأة وصبر الزوج على ترك المعاشرة الزوجية أضعف من صبر المرأة بسبب ما يجده من مشيرات وفتن، ومنعه أشدّ ضرراً من منع المرأة؛ لذلك جاء هذا التوجيه النبوي لتقوم الزوجة بمساعدة الزوج في تلبية ذلك بصورة مشروعة، قال الطبري⁽¹⁾ في تفسير قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ^ع وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ

ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ [النساء: 28] يسّر ذلك عليكم إذا كنتم غير مستطيعي الطول للحرائر، لأنكم خُلِقْتُمْ ضعفاءً عجزاً عن ترك جماع النساء، قليلي الصبر عنه، فأذن لكم في نكاح فتياتكم المؤمنات عند خوفكم العنت على أنفسكم، ولم تجدوا طولاً لحرّة، لئلاّ تنزوا، لقلّة صبركم على ترك جماع النساء".⁽²⁾ قال ابن حجر: " وفيه أنّ صبر الرجل على ترك الجماع أضعف من صبر المرأة"⁽³⁾

. وأما قول أوزون " الملائكة التي ما عرفنها إلا مسبحة وذاكرة لاسم الله ولاعنة على لسان أبي هريرة!! فهو جهل بكلام الله، وتطاول على أحفظ الصحابة . رضي الله عنه . وكيف ينفي لعن

الملائكة وقد نطقت الآيات القرآنية بذلك قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ

1 - هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، من الأئمة المجتهدين، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه والتاريخ، توفي سنة (310هـ) له مصنفات كثيرة أشهرها: تفسير القرآن، تاريخه المشهور، وكتاب تهذيب الآثار. ينظر ترجمته: ابن خلّكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج: 4، ص: 191/ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: 14، ص: 475/ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: 4، ص: 53.

2 - الطبري، جامع البيان، ج: 6، ص: 624.

3 - ابن حجر، فتح الباري، ج: 9، ص: 206.

لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ ﴿البقرة: 161﴾ وقال تعالى ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ

عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ ﴿آل عمران: 87﴾ فللملائكة عرفانها

مسيبة وذاكرة لله، كما أنها لاعنة لمن استحق اللعن بنصوص القرآن الكريم، فهل يقول أوزن أن هذه الآيات من وضع أبي هريرة أيضا؟! أم أن الملائكة تلعن من يستحق اللعن بنصوص القرآن ولا تفعل ذلك بنصوص السنة؟! فهذا القول منه نتاج فكره الرافض للسنة النبوية بالكلية، ومن ثم حاول الطعن في الأحاديث ولو بتعليلات عليلة، وهذا ما أوقعه في مثل هذا الخطأ الفاحش.

. وقولهم إن الصوم عبادة ولا يُستأذن فيه أحد، وأنه لا يوجد في كتاب الله ما يدل على أن طاعته من طاعة الله فالجواب عنه أن هذا ليس خاصا بالمرأة حتى يقول المعترض أن فيه تحييرا للرجال وقد ورد في السنة النبوية نهي الرجل عن الصوم وقيام الليل إذا كان ذلك يؤدي إلى تفويت حقوقها فعن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال: سلمان قم الآن، فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق سلمان»⁽¹⁾

فحقها عليه أوجب من نوافل العبادات وحقوق العباد تقدم على التطوع في الطاعات فكما لا تتطوع الزوجة إلا بإذن زوجها كذلك لا يتطوع الزوج على حساب حق زوجته ولا يحتاج إلى استئذانها

¹ - أخرجه البخاري، كتاب: الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء إذا كان أوفى له، رقم (1968).

كما تحتاج هي إلى استئذانه لسبب ظاهر وهو أنه ليس للزوج عندها من الحقوق الواجبة عليها له أهم وأوجب من فراشه فليس لها أن تحرمه منه نهاراً بذريعة التطوع بالصوم بينما لها هي عليه حقوق كثيرة كالإنفاق والإسكان والرعاية والإحسان وليس له أن ينقص شيئاً من حقوقها إلا بإذنها فلا يسقط شيئاً من مهرها إلا بإذنها ولا يسقط شيئاً من نفقتها الواجبة إلا بإذنها بالإضافة إلى أنه ليس له أن يتطوع في الصيام أو القيام على حسابها بل يأثم إذا كان ذلك يضرها فليس الأمر كما توهمه أوزون وبني عليه أوهامه الأثوية ليحارب العقد الذكورية! (1)

المطلب الرابع: رفع الإشكال

بعد استعراض أقوال المنتقدين ومناقشتها يتبين صدق هذه الأحاديث وأنها لا تتعارض مع كتاب الله ولا تتحيز للرجال كما ادّعوا، وبيان ذلك:

. أن حديث «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة حتى تصبح» ليس على إطلاقه وأن المرأة لا يلحقها الوعيد متى كان لها عذر شرعي، ومتى كان زوجها قائماً بحقوقها، أما إن كان مفرطاً فلها أن تمنعه حقه، قال الشيخ ابن عثيمين "والحاصل أن هذه الألفاظ التي وردت في هذا الحديث هي مطلقة، لكنّها مقيدة بكونه قائماً بحقوقها، أما إذا لم يحمها فلها أن تقتصر منه وأن تمنعه من حقه مثل ما منعها من حقه؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ^١ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ^{١٩٤}﴾ [البقرة: 194] وَإِنْ عَاقَبْتُمْ

فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ^٢ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ^{١١٦}﴾ [النحل: 126] (2)

1 - ينظر: حاكم المطيري، جناية أوزون عندما يتحدث الجنون، مط: دار الحكيم، د ط، سنة: 2010م)، ص: 324.

2 - ينظر: العثيمين، شرح رياض الصالحين، (الرياض، مط: دار الوطن، ط: 6، سنة: 1426هـ) ج: 3، ص: 142.

. وأما قوله صلى الله عليه وسلم «لا تصوم المرأة وبعلمها شاهد إلا بإذنه» فليس فيه تفضيل للرجال كما ادّعوا وقد ورد في السنة كما سبق بيانه نهي الرجل عن الصوم وقيام الليل متى أدى ذلك إلى تفويت حقوق زوجته، وأما ورود الزجر في حق المرأة دون الرجل فهو أنّ الرجل في الغالب هو الذي يدعوها للفراش، وقليل ما تدعوه هي، لذلك كان الزجر أغلظ في حقها، وإن كان الزوج أيضا مطالباً بأداء حقها والله أعلم.

. وأما حديث «ما تركت بعدي فتنة أضّر على الرجال من النساء» فكونها فتنة لا ينكره إلا جاحد وقد نطقت النصوص القرآنية بتصديق هذا الحديث فلا مجال لردّه أو الطعن فيه

قال ابن بطال: "فتنة النساء أعظم الفتن مخافة على العباد؛ لأنّه عليه السلام عمم جميع الفتن بقوله: "ما تركت بعدي فتنة أضّر على الرجال من النساء" ويشهد لصحة هذا الحديث قول الله

تعالى: ﴿زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: 14] الآية، فقدم النساء

على جميع الشهوات، وقد روى عن بعض أمّهات المؤمنين أنها قالت: من شقائنا قدمنا على جميع الشهوات. فالحنّة بالنساء أعظم الحن على قدر الفتنة بهن، وقد أخبر الله مع ذلك أنّ منهنّ لنا عدوّاً، فينبغي للمؤمن الاعتصام بالله، والرغبة إليه في النجاة من فتنهنّ، والسّلامة من شرهنّ⁽¹⁾

وقد وقع هؤلاء المعترضون تحت تأثير الفكر الاستشراقي والثقافة الغربية، وحاولوا ردّ جميع

النصوص التي لا تتناسب مع ثقافة هؤلاء، "والخلاصة أنّ الإسلام بعد أن أعلن موقفه الصريح من إنسانية المرأة وأهليتها وكرامتها، نظر إلى طبيعتها وما تصلح له من أعمال الحياة، فأبعدها عن كل ما يناقض تلك الطبيعة، أو يحول دون أداء رسالتها كاملة في المجتمع، ولهذا خصها ببعض الأحكام عن الرجل زيادة أو نقصاناً. كما أسقط عنها - لذات الغرض - بعض الواجبات الدّينية والاجتماعية

¹ - ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج: 7، ص: 188.

كصلاة الجمعة "ووجوب الاحرام في الحج، والجهاد في غير أوقات التغير العام، وغير ذلك، وليس في هذا ما يتنافى مع مبدأ مساواتها بالرجل في الإنسانيّة والأهليّة والكرامة الاجتماعيّة، ولا تزال الشرائع والقوانين في كل عصر، وفي كل أمة تخص بعض الناس ببعض الأحكام لمصلحة يقتضيها ذلك التخصيص دون أن يفهم منه أي مساس بمبدأ المساواة بين المواطنين في الأهليّة والكرامة. (1)

¹ - مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون ، ص: 35.

الخاتمة

في ختام هذا البحث أحمد الله سبحانه على عظيم منته، وأشكره على توفيقه لي بإتمام هذا البحث الذي كادت تُحيل بيني وبينه مشاغل الحياة ومتطلباتها، فالحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على خير البرية وأزكى البشرية نبينا محمد ﷺ. الذي عشتُ مع سنته طوال هذه السنوات، التي أرجوا أن أكون قد وُفقت ولو بجزء يسير في الذود عن سنته صلى الله عليه وسلم، وقد خرجت بحمد الله بجملة من الفوائد والنتائج يمكن إجمالها فيما يلي:

1. قيمة الصحيحين ومنزلتهما عند علماء لإسلام، فقد تلقتهما الأمة بالقبول، وقدّمتهما على سائر المصنّفات، وهذا ليس حبا للشيخين، أو تعظيماً للكتابين، بل لأنهما بلغ من الدقة والضبط والتثبت ما لم يبلغه أحد من المؤلفين قبلهما ولا بعدهما، فقول العلماء بقبول ما فيهما؛ لأنّ العلماء نظروا في أحاديثهما وفتشوها فوجدوها صحيحة إلاّ أحرف يسيرة بينوها في محلّها وما بقي فهو صحيح، فالصحة مرجعها إلى قبول الأمة لا إلى الشيخين في حد ذاتهما.

2. إنّ الطعن في الصحيحين ليس هدفهم فقط، بل إنّ غرض أكثر هؤلاء إسقاط جميع كتب السنة، وقد صرّحوا بذلك هم أنفسهم، ومعلوم عند علماء الإسلام قاطبة قيمة ومكانة هذين الكتابين على غيرهما، فإذا أسقطوا الاحتجاج بهما، وأنزلوا من مكانتهما، فليسوا بحاجة للطعن في غيرهما.

3. إنّ جميع أخبار الصحيحين المدروسة في هذا البحث، والتي استشكلوها في هذا الباب تبين من خلال النظر في اعتراضاتهم ومناقشتها أنّهم مخطئون فيها، وأنّ جميع هذه الأحاديث صحيحة ثابتة، وأنها سالمة من معارضة القرآن والعقل والواقع والعلم الحديث.

4. إنَّ جلَّ النَّصوص النبويَّة المعترض عليها في هذا الباب لم ينفرد الشَّيخان بروايتها بل هي مروية في جلَّ كتب السنة المشهورة، كما تضافرت على الدَّلالة عليها نصاً أو ظاهراً النَّصوص القرآنيَّة، والإجماعات القطعيَّة، وحتى المكتشفات العلميَّة، فإنكارها هو تكذيب للقرآن، وقدح في إجماع الأُمَّة.

5. علم مشكل الحديث من العلوم المهمَّة المتعلِّقة بمتمن الحديث، وله أثر كبير في دفع الشُّبهات والاعتراضات على السنَّة النبويَّة وأتمَّها وحي لا يأتيه الباطل ممن يديه ولا من خلفه متى ثبتت بسند مقبول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم.

6. معارضة الحديث الصَّحيح الثابت لحديث آخر أو معارضته للقرآن أو العقل أو العلم أو الواقع لا يمكن أن يوجد في شرعنا، وإمَّا هو تعارض ظاهري يعرض لذهن الناظر، وعدم قدرة المجتهد على إزالته هو نتاج قلة العلم أو سوء الفهم ولا يعني عدم القدرة على إزالته أنَّه تعارض حقيقي، فإذا استصحب الناظر إلى نصوص الشَّريعة هذا الأصل وظهر له تعارض لم يستطع رفعه فعليه أن يتَّهم عقله بالقصور عن إدراك المراد، ولا يتناول على النَّصوص الصَّادرة عن المعصوم صلى الله عليه وسلّم.

7. تبين لي من خلال الاستشكالات التي طعنوا بها في الأحاديث أنَّ أصل الشُّبهات التي استشكل بها الإماميَّة والعقليون والقرآنيون أحاديث الصَّحيحين أربعة:

. شبهات تلقفوها عن الفرق الكلاميَّة القديمة كالمعتزلة والمرجئة وغيرهم وحاولوا إحياءها، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء عزوها إلى أصحابها.

. شبهات أخذوها عن علماء السنة وشراح الحديث، وقد ذكرها الشراح على جهة الافتراض وأجابوا عنها، فنقلها هؤلاء عنهم دون إجابتها ليلبسوا بها على عوام المسلمين.

. شبهات أخذوها عن المستشرقين والغربيين الذين اغتروا بهم، فأخذوا هذه الشُّبهات وزادوا فيها، وحاولوا أن يُصوروها بالإسلام بالصَّورة التي يرضى بها عنهم المستشرقون، وبعض هؤلاء كانوا أشدَّ من المستشرقين هوى وعصبيَّة وعداء للسنَّة وأهلها.

. هناك عدد لا بأس به من الاستشكالات التي لا سلف لهم فيها، وجلّها استشكالات عقلية ضعيفة ناتجة عن التسرع في الرأي دون روية أو اطلاع، وقد ينكرون الحديث لدلالته على أمر تستنكره عقولهم، وعند التأمل نجد هذا الأمر مدلولاً عليه في كتاب الله صراحة.

8. يمكن إجمال أسباب ردّ هؤلاء للأحاديث الصحيحة في ما يلي:

. إنّ دعوى معارضة الحديث للقرآن أو لحديث آخر سببه عدم معرفة هؤلاء بدلالات الألفاظ، ومخالفة مسلكهم لمسلك العلماء المتخصّصين في ردّ النصوص إلى بعضها وحمل العام على الخاص، والمطلق على المقيد، والمحمل على المبيّن، كما أنّهم لا يفرقون بين النص والظاهر، والمحكم والمؤول، والمنطوق والمفهوم، ولا يستطيعون التعامل مع هذه الدلالات عند تعارضها فهم يردّون الحديث بمجرد بدو معارضة ظاهرة لنصوص القرآن دون أن يعيروا اهتماماً لبقية النصوص.

. وأما دعوى معارضة الحديث للعقل فسببه إقحام العقل فيما لا مدخل له فيه من الأمور المتعلقة بالغيبيات، كما أنّ تحكيم العقل في ما ثبت بالسند الصحيح مفضٍ إلى ردّ جلّ النصوص لاختلاف العقول وتفاوتها بين البشر، ولو كان كلّ عقلٍ مستقل بقبول النصوص وردّها لردّ من شاء ما شاء.

. وأما دعوى معارضة الحديث للعلم الحديث فسببه عدم تفريقهم بين الحقائق العلمية القطعية الثابتة، والنظريات والفرضيات التي لم تصل إلى درجة اليقين فلا يصحّ الاعتماد على النظريات في ردّ النصوص الثابتة بالسند الصحيح.

. وأما معارضتهم للنصوص بالواقع والحسّ فسببه قياسهم لعالم الغيب على عالم الشهادة، أو قياس تلك النصوص المتعلقة بأحوال الآخرة أو بأمور الغيب على النصوص المتعلقة بأحوال الدنيا وهو قياس فاسد.

وبعض الاعتراضات سببها عدم تفريق هؤلاء بين المستحيل الذي ترفضه كلّ العقول ولا تقبله، وبين الأمور المستغربة التي قد لا يتصوّرها العقل ولا يدركها وهي ناتجة عن قصور العقل عن إدراكها لا أنّها مستحيلة، ولذلك تختلف العقول في إدراكها وهي موجودة حتى في كتاب الله فهل ننكر قوله

وفي الأخير هذه جملة من التوصيات والمسائل التي بدا لي أنّها تحتاج إلى مزيد من البحث والتّحقيق أوّجّها لطلبة العلم المجتهدين والتي من أهمها:

1 . بيان قيمة ومكانة الصّحّاحين عند علماء الأُمَّة، وأنّ الشّيخين وضعوا شروطا وقواعد دقيقة في تأليف كتابيهما لم يصل أحد من المصنّفين إليها أو إلى ما يقاربها.

2 . إبراز الجوانب الإعجازيّة في السنّة النبويّة ونشرها خصوصا في الأحاديث التي استشكلوها، فكثير من النّصوص التي طعنوا فيها أثبتت التجارب العلميّة والحقائق الكونيّة صدقها مع عدم وجود مقدّمات لها في عصر النبوّة مم يؤكّد صدق هذا الوحي الذي جاء به المصطفى صلّى الله عليه وسلّم.

3 - توجيه طلبة الدّراسات العليا إلى تقويم طعون واعتراضات الفرق المعاصرة على الأحاديث النبويّة، وبيان أهمّ العيوب المنهجية في دراستهم ومقارنة طريقتهم في النّقد بمناهج ومسالك المحدثين في النّقد والتّمحيص.

4 . كشف اللّثام عن العلاقة بين الدّراسات المعاصرة الطّاعنة في الصّحّاحين ودراسات المستشرقين المتعلّقة بهذا الباب، فكثير من الاستشكالات والمعارضات إنّما هي آراء استشراقية أخذها هؤلاء، ونسبها بعضهم لنفسه زورا وبهتانا، والبعض الآخر لم ينسبها لنفسه ولكنّه ارتضاها وقوّى من أمرها.

وفي الختام هذا ما تيسّر جمعه فأحمد الله حمدا كثيرا دائما طيبا مباركا فيه، وأسأله سبحانه أن يتقبّل هذا العمل ويجعله خالصا لوجهه، وأعتذر على ما جاء فيه من الخلل والنّقصان والتّقصير، ولكن حسبي أنّي حاولت التّسديد والمقاربة، والله يشهد أنّي لم أدخر جهدا، وقد بذلت وسعي وطاقتي

وملجتي في ذلك قول الحق سبحانه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ ﴿٢٨٦﴾ فأرجوا من الناظر

إليه أن يصلح ما فيه من عثرة وزلل، فذلك ممّا لا ينجو منه أحد، وقد أرى الله أن يكون كتابا صحيحا غير كتابه.

وما أحسن ما ختم به الحريري ملحته:

فانظر إليها نظر المستحسن "" وأحسن الظن بها وحسن

وإن تجذ عيبا فسد الخلالاً "" فجعل من لا عيب فيه وعلا

والله أسأل أن يرزقنا العلم الصالح، والعمل النافع، والسير على هدي نبيه صلى الله عليه وسلم،
والتمسك بسنته، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد
وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام المترجم لهم
- فهرس الألفاظ الغريبة
- فهرس المصادر والمراجع
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	السورة ورقم الآية	طرف الآية القرآنية
183	[البقرة: 3]	﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾
284	[البقرة: 24]	﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ ﴾
278	[البقرة: 30]	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
273	[البقرة: 35 / 36]	﴿ وَقُلْنَا يَا نَادِمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا ﴾ [36].
319	[البقرة: 60]	﴿ وَإِذْ أَسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ ﴾
162 / 161	[البقرة: 117]	﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا ﴾
312	[البقرة: 161]	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾
314	[البقرة: 194]	﴿ فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ ﴾

310	[البقرة: 228]	﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾
218	[البقرة: 254]	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ﴾
221	[البقرة: 255]	﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾
290	[البقرة: 275]	﴿ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾
264 / 261 307	[البقرة: 282]	﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾
274/263	[البقرة: 286]	﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾
158 / 157	[آل عمران: 7]	﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ ءَايَاتٌ مُحْكَمَاتٌ ﴾
314 / 308	[آل عمران: 14]	﴿ زِينٍ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾
288	[آل عمران: 49]	﴿ وَأُنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾
84	[آل عمران: 85]	﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾
312	[آل عمران: 87]	﴿ أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾

113	[آل عمران: 156]	﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَاقِيلُوا﴾
294	[النساء: 1]	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَوَجَدَ﴾
290	[النساء: 10]	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِهَتِهِمْ ظُلْمًا﴾
307	[النساء: 11]	﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾
311	[النساء: 28]	﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾
193	[النساء: 59]	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾
129 / 127	[النساء: 97]	﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾
293/282	[النساء: 124]	﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾
249	[المائدة: 45]	﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾
296	[المائدة: 48]	﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾
205	[المائدة: 67]	﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾

138	[المائدة: 116]	﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ ﴾
75	[الأنعام: 38]	﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ﴿٣٨﴾ ﴾
176	[الأنعام: 50]	﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ﴾
189/188 196/194	[الأنعام: 59]	﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾
178	[الأنعام: 93]	﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ﴾
99 / 96	[الأنعام: 103]	﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾
/156 /147 161	[الأنعام: 158]	﴿ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَوَ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ ﴾
297	[الأعراف: 12]	﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾
277 / 211	[الأعراف: 20]	﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ﴾
225	[الأعراف: 23]	﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا ﴾
226	[الأعراف: 27]	﴿ يٰبَنِي ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ ﴾
109 . 106	[الأعراف: 43]	﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمْ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا ﴾
126	[الأعراف: 56]	﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾
100 / 98 / 96	[الأعراف: 143]	﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ ﴾

144	[الأعراف: 187]	﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا ﴾
166/145	[الأعراف: 188]	﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾
308	[الأنفال: 28]	﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾
113	[التوبة: 51]	﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾
244	[التوبة: 69]	﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ ﴾
179	[التوبة: 101]	﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾
68	[التوبة: 101]	﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَىٰ النِّفَاقِ لَا يَتْلُمُهُمْ ﴾
103	[يونس : 26]	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾
221	[يونس : 33]	﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾
108	[يونس : 44]	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ﴾
226/100	[هود: 46]	﴿ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾
75	[يوسف: 111]	﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ﴾
أ	[إبراهيم: 7]	﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ ﴾

174	[إبراهيم: 27]	﴿ يَثِبْتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾
159	[إبراهيم: 33]	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ ﴾
244	[الحجر: 82]	﴿ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾
/106 111/109	[النحل: 32]	﴿ يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
150	[النحل: 48]	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ
249	[النحل: 61]	﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَشْخِرُونَ سَاعَةً ﴾
171 / 169	[النحل: 77]	﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ ﴾
289	[النحل: 112]	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً ﴾
314	[النحل: 126]	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾
155	[الإسراء: 1]	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴿١﴾ ﴾
216	[الإسراء: 3]	﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ﴾
/151/133	[الإسراء: 44]	﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾

205	[الإسراء: 47]	﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾
126	[الإسراء: 56]	﴿ وَلَا نُزِرُ وَأَنْزِرُ وَزَرَّ أُخْرَى ﴾
300	[الإسراء: 70]	﴿ ﴿ وَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَا فِي الْبَرِّ ﴾
228 / 221	[الإسراء: 79]	﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ﴾
160	[الكهف: 17]	﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزْوُرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ﴾
245	[الكهف: 23]	﴿ وَلَا نَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا ﴾
112/107	[الكهف: 29]	﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ ﴾
237	[الكهف: 73]	﴿ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾
214	[الكهف: 110]	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾
222	[مريم: 87]	﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ ﴾
122	[طه: 5]	﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾
213	[طه: 66/69]	﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِأَهُمْ وَعَصِيهِمْ ﴾

228 / 222	[طه: 109]	﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾
194	[طه: 110]	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾
245 ، 237 277 / 273	[طه: 115]	﴿وَلَقَدْ عَاهَدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ﴾
277 / 273	[طه: 120]	﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾
225	[طه: 121]	﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ﴾
131	[الأنبياء: 23]	﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾
222	[الأنبياء: 28]	﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا﴾
319	[الأنبياء: 69]	﴿قُلْنَا يَنْزَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَّمًا عَلَيَّ إِِبْرَاهِيمَ﴾
319/139	[الأنبياء: 81 82]	﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾
226	[الأنبياء: 87]	﴿فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾
153/ 150	[الحج: 18]	﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ﴾
155	[الحج: 47]	﴿وَإِنَّكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾
294 297	[المؤمنون: 12]	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾

290	[النور: 23]	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾
208	[الفرقان: 7]	﴿ وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ﴾
/207 /205 208	[الفرقان: 8]	﴿ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا ﴾
134	[الفرقان: 12]	﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴾
239	[النمل: 15]	﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾
134	[النمل: 18]	﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ ﴾
144	[النمل: 65]	﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾
/176 /175 181 /180	[النمل: 80]	﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْوَقْفَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ ﴾
162	[النمل: 82]	﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً ﴾
244	[العنكبوت: 14]	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ ﴾
160	[لقمان: 29]	﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ يَجْرِي ﴾
165/144 /166	[لقمان: 34]	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ ﴾

189/188/187 191 /		
218	[السجدة: 4]	﴿ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾
/297/294 300	[السجدة: 7]	﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾
123	[السجدة: 11]	﴿ قُلْ يَنُوقُكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾
180	[السجدة: 21]	﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلْوَنِ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾
303	[الأحزاب: 35]	﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴾
169 / 166	[الأحزاب: 63]	﴿ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾
274 / 263	[فاطر: 18]	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾
181	[فاطر: 36]	﴿ لَا يُفَضِّلُ عَلَيْهِمْ فِيمَوْتُوا ﴾
/159 / 146 160	[يس: 38]	﴿ مُسْتَقَرِّلَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾
133	[يس: 65]	﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا ﴾

254	[الصافات: 103 / [106]	﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾
239	[ص: 30]	﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾
244	[ص: 38 35]	﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ ﴾
239	[ص: 40]	﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَنَاقِبٍ ﴿٤٠﴾ ﴾
211	[ص: 41]	﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ﴾
297	[ص: 76/71]	﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴾
132	[ص: 75]	﴿ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾
218	[الزمر: 44]	﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾
122	[غافر: 19]	﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾
/262 293/268	[غافر: 40]	﴿ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ﴾
179	[غافر: 46/45]	﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾
122	[غافر: 60]	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿٦٠﴾ ﴾
130	[فصلت: 21]	﴿ وَقَالُوا لِيَجُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾

165	[فصلت : 47]	﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ ﴿٤٧﴾
121 / 101	[الشورى: 11]	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾
165	[الزخرف: 85]	﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴾
180 / 175	[الأحقاف: 35]	﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا سَاعَةً ﴾
282	[الحجرات: 13]	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾
127/125 133 / 129	[ق: 32/30]	﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾
140	[الذريات : 56]	﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾
153	[الرحمن: 6]	﴿ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ ﴿٦﴾
132	[الرحمن: 27]	﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ﴿٢٧﴾
113	[الحديد: 22]	﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ ﴾
248	[الجمعة: 7/6]	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنِّي كُنتُمْ ﴾
249	[المنافقون: 11]	﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا ﴾
/306 / 303	[التغابن: 15]	﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ ﴾

309 / 308		
126	[المك: 8 / 9]	﴿ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ط كَمَا أَلْفَى فِيهَا فَوْجٌ ﴾
132	[القلم: 42]	﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ ﴾
249	[نوح: 4]	﴿ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾
/182 /152 /279/187 288	[الجن: 26 / 27]	﴿ عَلِيمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾
102	[القيامة: 22 . [23]	﴿ وَجوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾
113	[الإنسان: 29 . [30]	﴿ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخِذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴾
218	[المدثر: 48]	﴿ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّفِيعِينَ ﴾
113	[التكوير: 29]	﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾
103	[المطففين : 15]	﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجْبُونَ ﴾
181 / 175	[الأعلى : 13]	﴿ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾
105	[الليل : 6]	﴿ وَصَدَقَ بِالْحَسَنَىٰ ﴾

228	[الضحى: 05]	﴿لَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾
204	[الفلق: 4 / 1]	﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	اسم الراوي	طرف الحديث
302	أبو هريرة	«إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت أن تجيء لعنتها الملائكة
271	أبو موسى الأشعري	«إذا مرض العبد، أو سافر، كتب له مثل ما كان يعمل مقيما
116	أبو هريرة	«إذا مضى شطر الليل، أو ثلثاه، ينزل الله تبارك وتعالى إلى السماء
164	عبد الله بن عمر	«أرايتكم ليلتكم هذه؟ فإن على رأس مائة سنة منها لا يبقى
247	أبو هريرة	«أرسل ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكّه
281	ابن عباس	«أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟
269	أبو هريرة	«استوصوا بالنساء خيرا
292	أبو هريرة	«استوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع،
132	أبو هريرة	«اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضا، فأذن لها
286	أبو هريرة	«أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم؟
76	المقداد بن معدي كرب	«ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على
173	أبو هريرة	«اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار،
287	عمران بن حصين	«إن أقل ساكني الجنة النساء»
173	أنس بن مالك	«إن العبد إذا وُضع في قبره وتولّى عنه أصحابه . وإنه ليسمع قرع
196	أنس بن مالك	«إن الله عز وجل وكّل بالرحم ملكاً ، يقول: يا ربّ نطفة، يا ربّ

251	أبو هريرة	«إن الله قال: " من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. »
116	أبو هريرة	«إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول، نزل إلى السماء
292	أبو هريرة	«إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة،
156	عبد الله بن عمرو	«إن أول الآيات خروجا، طلوع الشمس من مغربها،
286	أبو هريرة	«إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر
229	أبو هريرة	«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركع ركعتين من إحدى صلاتي
234	عمران بن حصين	«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى العصر، فسلم في ثلاث
313		«إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا،
287	أنس بن مالك	«إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا،
243	أنس بن مالك	«إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»
168/164	أنس بن مالك	«إن يعيش هذا الغلام، فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة
168/164	عائشة	«إن يعيش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم»
215	أبو هريرة	«أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟
216	أبو هريرة	«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر
94	جرير بن عبد الله	«إنكم سترون ربكم عيانا
94	جرير بن عبد الله	«إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون
245/235	عبد الله	«إنما أنا بشر مثلكم، أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكروني

256	عائشة	«إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يجير»
173	ابن عباس	«إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما
194	ابن مسعود	«أو استأثرت به في علم الغيب عندك
125	أبو هريرة	«تأججت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين،
97		«تعلموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز وجل حتى يموت
69	أبو هريرة	«تفاخرت الجنة والنار فقالت النار للجنة: أنا أعظم منك قدرًا
146	أبو ذر	«ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك
307	أبو موسى الأشعري	«حرّم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتي وأحلّ لإناثهم
253		«خيركم من طال عمره وحسن عمله
290	أبو هريرة	«دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلم تطعمها
256	عمر بن الخطاب	«رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر
201	عائشة	«سُحر النبي صلى الله عليه وسلم حتى إنه ليخيّل إليه
105	عائشة	«سدّدوا وقاربوا، وأبشروا، فإنه لن يدخل الجنة أحدًا عملُهُ»
229	أبو هريرة	«صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى صلاتي العشيّ
146	أبو ذر	«فإنها تذهب تستأذن في السجود فيؤذن لها،
146	أبو ذر	«فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش
135	أبو هريرة	«ففرّض الله على أمّتي خمسين صلاةً، فرجعتُ بذلك، حتى مررت
103	صهيب	«فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم
314 / 302	أسامة بن زيد	«قال ما تركتُ بعدي فتنةً أضّرّ على الرجال من النساء»

229	أبو هريرة	«قال: صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر،
281	أسمة بن زيد	«قمت على باب الجنة، فكان عامة من دخلها المساكين،
245	أنس بن مالك	«كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة
238	أبو هريرة	«كان لسليمان ستون امرأة، فقال: لأطوفن الليلة على نسائي
63	أبو سعيد الخدري	«لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد
302	أبو هريرة	«لا تصوم المرأة وبعها شاهد إلا بإذنه»
156	أبو هريرة	«لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها
253	أنس بن مالك	«لا يتمنين أحد منكم الموت لضر نزل به، فإن كان لا بد متمنيا
302	أبو هريرة	«لا يجل للمرأة أن تصوم وزجها شاهد إلا بإذنه،
238	أبو هريرة	«لأطوفن الليلة على تسعين امرأة، كلهن تأتي بفارس يجاهد
215	أبو هريرة	«لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها، وأريد أن أختبئ دعوتي
290	معاذ بن جبل	«لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها
272	أبو هريرة	«لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم، ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها
211	عبد الله	«ما من مسلم يصيبه أذى، شوكة فما فوقها، إلا كفر الله بها سيئاته
105	علي بن أبي طالب	«ما منكم من أحد إلا وقد كتبت مقعده من الجنة، ومقعده من النار
187	عبد الله بن عمر	«مفاتيح الغيب خمس، لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما غيض الأرحام
250	عبادة بن	«من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»

	الصّامت	
269	أبو هريرة	«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره»
174	البراء بن عازب	«نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله»
126	أبو هريرة	«وإنه ينشئ للنار من يشاء، فيلقون فيها، فتقول: هل من مزيد»
260	ابن عمر	«وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلبَ لديّ لبّ منكن»
310	عبد الله بن عمرو بن العاص	«يا عبد الله، ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟»
281	أبو سعيد الخدري	«يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار»
260	أبو سعيد الخدري	«يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار»
125	أنس بن مالك	«يلقى في النار وتقول: هل من مزيد، حتى يضع قدمه»
116	أبو هريرة	«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا»

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم
33	ابن الأخرم
22	ابن الجوزي
17	ابن الصّاح
28	ابن المديني
131	ابن المنير
111	ابن بطّال
48	ابن تيمية
29	ابن حجر
191	ابن حزم
17	ابن خزيمة
30	ابن راهويه
110	ابن رجب الحنبلي
233	ابن شهاب الزهري
31	ابن طاهر
115	ابن عبد البر
36	ابن عقدة
4	ابن فارس

6	ابن قتيبة الدينوري
89	ابن قرناس
99	ابن قيم
44	ابن كثير
300	ابن هبيرة
110	أبو العباس القرطبي
5	أبو الوليد الباجي
8	أبو بكر ابن فورك
203	أبو بكر الجصاص
226	أبو جعفر الداودي
228	أبو زكريا يحيى بن إبراهيم السلماسي
203	أبو منصور الماتريدي
51	أحمد أمين
40	أحمد بن سلمة
74	أحمد خان
45	أحمد شاکر
35	إسحاق بن منصور
47	الإسفرابيني
59	إسماعيل الكردي
24	البخاري

29	الترمذي
5	الجرجاني
70	جعفر السُّبحاني
74	جكرالوي
50	جمال الدين الأفغاني
56	جواد عفانة
120	الحافظ العراقي
8	الحاكم أبو عبد الله
23	الحميدي
39	الخطيب البغدادي
15	الخليل بن أحمد
43	الدارقطني
101	ذو الرمة
233	ذو الشمالين
233	ذو اليمين
82	زكريا أوزون وكتابه
80	سامر إسلامبولي
46	السجزي
18	السخاوي
4	السرخسي

4	الشاشي
213	الشنقيطي
299	الشوكاني
76	صبي منصور
22	الصبيغي
98	الطاهر ابن عاشور
311	الطبري
7	الطحاوي
141	عمر بن دحية
161 / 160	فابريسيو بونولي
179	فخر الدين الرازي
27	الفريري
212	القاضي عبد الجبار
110	القاضي عياض
23	القصري
14	الكتّاني
210	المازري
63	محمد صادق النجمي
50	محمد عبده
295	محمود إبراهيم

52	محمود أبو رية
32	مسلم
217	مصطفى محمود
212	المهلب بن أبي صفرة
151	نجم الدين الطوفي
111	التووي
86	نيزي عز الدين

فهرس الألفاظ الغريبة

الصفحة	اللفظة الغريبة
25	بردزبه
178	البرزخ
105	بقيع الغرقد
201	بئر ذروان
135	جنابد
47	جبالته
06	دينوري
125	سقطهم
22	الصبغى
94	عيانا
27	فربئر
08	فورك
125	قط قط
94	لا تضامون
201	مُشط ومُشاطة
201	مطبوب
202	نقاعة الحناء
125	ينزوي

فهرس المصادر والمراجع

. القرآن الكريم برواية حفص.

أولاً: التفسير وعلوم القرآن

- 1 . ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحق: عبد الرزاق المهدي (بيروت، مط: دار الكتاب العربي، ط: 1، سنة: 1422هـ)
- 2 . ابن المنير الإسكندري، الانتصاف فيما تضمنه الكشاف مطبوع مع الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري (بيروت، مط: دار الكتاب العربي، ط: 3، سنة: 1407هـ).
- 3 . ابن تيمية، مقدمة أصول التفسير (بيروت، مط: دار مكتبة الحياة، د ط، سنة: 1390هـ / 1980م).
- 4 . ابن رجب الحنبلي، تفسير ابن رجب، تحق: طارق بن عوض الله بن محمد (السعودية، مط: دار العاصمة، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2002م).
- 5 . ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحق: عبد السلام عبد الشافي محمد (بيروت، مط: دار الكتب العلمية ، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2001).
- 6 . ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحق: مصطفى السيد محمد وأخرون (القاهرة، مط: مؤسسة قرطبة، ط: 1، سنة: 1421هـ / 2000م).
- 7 . أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير (مط: مكتبة السنة، ط: 4، د ت).
- 8 . البغوي، معالم التنزيل، تحق: محمد عبد الله النمر وأخرون (الرياض، مط: دار طيبة، ط: 1، سنة: 1409هـ / 1989م).
- 9 . الجصاص، أحكام القرآن، تحق: محمد الصادق قمحاوي (بيروت، مط: دار إحياء التراث العربي، د ط، سنة: 1412هـ / 1992م).

- 10 . الرازي، مفاتيح الغيب، (بيروت، مط: دار الفكر، ط: 1، سنة: 1401هـ / 1981م).
- 11 . الرّمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحق: عادل أحمد عبد الموجود ، علي محمد معوض الرياض، (مط: مكتبة العبيكان، ط: 1، سنة: 1418هـ / 1998م).
- 12 . الطاهر بن عاشور، التّحرير والتّنوير (تونس، مط: الدار التونسية للنشر، دط، سنة : 1984م).
- 13 . الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن ، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة، مط: دار هجر، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2001م).
- 14 . القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة ، ط: 1، سنة : 1427هـ / 2006م).
- 15 . سيد قطب، في ظلال القرآن (بيروت، مط: دار الشروق، ط: 17، سنة: 1412هـ).
- 16 . شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحق: علي عبد الباري عطية (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1415هـ).
- 17 . عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن، تحق: عبد الرحمن بن معلا اللويح (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1423هـ / 2002م).
- 18 . فخر الدّين الرّازي، مفاتيح الغيب (بيروت، مط: دار إحياء التراث، ط: 3، سنة: 1420هـ).
- 19 . محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، (جدة، مط: دار علم الفوائد ، د ط، د ت).
- 20 . محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير (بيروت، مط: دار ابن كثير ، ط: 1، سنة: 1414هـ).

ثانيا: علم الحديث ومصطلحه

- 1 . أبو زهو، الحديث والمحدثون (الرياض، ط: 2، سنة: 1404هـ / 1984م).
- 2 . إبراهيم الصالح، علوم الحديث ومصطلحه، (بيروت، مط: دار الملايين، ط: 15، سنة: 1984).
- 3 . ابن أبي حاتم، الجرح التّعديل (الهند، مط: دار المعارف، ط: 1).
- 4 . ابن الجوزي، الموضوعات، تحق: عبد الرحمان محمد عثمان ، (المدينة، مط: المكتبة السلفية، ط: 1، سنة: 1386هـ).
- 5 . ابن الصلاح، صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الاسقاط والسقط، تحق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر (مط: دار الغرب الإسلامي، د ط سنة: 1404هـ / 1984م).
- 6 . ابن الصّلاح، علوم الحديث ، تحق: نور الدين عتر (دمشق، مط: دار الفكر، د ط، سنة 1406هـ / 1986م)..
- 7 . ابن تيمية، علم الحديث، تحق: موسى محمد علي، (بيروت، مط: دار عالم الكتاب، ط: 2، سنة: 1405هـ / 1985م).
- 8 . ابن حبان، صحيح ابن حبان، تحق: شعيب الأرنؤوط (بيروت، مط: الرسالة، ط: 2، سنة: 1414هـ / 1993م).
- 9 . ابن حجر، نزهة النّظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، تحق: نور الدين عتر (دمشق، مط: الصباح، ط: 1، سنة: 1421هـ / 2000م).
- 10 . ابن طاهر، شروط الأئمة الستّة، تحق: محمد زاهد الكوثري (القاهرة، مط: المكتبة الأزهرية د ط، سنة 1434هـ / 2013م).

- 11 . ابن ماکولا، الإكمال في رفع الارتياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، تحق: نايف العباسي(القاهرة، مط: دار الكتاب الإسلامي، ط: 2 سنة : 1993م).
- 12 . أبو السعادات ابن الأثير ، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحق: عبد القادر الأرئووط (مط: دار البيان، ط: 1، سنة: 1392هـ / 1972م).
- 13 . أبو بكر كافي، منهج البخاري في تصحيح الأحاديث و تعليقها (بيروت، مط: دار ابن حزم، ط: 1 سنة: 1421هـ / 2001 م).
- 14 . أبو داود، السنن، تحق: عزّت عبيد الدعاس وعادل السيد (بيروت، مط: دار ابن حزم، ط: 1، سنة: 1418هـ / 1997م).
- 15 . أبو شهبة، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، (جدة، مط: دار عالم المعرفة، د ط، د ت).
- 16 . أبو شهبة، دفاع عن السنّة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين (مط: مكتبة السنة، ط: 1، سنة: 1989م).
- 17 . أبوشهبة ، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتّاب المعاصرين، (القاهرة، مط: مجمع البحوث الإسلامية، ط: 2، سنة: 1406هـ / 1985م).
- 18 . أحمد بن حنبل، المسند، تحق: أحمد شاكر (القاهرة، دار الحديث، ط: 1، سنة: 1414هـ / 1996م) رقم (198).
- 19 . أحمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، (بيروت، مط: دار الكتب العلميّة، د ط).
- 20 . الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (الرياض، مط: مكتبة المعارف، ط: 1، سنة: 1415هـ / 1995م).

- 21 . البخاري، الجامع الصحيح، تحق: قصي محب الدين الخطيب (القاهرة، مط: المكتبة السلفية، ط: 1، سنة: 1400هـ).
- 22 . البيهقي، السنن الكبرى، تحق: محمد عبد القادر عطا (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 3، سنة: 1424هـ / 2003م).
- 23 . الترمذي، السنن، تحق: بشار عواد معروف، (بيروت، مط: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، سنة: 1996م).
- 24 . الحاكم أبو عبد الله، المستدرک على الصحيحين (القاهرة، مط: دار الحرمين، ط: 1، سنة: 1417هـ / 1997م).
- 25 . الحاكم أبو عبد الله، المستدرک على الصحيحين، تحق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1411هـ / 1990م).
- 26 . الحاكم أبو عبد الله، معرفة علوم الحديث وكمية أجناسه، تحق: أحمد بن فارس السلوم (بيروت، مط: دار ابن حزم، ط: 1، سنة: 1424هـ / 2003م).
- 27 . الخطيب البغدادي، الكفاية في معرفة أصول علم الرواية (القاهرة، مط: دار الهدى، ط: 1، سنة: 1433هـ / 2003م).
- 28 . الذهبي، الموقظة في علم مصطلح الحديث، تحق: عبد الفتاح أبو غدة (بيروت، مط: دار البشائر الإسلامية، ط: 1، سنة: 1405هـ).
- 29 . الزركشي، النكت على مقدمة ابن الصلاح، تحق: زين العابدين بن محمد (الرياض، مط: أضواء السلف، ط: 1، سنة 1419هـ / 1998م).
- 30 . السخاوي، فتح المغيث شرح ألفية الحديث، تحق: عبد الكريم الخضير ومحمد بن عبد الله بن فهيد (الرياض، مط: دار المنهاج، ط: 1، سنة: 1426هـ).

- 31 . السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تحق: أبو إسحاق الحويني (السعودية، مط: دار ابن عفان، ط: 1، سنة: 1416هـ / 1996م).
- 32 . السيوطي، تدريب الراوي شرح تقريب النووي، تحق: أبو قتيبة نظر محمد الفريابي (بيروت، مط: مكتبة الكوثر، ط: 2، سنة: 1415هـ).
- 33 . الصنعاني توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، تحق: صلاح محمد عويضة (بيروت، مط: دار الكتب العلميّة، ط: 1، سنة: 1417هـ / 1997م).
- 34 . العراقي، التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، تحق: عبد الرحمن محمد عثمان (المدينة المنورة، مط: المكتبة السلفية، ط: 1، سنة: 1389هـ / 1969م).
- 35 . العراقي، ألفية الحديث، (بيروت، مط: الرسالة، ط: 1، سنة: 1423هـ / 2002م).
- 36 . الكتاني، نظم المتناثر من الحديث المتواتر، تحق: شرف حجازي (مصر، مط: دار الكتب العلمية، ط: 2، د ت).
- 37 . النسائي، سنن النسائي، تحق: مشهور بن حسن آل سلمان (الرياض، مط: مكتبة المعارف، ط: 1، د ت).
- 38 . الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحق: حسام الدين القدسي (القاهرة، مط: مكتبة القدسي، د ط، سنة: 1414هـ / 1994م).
- 39 . الوزير ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، تحق: فؤاد عبد المنعم (مط: دار الوطن للنشر د ط، د ت).
- 40 . حيدر حب الله، الإماميّة والموقف من صحيح البخاري ومسلم (بحث مقدّم للمؤتمر الدولي بألمانيا 17 / 19 نيسان 2015م).

41. خادم حسين إلهي بخش، القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، (السعودية، مط: مكتبة الصديق، ط: 2، سنة: 1421هـ، 2000م).
42. طاهر الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر، تحق: عبد الفتاح أبو غدة (بيروت، مط: مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط: 1، سنة: 1416هـ / 1995م).
43. عبد الرحمن محمد طوالبه، الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه، (عمان، مط: دار عمار، ط: 1، سنة 1421هـ / 2000م).
44. عبد المجيد محمود، نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث (بيروت، مط: دار البشائر الإسلامية، ط: 2، سنة: 1413هـ / 1992م).
45. عماد الشريبي، السنة في كتابات أعداء الإسلام، (مط: دار الكتب المصرية، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2002م).
46. مالك، الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثي، تحق: بشار عواد معروف (بيروت، مط: دار الغرب الإسلامي، ط: 2، سنة: 1417هـ / 1997م).
47. محمد الغزالي، السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث، (مط: دار الشروق، ط: 6، د ت).
48. محمد طاهر، السنة في مواجهة الأباطيل (دون معلومات).
49. محمد طاهر الجواي، جهود المحدثين في نقد متن الحديث النبوي الشريف (تونس، مط: عبد الكريم بن عبد الله، د ط).
50. محمد عبد الرزاق أسود، الاتجاهات المعاصرة في دراسة السنة في مصر وبلاد الشام (دمشق، مط: دار الكلم الطيب، ط: 1، سنة: 1429هـ / 2008م).
51. محمد عجاج الخطيب، الوجيز في علوم الحديث (الجزائر، مط: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د ط، سنة: 1989م).

52. مسلم بن الحجاج، الصّحيح ، تحق: محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت، مط: دار إحياء التراث العربي ، دط، دس).
52. مسلم بن الحجاج، الصّحيح، تحق: أبو قتيبة نظر محمد الفريابي (الرياض ، مط: دار طيبة، ط: 1، سنة: 1427هـ / 2006م).
53. مشهور حسن سلمان، الإمام مسلم بن الحجاج، (دمشق، مط: دار القلم، ط: 1، سنة: 1414هـ / 1994م).
54. مصطفى السّباعي، السنة ومكانتها في التشريع (المكتب الإسلامي، مط: دار الوراق، ط: 1، سنة: 2000م).
55. نور الدين عتر، منهج النقد في علوم الحديث (دمشق، مط: دار الفكر، ط: 3، سنة: 1401هـ / 1989).

ثالثا: الشروحات الحديثية

1. ابن العربي، القبس في شرح موطأ مالك بن أنس، تحق: أحمد عبد الله ولد كريم (بيروت، مط: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، سنة: 1992م).
2. ابن بطلال، شرح صحيح البخاري ، تحق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم (الرياض ، مط: مكتبة الرشد ، ط: 2، سنة: 1423هـ / 2003م).
3. ابن حجر ، هدي الساري، تحق: عبد القادر شيبه الحمد (مط: الرباط، ط: 1، سنة 1421هـ / 2001م).
4. ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحق: شعيب الأرنؤوط وإبراهيم باجس (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 7، سنة: 1422هـ / 2002م).

5. أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من صحيح مسلم ، تحق: يوسف علي بديوي وآخرون (دمشق، بيروت ، مط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب ، ط: 1، سنة: 1417هـ / 1996م).
6. أبو الوليد الباجي، المنتقى شرح الموطأ (القاهرة، مط: دار الكتاب الإسلامي، ط: 2، د ت).
7. الزرقاني محمد بن عبد الباقي ، شرح الزرقاني على الموطأ، تحق: طه عبد الرؤوف سعد (القاهرة، مط: مكتبة الثقافة الدينية، ط: 1، سنة: 1424هـ / 2003م).
8. الشوكاني، نيل الأوطار، تحق: عصام الدين الصباطي (مصر، مط: دار الحديث ، ط: 1، سنة: 1413هـ / 1993م).
9. العراقي، طرح التثريب شرح التثريب (بيروت، مط: دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت).
10. العظيم أبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، تحق: عبد الرحمن محمد عثمان (المدينة المنورة، مط: المكتبة السلفية، ط: 2، سنة: 1388هـ / 1968م).
11. العيني ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تحق: عبد الله محمود محمد عمر (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1421هـ / 2001م).
12. العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (بيروت، مط: دار إحياء التراث العربي، د ط، د ت).
13. القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم ، تحق: يحي إسماعيل (المنصورة ، مط: دار الوفاء ، ط: 1، سنة: 1419هـ / 1998م).
14. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، (مصر، مط: المطبعة الكبرى الأميرية، سنة: 1323هـ).

- 15 . المازري، المعلم بفوائد مسلم، تحق: محمد الشاذلي النيفر (تونس، مط: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق، د ط، سنة: 1991م).
- 16 . المباركفوري، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، د ط، د ت).
- 17 . المناوى، فيض القدير شرح الجامع الصغير (مصر، مك: المكتبة التجارية، ط: 1، سنة: 1956م).
- 18 . النووى، المنهاج شرح صحيح مسلم (بيروت، دار إحياء التراث العربى، ط: 2، سنة: 1392هـ).
- 19 . حمزة محمد قاسم، منار القارى شرح مختصر صحيح البخارى، (دمشق، مط: دار البيان، د ط، سنة: 1410هـ / 1990م).
- 20 . محمد بن صالح العثيمين، شرح رياض الصالحين، (الرياض، مط: دار الوطن، ط: 6، سنة: 1426هـ).
- 21 . محمد بن عبد الهادى السندى، حاشية السندى على سنن النسائى (حلب، مط: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط: 2، سنة: 1406هـ / 1986م).

رابعاً: كتب مشكل ومختلف الحديث

- 1 . ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث ، تحق: محى الدين الأصفر (بيروت، مط: المكتب الإسلامى ط: 2، سنة: 1419هـ / 1999).
- 2 . ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، (مط: مؤسسة الإشراف، ط: 2 سنة 1419هـ / 1999م).
- 3 . أبو بكر بن فورك، مشكل الحديث ، تحق: موسى محمد علي (مط: حسان، د ط، دس).

- 4 . أسامة خياط، مختلف الحديث بين المحدثين والأصوليين الفقهاء، (الرياض، مط: دار الفضيلة، ط 1، سنة: 1421هـ / 2001م).
- 5 . الشافعي، اختلاف الحديث، (بيروت، مط: دار المعرفة، سنة: 1410هـ / 1990م).
- 6 . الشافعي، اختلاف الحديث، (بيروت، مط: مؤسسة الكتب الثقافية، ط: 1، سنة: 1405هـ / 1985م).
- 7 . الطحاوي، شرح مشكل الآثار، تحق: شعيب الأرنؤوط (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1415هـ / 1994م).
- 8 . العصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، (باكستان، مط: المجلس العلمي السلفي، د ط، سنة: 1406هـ / 1986م).
- 9 . القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، (باكستان، مط: دار الدعوة السلفية، د ط، سنة: 1406هـ / 1986م).
- 10 . سعد فجان الدوسري، قواعد رفع الاختلاف في الحديث النبوي (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1432هـ / 2011).
- 11 . عبد الكريم بن صالح، الشناعة على من رد حديث الشفاعة، (د م، ط: 1، سنة: 1421هـ).
- 12 . محمد بن فريد زربوخ، المعارضات الفكرية المعاصرة لأحاديث الصّحّيحين (الرياض، مط: تكوين للدراسات والأبحاث ، ط: 1، سنة: 1421هـ / 2020م).
- 13 . محمد ماهر الجابي، أحاديث مشكّلة في السنّة، (مكة المكرمة، د ط، سنة : 1433هـ / 2012م).

خامسا: الكتب المنتقدة للصّحّيحين

- 1 . إبراهيم محمود، الضلع الأعوج ، المرأة وهويتها الجنسية الضائعة (بيروت، مط: رياض الرّيس، ط: 1، سنة: 2004م).
- 2 . ابن قرناس، الحديث والقرآن، (بغداد، مط: منشورات الجمل، ط: 1، سنة: 2008) .
- 3 . إسماعيل الكردي، نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث (دمشق، مط: دار الأوائل، ط: 1، سنة: 2002م).
- 4 . جعفر السّبحاني، الحديث النبوي بين الرواية والدراية(إيران، مط: مكتبة التوحيد، ط: 1، سنة: 1419هـ).
- 5 . جواد خليل، كشف المتواري في صحيح البخاري (بيروت، مط: مؤسسة البلاغ، ط: 1، سنة: 1428هـ / 2007م).
- 6 . جواد عفانة، دور السنة في إعادة بناء الأمة (عمان، مط: دار جواد، ط: 2، سنة: 1435هـ / 2014م) .
- 7 . جواد عفانة، دور السنة في إعادة بناء الأمة، (عمان، مط: جمعية عمال المطابع التعاونية، ط: 1، سنة: 1419هـ / 1999م).
- 8 . جواد عفانة، صحيح البخاري مخرّج الأحاديث محقق المعاني (عمان، دار جواد عفانة، ط: 1، سنة: 2004م).
- 9 . زكريا أوزون، جناية البخاري (مكتبة رياض، ط: 1، سنة : 2004).
- 10 . سامر إسلامبولي، تحرير العقل من التّقل (القاهرة، ط: 3، سنة: 2015م).
- 11 . شيخ الشريعة الأصبهاني، القول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع، تحق: حسين الهرساوي (إيران، مط: مؤسسة مؤسسة الإمام الصادق، ط: 1، سنة: 1422هـ) .

12. صالح أبو بكر، الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية تطهير البخاري منها، (د ط، د ت،).

13. محمد صادق النجمي، أضواء على الصحيحين، (بيروت، مط: مؤسسة المعارف الإسلامية، ط: 1، سنة: 1419هـ).

14. مصطفى محمود، الشفاعة، (القاهرة، د ط، سنة: 1999).

15. نيازي عز الدين، دين السلطان البرهان، (سورية، مط: بيسان، ط: 1، سنة: 1997م).
1422هـ).

سادسا: اللغة و غريب الحديث

1. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، تحق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي (بيروت، مط: المكتبة العلمية، سنة: 1399هـ / 1979م).

2. ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك، (القاهرة، مط: دار التراث، ط: 20، سنة: 1400هـ / 1980م).

3. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحق: عبد السلام محمد هارون (مط: دار الفكر، د ط، سنة: 1399هـ / 1979م).

4. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحق: أحمد محمد شاكر، (القاهرة، مط: دار المعارف، د ط، د ت).

5. ابن منظور، لسان العرب، تحق: عبد الله علي الكبير (مط: دار المعارف، د ط، د ت).

6. أبو القاسم الطالقاني، الأمثال السائرة من شعر المتنبي، تحق: محمد حسن آل يسين (بغداد، مط: النهضة، ط: 1، سنة: 1385هـ / 1965م).

- 7 . الأزهرى، تهذيب اللغة ، تحق: علي حسن هلالى ومحمد علي النجار (القاهرة، مط: الدار المصرية للتأليف والترجمة) ج: 10، ص: 22.
- 8 . الأنبارى، الزاهر فى معانى كلمات الناس، تحق: حاتم صالح الضامن (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1412هـ / 1992م).
- 9 . الجرجانى، التعريفات (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1403هـ / 1983م).
- 10 . الخطاى، غريب الحديث، تحق: عبد الكرىم إبراهيم الغرباوى (مط: دار الفكر، ط: 1، سنة: 1402هـ / 1982م).
- 11 . الخليل ابن أحمد، العين، تحق: عبد الحميد هنداوى (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1424هـ / 2003م).
- 12 . الفيروز أبادى، القاموس المحيط، (القاهرة، مط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، سنة: 1399هـ / 1979م).
- 13 . القاضى عيَّاض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار (تونس، القاهرة مط: المكتبة العتيقة و دار التراث) .
- 14 . عبد المنعم الجوجرى، شرح شذور الذهب، تحق: نواف بن جزاء الحارثى (المدينة المنورة، مط: الجامعة الإسلامية، ط: 1 سنة: 1424هـ / 2004م).

ثالثاً: التاريخ والتراجم

- 1 . ابن الأثير، أسد الغابة فى تمييز الصحابة، (دون معلومات).
- 2 . ابن العماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، تحق: عبد القادر ، ومحمود الأرنؤوط (بيروت ، مط: دار ابن كثير ، ط: 1، سنة 1403هـ / 1983م).

- 3 . ابن بشكوال ، الصلة، تحق: إبراهيم الأبياري (القاهرة، مط: دار الكتاب المصري، ط: 1، سنة:1410هـ/1989م).
- 4 . ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط:1، سنة: 1415هـ).
- 5 . ابن حجر، الدرر الكامنة في أعلام المائة الثامنة (بيروت، مط: دار الجيل، د ط، سنة: 1414هـ / 1993م).
- 6 . ابن حجر، تهذيب التهذيب، تحق: إبراهيم الزبيق، عادل مرشد (مط: مؤسسة الرسالة) .
- 7 . ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل (القاهرة، مط: مكتبة الخانجي، د ط، د ت).
- 8 . ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحق: إحسان عباس (بيروت، مط: دار صادر د ط، د ت).
- 9 . ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحق: مأمون بن محي الدين الجنان (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1417هـ / 1996م).
- 10 . ابن قطلوبغا، تاج التراجم، تحق: محمد خير رمضان يوسف (دمشق، مط: دار القلم، ط: 1، سنة: 1413هـ / 1993م).
- 11 . أبو زكريا السلماسي، منازل الأئمة الأربعة، تحق: محمود بن عبد الرحمن قده (مط: مركز ودود للمخطوطات، ط: 1، سنة: 1422 / 2002م).
- 12 . أحمد أمين، ضحى الإسلام (القاهرة، مط: مكتبة النهضة، ط: 7، د ت).
- 13 . الأدنه وي، طبقات المفسرين، تحق: سليمان بن صالح (المدينة، مط: مكتبة العلوم والحكم، ط: 1، سنة: 1417هـ / 1997م).

- 14 . الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد تحق: بشار عواد معروف (بيروت ، مط: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2002م).
- 15 . الذهبي، العبر في خبر من غير، تحق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول- (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1405هـ / 1985م).
- 16 . الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحق: عمر عبد السلام تدمري (بيروت، مط: دار الكتاب العربي، ط: 1، سنة: 1412هـ . 1992م).
- 17 . الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحق: شعيب الأرنؤوط (بيروت مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1403هـ / 1983م).
- 18 . الذهبي، معجم الشيوخ، تحق: الدكتور محمد الحبيب (الطائف ، مط: مكتبة الصديق، ط: 1، سنة 1408هـ / 1988م).
- 19 . الزركلي، الأعلام (بيروت، مط: در العلم للملايين، ط: 1، سنة: 2002).
- 20 . السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور ، الأنساب، تحق: عبد الله عمر البارودي (بيروت، مط: دار الجنان، ط: 1، سنة: 1408هـ / 1988م).
- 21 . الشَّهرستاني، الملل والنحل (مط: مؤسسة الحلبي ، دط، د ت).
- 22 . الصنعاني، نيل الوطر في تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر (القاهرة، مط: المطبعة السلفية، د ط، د ت).
- 23 . الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحق: إبراهيم الأبياري (بيروت، مط: دار الكتاب اللبناني، ط: 1، سنة : 1408هـ / 1989م).
- 24 . القاضي عياض، ترتيب المدارك ، تحق: محمد سالم هاشم، (بيروت مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1418هـ / 1998م).

25. الكتّاني، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، (بيروت، مط: دار البشائر، ط: 6، سنة: 1421هـ / 2001م).
26. المزني، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحق: بشار عواد معروف (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة 1413هـ / 1992م).
27. النّوي، تهذيب الأسماء واللغات، (بيروت، مط: دار الكتب العلمية).
28. تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية تحق: عبد الفتاح محمد الحلوي، ومحمود محمد الطناحي (مط: دار إحياء المتاب العربي).
29. حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت، دار إحياء التراث، دط، دت).
30. عبد الحي بن فخر الدين الحسيني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (بيروت، مط: دار ابن حزم، ط: 1، سنة: 1420هـ / 1999).
31. عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، (بيروت، مط: دار إحياء التراث، العربي، د ط، د ت).
32. محمود فاخوري، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري حياته وعصره (د ط، د ت).
33. مرتضى الرضوي، مع رجال الفكر بالقاهرة (بيروت، مط: دار الإرشاد للطباعة والنشر، ط: 4، سنة: 1998م / 1418هـ).

ثامننا: الفقه الإسلامي

1. ابن رشد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (مط: دار المعرفة، ط 2، سنة: 140هـ / 1982م).

2. ابن عابدين، رد المختار على الدر المختار (بيروت، مط: دار الفكر، ط: 2، سنة: 1412هـ / 1992م).
3. ابن قدامة، المغني، تحق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد الفتاح محمد (الرياض، مط: دار عالم الكتاب، ط: 3، سنة: 1417هـ / 1997م).
4. القرافي، الذخيرة، (بيروت، مط: دار الغرب الإسلامي، ط: 1، سنة: 1994م).
5. الكاساني بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 2، سنة: 1406هـ / 1986م).
6. النووي، المجموع شرح المهذب، تحق: محمد نجيب المطيعي (السعودية، مط: مكتبة الإرشاد، د ط، د ت).
7. محمد علي الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (بيروت، مط: دار المعرفة، ط: 4، سنة: 1425هـ / 2004م).
8. مدونة أنس بن مالك (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1415هـ / 1994م).

تاسعا: أصول الفقه

1. ابن أمير الحاج، التقرير والتحبير (بيروت، مط: دار الكتب العلميّة ، ط: 1، سنة: 1419هـ / 1999م).
2. ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، تحق: أحمد شاکر (بيروت، مط: دار الأفاق، د ط، د ت).
3. أبو الحسن البصري، المعتمد في أصول الفقه تحق: خليل الميس (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، ط: 1، سنة: 1403هـ).

- 4 . أبو الحسن البصري، المعتمد في أصول الفقه، تحق: أحمد بكير، حسن حنفي (بيروت، مط: المطبعة الكاثوليكية ، د ط، سنة: 1385هـ/1965م).
- 5 . الأمدى، الإحكام في أصول الأحكام، تحق: عبد الرزاق عفيفي (السعودية، دار الصمعي، ط: 1، سنة: 1424هـ / 2003م).
- 6 . الباجي ، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحق: عبد المجيد زكي (ط: 1، سنة ، 1407هـ).
- 7 . الشاشي أبو علي أحمد بن إسحاق ، أصول الشاشي، تحق: محمد الخليلي (بيروت، مط: دار الكتب العلمية ط: 1، سنة: 1424هـ / 2003م).
- 8 . الشاطبي، الموافقات، تحق: عبد الله دراز، (مط: دار الفكر، دط، دت).
- 9 . الشافعي، الرسالة، تحق: أحمد شاکر (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، د ط، د ت).
- 10 . الشريف التلمساني، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول، تحق: محمد علي فركوس (مكة المكرمة، مط: مؤسسة الريان، ط: 1، سنة: 1419هـ / 1998م).
- 11 . الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، تحق: أبو حفص سامي بن العربي الأثري (الرياض، مط: دار الفضيلة، ط: 1، سنة: 1412هـ / 2000).
- 12 . القرافي، أنوار البروق في أنواء الفروق، تحق: محمد أحمد سراج، علي جمعة محمد (القاهرة، مط: دار السلام، ط: 1، سنة: 1421هـ / 2001م).
- 13 . تاج الدين السبكي، رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحق: محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود (بيروت، مط: عالم الكتاب، ط: 1، سنة: 1419هـ / 1999م).

عاشرا: كتب العقيدة

1. ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، تحق: شعيب الأرنؤوط - عبد الله بن الحسن التركي (بيروت، مط: مؤسسة الرسالة، ط: 10 ، سنة: 1417هـ / 1997م).
2. ابن تيمية، بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تحق: موسى الدويش (المدينة المنورة، مط: مكتبة العلوم والحكم، ط: 3، سنة: 1415هـ / 1995م).
3. ابن تيمية، جامع المسائل، تحق: محمد عزيز شمس (مط: دار عالم الفوائد، ط: 1، سنة: 1422هـ).
4. ابن تيمية، منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تحق: محمد رشاد سالم (الرياض، مط: محمد بن سعود الإسلامية، ط: 1، سنة: 1406هـ / 1986م).
5. ابن قيم، الصواعق المرسله في الرد على الجهمية والمعطله، تحق: علي بن محمد (الرياض، مط: دار العاصمة، ط: 1، سنة: 1408هـ).
6. ابن قيم، مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله، تحق: سيد إبراهيم (القاهرة، مط: دار الحديث، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2001م).
7. الدارمي، الرد على الجهمية، تحق: بدر بن عبد الله البدر (الكويت، دار ابن الأثير، ط: 2، سنة: 1406هـ / 1995م).
8. الطوفي نجم الدين، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، تحق: سالم بن محمد القرني (الرياض، مط: مكتبة العبيكان، ط: 1، سنة: 1419هـ).
9. محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية (مط: دار الحداثة، ط: 3، سنة: 1983 م).

10. ناصر القفاري، أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية (د مط، ط: 2، سنة: 1415هـ / 1994م).

الحادي عشر: كتب عامة

1. ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحق: محمد رشاد سالم (السعودية، مط: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: 2، سنة: 1411هـ / 1991م).

2. ابن تيمية، مجموع الفتاوى، تحق: عامر الجزار، أنور الباز (المنصورة، مط: دار الوفاء، ط: 3، سنة: 1426هـ / 2005م).

3. ابن عبد البر، جامع بيان العلم فضله، تحق: أبو الأشبال (السعودية، مط: دار ابن الجوزي، ط: 1، سنة: 1414هـ / 1994م).

4. ابن قيم، الروح (بيروت، مط: دار الكتب العلمية، د ط، د ط).

5. ابن قيم، بدائع الفوائد، تحق: علي بن محمد العمران (جدة، مط: دار عالم الفوائد، د ط، د ت).

6. ابن قيم، الطرق الحكمية (مكتبة البيان، د ط، د ت).

7. ابن قيم، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، تحق: زائد بن أحمد النشيري (جدة، مط: مجمع الفقه الإسلامي، د ط).

8. ابن قيم، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحق: رضوان جامع رضوان، (القاهرة، مط: مؤسسة المختار، ط: 1، سنة: 1422هـ / 2001م).

9. ابن كثير، النهاية في الفتن والملاحم، تحق: محمد أحمد عبد العزيز (بيروت، مط: دار الجيل، د ط، سنة: 1408هـ / 1988م).

10. أحمد يوسف الحاج، موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة (دمشق، مط: مكتب ابن حجر، ط: 2، دت).
11. البوطي محمد سعيد رمضان ، المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الرباني (دمشق، مط: دار الفكر، ط: 6، سنة: 1425هـ / 2005م).
12. السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، (القاهرة، مط: المدني، د ط، د ت)
13. القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحق: الصادق بن محمد بن إبراهيم (الرياض، مط: دار المنهاج، ط: 1، سنة: 1425هـ).
14. المعلّم عبد الرحمن بن يحيى، الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة، (بيروت، مط: عالم الكتاب، د ط، د ت).
15. المفيد العكبري، أوائل المقالات في المذاهب المختارات، (إيران، مط: مؤسسة مطالعات، د ط د ت).
16. سلمان بن فهد العودة، حوار هادئ مع محمد الغزالي (مط: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط: 1، سنة: 1409هـ).
17. فهد بن عبد الرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية في التفسير، (الرياض، مط: إدارة البحوث العلمية، ط: 2، سنة: 1403هـ / 1983م).
18. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون (بيروت، مط: دار الوراق، ط: 7، سنة: 1420هـ / 1999م).

الثاني عشر: مقالات ومواقع إلكترونية

www.abjjad.com . 1

- 2 . أبو الفتح بيانوني، أسباب استشكال متن الحديث الشريف (الرياض، مجلة العلوم الشرعية، العدد: ، 17، شوال: 1431هـ).
- 3 . الموقع الإلكتروني دار الأوائل للنشر والتوزيع
- 4 . جريدة القبس الكويتية السنة 38، العدد: 12858.
- 5 . جعفر السبحاني الموقع الإلكتروني ويكيبيديا الموسوعة الحرّة.
- 6 . شرف القضاة، علم مختلف الحديث أصوله وقواعده (مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، عمان، مجلد: 28، العدد: 2، سنة: 2001).
- 7 . صبحي منصور، السّم الهاري في تنقيّة البخاري (مقال لصبحي منصور منشور في موقع أهل القرآن 10 يوليو 2010).
- 8 . علي أحمد ناصح، القرآنيون وأهم شبهاتهم (مقال منشور في مجلة الأدب العربي، العدد الأول السنّة السادسة، سنة: 1393هـ).
- 9 . ملتقى أهل الحديث
- 10 . موقع (أهل القرآن) www.ahl-alquran.com
- 11 . موقع my space music
- 12 . موقع قناة الحرّة 28 نوفمبر 2019.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
	البسمة
	شكر وعران
	إهداء
1	المقدمة
4	إشكال البحث
4	أسباب اختيار الموضوع
5	أهداف البحث
6	الدراسات السابقة
9	صعوبات البحث
10	المنج المعتمد عليه في البحث
11	منهجية البحث
13	أهم المصادر والمراجع المعتمد عليها
14	خطة البحث
17	الفصل التمهيدي: ضبط مصطلحات الدراسة
19	المبحث الأول: مشكل الحديث
19	المطلب الأول: تعريفه

19	المشكل
19	لغة
20	اصطلاحا
21	الحديث
21	لغة
21	اصطلاحا
27	التعريف المختار
28	المطلب الثاني: الفرق بين مشكل الحديث ومختلف الحديث
28	تعريف مختلف الحديث
28	لغة
28	اصطلاحا
29	الفرق بين مشكل الحديث ومختلف الحديث
32	المطلب الثالث: أهميته وأهم المصنّفات فيه
34	اختلاف الحديث للإمام الشافعي
35	تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة الدينوري
36	شرح مشكل الآثار للطحاوي
36	شرح مشكل الآثار للطحاوي
37	مشكل الحديث وبيانه لأبي بكر بن فورك

38	كشف المشكل من حديث الصّحيحين " لابن الجوزي
39	كتاب تنبيه الأفهام في مشكل حديثه عليه السّلام عبد الجليل القصري
41	المبحث الثاني : الصّحيحان
42	المطلب الأوّل: ترجمة موجزة للإمام البخاري وصحيحه
42	الإمام البخاري
42	نسبه ونشأته وطلبه للعلم
43	شيوخه وتلاميذه
44	مصنّفاته
44	ثناء العلماء عليه
45	وفاته
46	صحيحه
46	اسمه
46	سبب تأليفه
46	شرط البخاري وطريقته فيه
47	ترتيبه
48	عدد أحاديثه
49	المطلب الثاني: ترجمة موجزة للإمام مسلم وصحيحه

49	الإمام مسلم
49	نسبته ونشأته وطلبه للعلم
50	شيوخه وتلاميذته
51	مصنّفاته
52	وفاته
53	صحيحه
53	اسمه
54	سبب تأليفه
54	شرط الإمام مسلم وطريقته فيه
56	ترتيبه
57	عدد أحاديثه
59	المطلب الثالث: مكانة الصّحّاحين عند علماء الأمة
59	الأحاديث المنتقدة على الصّحّاحين
62	ثناء العلماء عليهما وإجماعهم على صحّة أحاديثهما
65	المبحث الثالث: اتجاهات ومناهج المعاصرين المشتغلين بمشكل الحديث في الصّحّاحين
66	المدرسة العقلية الحديثية
68	محمود أبو ريّة وكتابه "أضواء على السنّة المحمديّة"

68	أبو رية
69	كتابه "أضواء على السنة المحمدية"
72	جواد عفانة وكتابه صحيح البخاري مخرج الأحاديث مُحقق المعاني
72	جواد عفانة
73	كتابه صحيح البخاري مخرج الأحاديث مُحقق المعاني
75	إسماعيل الكردي وكتابه " نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث
75	إسماعيل الكردي
75	كتابه " نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث
77	المطلب الثاني: الشيعة الإمامية الاثنا عشرية
79	محمد صادق النجمي وكتابه " أضواء على الصحيحين
79	محمد صادق النجمي
80	كتابه " أضواء على الصحيحين
84	عبد الحسين الموسوي وكتابه " أبو هريرة
84	عبد الحسين الموسوي
84	كتابه " أبو هريرة
86	جعفر السبحاني وكتابه " الحديث النبوي بين الرواية الدرابة
86	جعفر السبحاني
87	كتابه " الحديث النبوي بين الرواية الدرابة

90	المطلب الثالث: القرآنيون
92	صبحي منصور وكتابه " القرآن وكفى مصدرا للتشريع
92	صبحي منصور
94	كتابه " القرآن وكفى مصدرا للتشريع
96	سامر إسلامبولي وكتابه " تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم"
96	سامر إسلامبولي
96	كتابه تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث
98	زكريا أوزون وكتابه " جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين"
98	زكريا أوزون
99	كتابه " جناية البخاري إنقاذ الدين من إمام المحدثين"
102	نيّازي عز الدين وكتابه " دين السلطان البرهان"
102	نيّازي عز الدين
102	كتابه " دين السلطان البرهان"
105	ابن قرناس وكتابه " الحديث والقرآن"
105	ابن قرناس
105	كتابه " الحديث والقرآن"
108	الفصل الأول: الأحاديث المتعلقة بتوحيد الله وصفاته

110	المبحث الأول: رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة
110	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
111	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
111	تعارضه مع القرآن
112	تعارضه مع العقل
113	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
118	المطلب الرابع: رفع الإشكال
121	المبحث الثاني: الموجب لدخول الجنة
121	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
122	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
122	تعارضه مع القرآن
123	تعارضه مع العقل
124	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
130	المطلب الرابع: رفع الإشكال
132	المبحث الثالث: نزول الله . عز وجل . إلى السماء الدنيا
132	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
133	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
133	من حيث الصنعة الحديثية

133	معارضته للعقل
134	معارضته للعلم والواقع
135	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
136	اضطراب متن الحديث
140	المطلب الرابع: رفع الإشكال
141	المبحث الرابع: مخاطبة الله للجنة والنار وإثبات الرجل لله
141	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
143	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
143	معارضته للقرآن
144	معارضته للعقل
144	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
149	المطلب الرابع: رفع الإشكال
151	المبحث الخامس: مراجعة الرسول ﷺ لربه على فريضة الصلاة ليلة الإسراء
151	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
152	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
152	معارضته للعقل والثوابت الإيمانية
153	كونه من الإسرائيليات

153	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
156	المطلب الرابع: رفع الإشكال
159	الفصل الثاني: الأحاديث المتعلقة بالغيب وأشراط الساعة
162	المبحث الأول: سجود الشمس تحت العرش
162	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
163	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
163	تعارضه مع العقل
163	تعارضه مع الواقع
165	تعارضه مع العلم
166	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
169	المطلب الرابع: رفع الإشكال
172	المبحث الثاني: طلوع الشمس من مغربها
172	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
172	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
173	معارضة الحديث للقرآن الكريم
173	معارضته للواقع والعلم الحديث
178	المطلب الرابع: رفع الإشكال

180	المبحث الثالث: السؤال عن وقت قيام الساعة
180	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
181	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
181	تعارضه مع القرآن
182	تعارضه مع الواقع
184	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
187	المطلب الرابع: رفع الإشكال
189	المبحث الرابع: عذاب القبر ونعيمه
189	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
190	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
190	تعارضها مع كتاب الله
192	تعارض أحاديث الباب
192	معارضته للعقل
193	تعارضه مع الحس والعلم المعاصر
193	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
202	المطلب الرابع: رفع الإشكال
203	المبحث الخامس: مفاتيح الغيب خمس . علم ما في الأرحام .

203	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
204	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
204	معارضة الحديث للقرآن
205	معارضة الحديث للعلم
205	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
213	المطلب الرابع: رفع الإشكال
214	الفصل الثالث: الأحاديث المتعلقة بالأنبياء . عليهم . السلام .
217	المبحث الأول: حديث سحر النبي . ﷺ .
217	المطلب الأول: الحديث الواردة في المسألة
219	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
220	تعارضه مع القرآن
222	تعارضه مع العقل
223	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
229	المطلب الرابع: رفع الإشكال
231	المبحث الثاني: حديث شفاعة النبي . ﷺ .
231	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
233	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
233	تعارضه مع القرآن

234	تعارضه مع العقل
235	تعارضه مع القواعد الشرعية
236	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
243	المطلب الرابع: رفع الإشكال
245	المبحث الثالث: حديث سهو النبي ﷺ . في الصلاة
245	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
246	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
246	معارضة الحديث للحقائق التاريخية الثابتة
247	تعارض روايات الحديث واضطرابها
248	معارضة الحديث للقواعد الشرعية الثابتة
248	المطلب الرابع: مناقشة الانتقادات
252	المطلب الرابع: رفع الإشكال
254	المبحث الرابع: حديث طواف سليمان . عليه السلام . على نسائه في ليلة واحدة
254	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
255	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
255	معارضة الحديث لكتاب الله

256	تعارض روايات الحديث في ما بينها
256	معارضة الحديث للواقع والحس
256	معارضة الحديث لبدائه العقول
257	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
262	المطلب الرابع: رفع الإشكال
263	المبحث الخامس: حديث لطم موسى . عليه السلام . ملك الموت
263	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
264	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
264	معارضته للقرآن
266	معارضته للأحاديث الدالة على الرغبة والشوق إلى لقاء الله
266	معارضة الحديث للعقل والمنطق
267	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
273	المطلب الرابع: رفع الإشكال
274	الفصل الرابع: الأحاديث المتعلقة بالمرأة
276	المبحث الأول: حديث ناقصات عقل ودين
276	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
277	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
277	معارضة الحديث لكتاب الله

278	معارضة الحديث لعدل الله
280	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
286	المطلب الرابع: رفع الإشكال
288	المبحث الثاني: لولا حواء لم تكن أنثى زوجها
288	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
288	المطلب الأول: الانتقادات الموجهة للحديث
288	معارضة الحديث للقرآن
290	معارضة الحديث للعقل
291	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
296	المطلب الرابع: رفع الإشكال
297	المبحث الثالث: حديث أن النساء أكثر أهل النار
297	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
298	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
298	معارضة الحديث لكتاب الله
299	معارضة الحديث للعقل
300	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
307	المطلب الأول: رفع الإشكال
308	المبحث الرابع: حديث خلقت المرأة من ضلع

308	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
309	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
309	أنه من الإسرائيليات
310	مخالفة الحديث للقرآن الكريم
311	معارضة الحديث للواقع والعقل
312	المطلب الثالث: مناقشة الانتقادات
317	المطلب الرابع: رفع الإشكال
318	المبحث الخامس: أحاديث متعلقة بالحياة الزوجية
318	المطلب الأول: الحديث الوارد في المسألة
319	المطلب الثاني: الانتقادات الموجهة للحديث
319	معارضة هذه الأحاديث لكتاب الله
319	معارضة الحديث للعقل والقواعد الشرعية الدالة على المساواة بين الجنسين في جميع الأحكام وتظهر هذه المعارضة في عدة وجوه
322	المطلب الثاني: مناقشة الانتقادات
329	المطلب الرابع: رفع الإشكال
332	الخاتمة
338	الفهارس

339	فهرس الآيات
353	فهرس الأحاديث
358	فهرس الأعلام المترجم لهم
363	فهرس الألفاظ الغريبة
364	فهرس المصادر والمراجع
387	فهرس الموضوعات

المخلص: مشكل الحديث من أهم أنواع علوم الحديث، وهذه الدراسة هي بيان لاستشكالات بعض الفرق المعاصرة لأحاديث الصحيحين (الشيعة، القرآنيون، العقليون) ونظرا لكثرة الأحاديث المستشكلة عندهم خصت الدراسة جملة من المواضيع التي كانت عرضة للانتقاد وهي الأحاديث المتعلقة بأسماء الله وصفاته، والأحاديث المتعلقة بالغيب وأشراف الساعة، والأحاديث المتعلقة بمعجزات الأنبياء، والأحاديث المنتقدة بدعوى امتهان المرأة والتقليل من شأنها، وكان من أهم أسباب استشكالهم للصحيحين مصادمة أحاديثهما للنصوص القرآنية أو معارضتها للعقل أو الواقع والنظريات العلمية الثابتة، وقد بينت الدراسة أن التناقض الذي ادّعه هؤلاء لا وجود له في الواقع وإنما هو تعارض ظاهري ناتج عن قلة علمهم أو قصور فهمهم عن إدراك المراد.

الكلمات المفتاحية:

مشكل الحديث، الصحيحان، الشيعة، القرآنيون، العقليون، المعاصرون، التعارض، العقل، الواقع.

نوقشت يوم: 2025/10/16

بتقدير: مشرف جدا